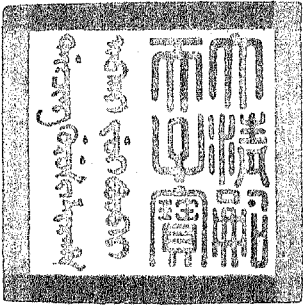
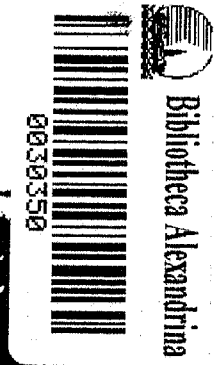


# من امبراطور الى مواطن

السيرة الذاتية  
لأيشين-جيولوه  
بويسى



المجلد الثاني



ان كتاب « من امبراطور الى مواطن » يحكى السيرة الذاتية للرجل الذى كان آخر امبراطور فى الصين ، والذى اصبح فيما بعد امبراطورا عميلا لـ ” امبراطورية منشوريا “ الخاضعة للامبريالية اليابانية فى شمال شرقى الصين .

فى المجلد الاول من هذا الكتاب يقدم المؤلف صورة واضحة للحياة فى بلاط تشينغ المتفسخ فى اخريات ايامه ، يكشف كيف قام ، بعد الاطاحة بالاسرة ، هو والقوى الاقطاعية الاخرى بالتآمر مع السلطات الاجنبية لاعادة الملكية ، وكيف اصبح عميلا للامبرياليين اليابانيين . وفى المجلد الثانى يصف بو يى حياته فى بلاط منشوريا ، ويتحدث كيف وقع فى قبضة الحكومة الشعبية ، ويقدم وصفا حيا لاعادة تكوين نفسه عبر العمل والدراسة داخل سجون مجرمى الحرب ، وكيف تغير تفكيره . وفى الفصل الاخير من الكتاب يصف كيف عاش بعد العفو عنه ، بوصفه مواطنا عاديا فى جمهورية الصين الشعبية .

••٧٤٢



الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية

# من اميراطور الى مواطن

السيرة الذاتية  
لأبشين-جولوه  
بوسى

المجلد الثاني



دار النشر باللغات الاجنبية بكين

الطبعة الاولى . . . . . عام ١٩٨٥

ترجمة : محمد نمر عبد الكريم

دار النشر باللغات الاجنبية  
٢٤ شارع باى وان تشوانغ  
بكين - الصين

طبع في جمهورية الصين الشعبية

# الفهرس

الفصل السادس اربعة عشر عاما من حكم "امبراطورية منشوريا"

١	
٣	الدور العميل يبدأ
٨	سلطان بلا سلطة
١٣	توقيع المعاهدة السرية وما بعدها
١٨	« تقرير لجنة التحقيق التابعة لعصبة الامم »
٢٥	"امبراطور" للمرة الثالثة
٣٧	نهاية الوهم
٤٨	يوشيوكا ياسونورى
٥٢	"مراسيم امبراطورية"
٦١	حياة البيت
٧١	الانهيار

الفصل السابع فى الاتحاد السوفياتى

٨٥	خوف ووهم
٨٧	ما زلت ابدى كبرياء مصطنعة
٩٥	ارفض الاعتراف بلذنبى

٩٥	الفصل الثامن من الخوف الى الاعتراف
٩٧	اتوقع ان اموت
١٠٤	الوصول الى فوشون
١١٠	مفصّولا عن اسرتى
١١٨	الانتقال الى هاربين
١٢٣	كتابة سيرتى الذاتية وتقديم اختتامى
١٢٩	تغييرات فى اسرتى
١٣٧	اعتراف ولين
١٤٤	صنع الصناديق
١٥٣	وصول المحققين
١٦٠	معاناة وحقد الشعب فى الشمال الشرقى
١٦٦	” انك لا تستطيع ابدا ان تنجو من عواقب خطاياك “

١٧٣	الفصل التاسع اقبل اعادة تكوين نفسى
١٧٥	كيف اصبح انسانا ؟
١٨٣	ذلك يعتمد على
١٨٩	لماذا كل هذه الشهامة
١٩٩	التغيرات توضح كل شىء
٢٠٥	لقاء الاقرباء
٢١٦	مجرمو الحرب اليابانيون
٢٢٣	” المجد العالمى “
٢٣٢	زيارة اخرى
٢٤٣	عمل وتناول

۲۴۹

۲۵۹

۲۶۷

۲۸۱

الاختبار

عفو خاص

فصل جديد

ملاحظات



## الفصل السادس

اربعة عشر عاما من حكم  
”امبراطورية منشوريا“

## الدور العميل يبدأ

كانت مشاعري مضطربة ومتناقضة وأنا اجلس على المائدة الخاصة التي اقامها لي الكولونيل اتاجاكي مساء ٢٤ فبراير ١٩٣٢ احتفالاً بموافقتي على ان اصبح "رئيساً تنفيذياً لدولة منشوريا" العميلة اليابانية الجديدة . وقدم اتاجاكي مواسات يابانيات الضيوف ، وقد لاطفهن وعانقهن دون ان يزرعج بخصوص تقاليد السلوك المهذب . ونظرا الى انه شرب بحرية وحلجل صوته بالضحك فانه لم يحاول اخفاء سروره بنجاحه في اجباري على القبول بشروطه . وفيما كان ما يزال يسيطر على نفسه الى حد ما شرب نخبي بمتتهى الاحترام ، متمنيا لي مستقبلا باهرا وتحقيقا تاما لمطامحي ، وقد سررت غاية السرور لسماعي ذلك . ولكن مع انقضاء المساء وشربه المزيد المزيد من الخمر ازداد وجهه شحوبا ، وبدأت الامور تسوء . وسألته مومس يابانية بصينية متكلفة : "هل عندك تجارة ؟" وعندما سمع اتاجاكي ذلك انفجر بضحك غريب ، وادركت انه ليس هناك ما يسر .

وفي ٢٨ فبراير وبأمر من جيش قواندونغ الياباني اتخذ "مجلس جميع منشوريا" في شينانغ قرارا بخصوص اعلان استقلال الشمال الشرقي وتعييني "رئيساً تنفيذياً للدولة الجديدة" . واخبرني كايسومي وتشنغ شياو شيوى بأن مندوبي هذا "المجلس" سيأتون الى ليويشون كي يدعوني الى قبول المنصب ، وسنحتاج الى اعداد جواب او جوابين . الاول سيكون رفضا والثاني قبولاً ، ليكون هذا الجواب جاهزا عندما يضغط على المندوبون مرة ثانية . وفي ١ مارس وصل الوفد المكون من تسعة رجال الى ليويشون ، وسامهم تشنغ شياو

شيوى الذى قابلهم باسمى بالجواب الاول . وبعد ذلك قابلتهم بنفسى ،  
والقى كلا الطرفين الخطاب التى طلب منه القاؤها ؛ و ” توسلوا الى بحماسة “  
ولكننى ” رفضت بتواضع “ ، وقبل ان تنقضى عشرون دقيقة انتهى اللقاء .  
وفى ٥ مارس ازداد عدد ” الوفد “ الى تسعة وعشرين عضوا بأمر من القسم  
الرابع (١) لجيش قواندونج وجاء مرة اخرى كى ” يتوسل الى بحرارة “ ؛  
وهذه المرة انجز الوفد مهمته ، وكان جوابى النهائى كما يلى :

نظرا الى انكم تعهدون الى بهذه المسؤولية العظيمة ، كيف يسعنى ان  
اتجرأ على الرفض بدافع التوانى والراحة ؟ ولكن بعد تفكير عميق اشعر اننى  
قد اخيب آمال الجماهير . . . سوف اعتصر امكاناتى الضعيفة واعمل لمدة  
سنة رئيسا تنفيذيا مؤقتا ؛ واذا كانت نواقصى مفرطة فاننى سأنتقعد باحترام  
بعد مرور تلك السنة . واذا ما تم ايجاد دستور خلال تلك السنة واقر شكل  
الدولة وفقا لمقصدى الاصلى فسأعيد حين ذاك النظر بدقة فى فضلى وقوتى  
واقدر ماذا افعل .

وانتهت هذه الفترة الفاصلة ، وغادرت الى تشانغتشون فى اليوم التالى مع  
وان رونج وتشنغ شياو شيوى وتشانغ جينغ هوى والآخريين . ولدى توقف  
قطارى فى محطة تشانغتشون فى الساعة الثالثة بعد الظهر من ٨ مارس ، سمعت  
صوت الفرق الموسيقية العسكرية وهتاف الحشود . وعندما خطوت على رصيف  
المحطة محاطا بتشانغ جينغ هوى وشى نشيا واماكاسو وكايسومى وغيرهم  
رأيت رجال الدرك اليابانيين وصفوفا من الناس يلبسون مختلف انواع الملابس ؛  
بعضهم بستر واثواب صينية ، وبعضهم ببدلات غربية ، وآخرون بملابس  
يابانية تقليدية ، وكانوا جميعا يمسكون بأيديهم اعلاما صغيرة فتأثرت بذلك ،  
وفكرت فى اننى ارى الآن المشهد الذى افتقدته عند الميناء . وفيما كنت  
امر بهم اشار شى تشيا الى صف من اعلام التين بين الاعلام اليابانية وقال  
ان الناس الذين يمسكون بهذه الاعلام هم من رجال الرايات المانشويين الذين

كانوا ينتظرون قدومي منذ عشرين سنة . فدمعت عيناي لسماع هذه الكلمات ،  
وازددت فناعة ان مستقبلى سيكون مشرقا .

وعندما صعدت سيارتى عادت بى افكارى الى مدينتى المحرمة وطردى  
منها وسرقة المدفن الشرقى والعهد الذى قطعته على نفسى نتيجة ذلك . وشغلنى  
التفكير فى آمالى واحقادى عن الانتباه الى الشوارع التى مررت بها او عن  
ملاحظة الترحيب الفاتر الذى لقينى به اهالى تشانغتشون ، وهم صامتون رعبا  
وبغضا . وبعد رحلة قصيرة دخلت السيارة الى رحبة مبنى قديم . وهو الذى  
سيكون ”مقر الرئيس التنفيذى“ ، مع انه لم يكن كما بدا لى واحدا من افخم  
المنازل فى المدينة .

وفى اليوم التالى تسلمت المنصب وفقا للمراسم المتبعة فى قاعة استقبال  
كبيرة رتبت على عجل . وكان بين الحاضرين اوتشيدا ، مدير سكة حديد  
جنوبى منشوريا اليابانية ، وهونجو ، قائد جيش قوانونغ ، وماييك ، رئيس  
اركانه ، وضابط الاركان اتاجاكى . وحضر كثير من ”وزرائى القدامى“ :  
وكان بينهم ، بالاضافة الى تشنغ شياو شيوى ولوه تشن يوى وهو سى يوان  
وتشن تسنغ شو ، عدد آخر من موظفى اسرة تشينغ السابقين ومن الامراء  
المنغوليين . وكان هناك ايضا عدد من رجال عصبة فنجتيان السابقين مثل  
تشانغ جينغ هوى وتسانغ شى يى وشى تشيا وتشانغ هاى بنغ ؛ وكان هناك  
كذلك ضابط اركان سابق لدى الجنرال ابو لحم الكلب تشانغ تسونغ تشانغ .  
ولبست بدلة رسمية غربية . وتحت نظر ذوى المقامات الرفيعة من  
اليابانيين انحنى لى ”مؤسسو الوطن“ ثلاث مرات وانحنيت لهم مرة واحدة .  
ومن ثم قدم لى تسانغ شى يى وتشانغ جينغ هوى باسم ”شعب منشوريا“  
”ختم الرئيس التنفيذى“ ملفوفا بقطعة من الحرير الاصفر . وبعد هذا  
قرأ تشنغ شياو شيوى ”بيان الرئيس التنفيذى“ نيابة عنى :

ينبغي للنوع البشرى ان يحترم الاخلاق ، ولكن نظرا لوجود تمييز عنصري فان الناس يضطهدون الآخرين ليرفعوا من شأن انفسهم ، مضعفين بذلك القيم الخلقية . كما ينبغي للنوع البشرى ان يحترم نزعة الخير ، ولكن بسبب النزاع الدولى فان بعض الناس يحاول ايذاء الآخرين من اجل المصلحة الشخصية ، مضعفا بذلك نزعة الخير . والاخلاق ونزعة الخير هما المبداءان اللذان تؤسس عليهما دولتنا ، التى من المحتم ان تصبح بازالة التمييز العنصرى والنزاع الدولى جنة على الطريقة الملكية . وآمل ان يسعى جميع ابناء شعبي الى تحقيق ذلك .

وعندما قابلت الضيوف الاجانب بعد انتهاء المراسم القى مدير سكة جنوبى منشوريا اليابانية خطاب تهنئة ، وقرأ لوه تشن يوى جوابى . وبعدها دخلنا القناء لرفع العلم الجديد والتقاط الصور ، وانتهى ذلك بمأدبة . وبعد ظهر ذلك اليوم جاء تشنغ شياو شيوى ببعض " الاعمال الرسمية " الى " مكتب الرئيس التنفيذى " . وانحنى قائلا بصوت رقيق ورأسه الاصلع يلتمع :

— ان الجنرال هونجو قد اوصى بأن يصبح خادكمكم رئيس وزراء ويؤلف وزارة . وهذه قائمة للتعيينات (٢) فهل تسمح جلالتكم بأن توقعوا عليها .

ونظرا الى ان الوكيل اليابانى اماكاسو كان قد ناقشنى بها قبل ذلك فى ليويشون تناولت فرشتى ووقعت . وبذلك قمت بأول عمل من اعمال " دولة منشوريا " .

وقد تأثرت تأثرا عميقا بالجوقة العسكرية واعلام التنين فى محطة تشانغتشون وبراسم تسلم المنصب وبخطاب التهنئة الذى القى عندما قابلت الضيوف الاجانب ، وشعرت انى بتسلمى المنصب على المكشوف قد وضعت نفسى فى موضع لا انسحاب منه . وفوق ذلك قد يساعدنى اليابانيون فى استعادة لقبى

الامبراطورى اذا انا مضيت فى التعاون معهم . وعندما نظرت الى الجانب المشرق فى ذلك ، بدا لى كونى ” رئيسا تنفيذيا “ ليس امرا هينا بل خطوة نحو العرش الامبراطورى . وكانت المشكلة التى اعطيتها انتباهى الآن هى كيف استفيد من هذا المنصب الى ابعد حد . وبعد ان فكرت فى ذلك عدة ايام اعلنت خلاصة ما توصلت اليه على تشن تسنغ شو وهو سى يوان اللذين اصبحا الآن من امنائى :

” ان عندى عهدين وامنية ، واننى اود ان اخبركما بها . اولاً ، اننى سأعمل على التخلص من جميع اخطائى السابقة ، وقد عاهدت نفسى ألا اكون كسولاً قط او عابثاً كما وصفنى تشن باو تشن قبل عشر سنوات . ثانياً ، عاهدت نفسى بأن لا استريح حتى اتغلب على جميع العقبات واعيد ميراثى السلفى . ثالثاً ، ارجو ان ترسل لى السماء وريثا ليتابع مسيرة اسرة تشينغ العظيمة . واذا تحققت هذه الاشياء الثلاثة فسيكون بوسعى ان اموت سعيداً . “

بعد شهر تقريبا من تسلمى المنصب انتقل ” مقر الرئيس التنفيذى “ الى مبنى اعيد تربيته ، كان فى السابق مكتب مكوس الملح لمقاطعتى جيلين - هياونغجيانغ . وفى البداية اخذت انهض باكرا كل صباح واذهب الى مكتبى مباشرة ، ولا اعود الى مسكنى حتى المساء . واتبعت تعليمات جيش قواندونغ فى عملى ساعات طويلة تحت وهم ان اصبح قادرا على استخدام السلطة بصفتى رئيس دولة ، آملاً خلال ذلك ان انجز العهدين اللذين قطعتهما على نفسى واعدود الى العرش . ولكن هذا الاجتهاد لم يستمر طويلاً لأنه لم يكن هناك عمل اقوم به ، وسرعان ما اكتشفت ان سلطات ” الرئيس التنفيذى “ ليست الا حبراً على ورق .

## سلطان بلا سلطة

لقد حددت المواد الثلاث عشرة من القسم الاول من « قانون دولة منشوريا التنظيمى » سلطاتى بكل وضوح . وقد نصت المادة الاولى على ان " الرئيس التنفيذى يحكم دولة منشوريا " ، والثانية الى الرابعة على ان لى سلطة تشريعية وتنفيذية وقضائية . والمواد الاخرى نصت على ان بلاغاتى سيكون لها قوة القانون ، واننى انا الذى اقرر بنية الادارة والتعيينات الرسمية ، واننى القائد الاعلى للقوات البرية والبحرية والجوية ، وان لى السلطة فى اصدار قرارات الصفح والعفو العام ، وفى تخفيف العقوبات واعادة الحقوق الى ذويها من الناس الذين كانت قد جردت منهم ، وما الى ذلك .

والواقع اننى لم اكن املك حتى السلطة التى تخولنى ان اقرر الخروج من بوابات مسكنى الداخلية متى شئت . وذات يوم فكرت فى الخروج للتمشى ، فأخذت زوجتى وان رونغ واثنين من شقيقاتى للقيام بنزهة فى " منتزه داتونغ " ، ولكن لم تمض علينا عدة دقائق فى المنتزه حتى جاء رجال الدرك اليابانى ورجال " مكتب الامن التابع لمقر الرئيس التنفيذى " فى سيارة وطلبوا منى ان اعود ، حيث ان غيابى عن مقرى قد بلغ عنه فورا ، فحشدت اعداد كبيرة من الجند ورجال البوليس للفتيش عنى ، مثيرين احتياجا عظيما فى كافة انحاء المدينة . وبعد انتهاء الامر قال لى مستشارى كايسومى انه من اجل هيبتى وامنى يجب ألا اخرج وحدى مرة ثانية . ومنذ ذلك الحين لم اجتز البوابة الامامية قط الا فى الارساليات التى رتبها جيش قواندونغ .

وقد صدقت فى البداية التوضيح الذى قدم لى بخصوص وجوب عدم خروجى من تلقاء نفسى ، ولكن بعد بضعة ايام من القيام بـ " اعمال الدولة " فى مكتبى بدأت تتابنى الشكوك . وعلى الرغم من اننى بدوت مشغولا جدا باستقبال زوار كثيرين ، معظمهم من الوزراء والمستشارين ذوى المراتب

العالية ، كانوا يعبرون عن ولائهم ويقدمون الهدايا الى ، الا انهم لم يناقشوا معي اى عمل رسمى قط . واذا ما سألتهم عن امور رسمية كان جوابهم اما ” نائب الوزير يهتم بذلك “ ، واما ” يجب ان اسأل نائب الوزير عن ذلك “ : ونواب الوزراء كانوا يابانيين ، وهم لم يحضروا مطلقا لرؤيتى . وكان هو سى يوان اول من فقد صبره . فقد وضع تشنغ شياوشوى الذى اصبح الآن رئيس وزراء النظام العميل بأن الوزراء يجب ان تكون لهم السيطرة على وزاراتهم ، وان القرارات الهامة يجب ان يتخذها اولا الرئيس التنفيذى ومن ثم ينفذها الوزراء ، وانه لمن الخطأ تماما ان يقرر نواب الوزراء كل شىء . فكان جواب تشنغ ” اننا نطبق حكما وزاريا مسؤولا ، وشؤون الدولة يجب ان تقرر اولا فى اجتماعات مجلس الدولة . ان مجلس الوزراء مسؤول امام الرئيس التنفيذى ، وكل اسبوع يعكس رئيس الوزراء الاقتراحات التى تبناها فى اجتماعاته الى الرئيس التنفيذى لاتخاذ القرار : وهذه هى الطريقة المتبعة فى اليابان . “ ووافق تشنغ على ضرورة ان يضبط كل وزير وزارته ، وقال انه سيعرض هذه النقطة على قائد جيش قواندونغ . وقد واجه فى الواقع نفس المشكلة فى علاقته بالرئيس اليابانى لمكتب الشؤون العامة لمجلس الدولة .

لا ادرى كيف كانت محادثة تشنغ شياوشوى مع قائد جيش قواندونغ فى هذا الموضوع ، ولكننى علمت ما قصد حقا بعبارة ” المحكم الوزارى المسؤول “ وبالعلاقة بين الوزراء ونواب الوزراء من الوصف الذى قدمه لى هو سى يوان عن احد اجتماعات مجلس الدولة .

كان موضع البحث هو رواتب الموظفين . وكالمعتاد اعد الاقتراح من قبل مكتب الشؤون العامة لمجلس الدولة ، وسلمت نسخة مطبوعة منه لكل من الوزراء . وكان قد سبق للوزراء ان وافقوا فورا على لوائح بشأن الاستيلاء على ممتلكات حكومة الشمال الشرقى السابقة وتزويد الجيش اليابانى بالحبوب



والعطف ومصادرة مصارف الشمال الشرقى الرئيسية الاربعة : ولكنهم هذه المرة لا يمكن ان يكونوا غير مبالين لأن الموضوع يمس مصالحهم مباشرة فدققوا فيه وعندما وجدوا ان درجات رواتب الموظفين اليابانيين اعلى من درجات الموظفين "المانشويين" بحوالى ٤٠ في المئة ، اعربوا عن استيائهم بوضوح فى النقاش الغاضب الذى يلى ذلك . واحتج شى تشيا ، وزير المالية ، ان الرواتب الاعلى لليابانيين متناقضة مع المساواة العرقية والصدقة اللتين يفترض ان الدولة قد استت عليهما . ولما رأى رئيس مكتب الشؤون العامة لمجلس الدولة ، كومامى توكوتسو الاتجاه المزعج الذى يتجه اليه الاجتماع ، اوقف النقاش وارسل فى طلب الذى وضع مسودة الاقتراح ، وهو الرئيس اليابانى لدائرة شؤون الموظفين ، ليحجب عن اسئلتهم . فوضح المذكور بهدوء ان على المرء ان يكشف اولاً ما اذا كان الناس متساوين فى المقدرة قبل ان يفكر فى المساواة بينهم . ونظرا الى ان اليابانيين مقتدرون جدا فمن البديهي ان تدفع لهم رواتب اكثر ؛ كما انهم قد اعتادوا على مستوى معيشى اعلى ، فاعتادوا اكل الرز لا الذرة الرفيعة مثل "المانشويين" . اما بالنسبة للصدقة ، فهى من باب اولى توجب اعطاء اليابانيين رواتب اعلى . ولكن هذا الخطاب لم ينجح فى ارضاء الوزراء ، فاضطر كومامى الى تأجيل الاجتماع لليوم التالى .

وفى اليوم التالى افتتح كومامى الاجتماع بقوله انه قد بحث المسألة مع نواب الوزراء ، وان جيش قواندونغ قد وافق على رفع رواتب الوزراء الى نفس مستوى رواتب نواب الوزراء . واذاف يقول : "ولكن نظرا الى ان الموظفين اليابانيين سيقومون بعيدا عن موطنهم وسيقومون ببناء فردوس على الطريقة المالكية للمانشويين ، فعلينا ان نكون ممتنين لهم . ولذلك فاننا سنعطيهم علاوات خاصة . وهذا القرار قرار نهائى لا ضرورة للمزيد من المناقشة . " وشعر معظم الوزراء انهم حصلوا على نقودهم وان خلق المزيد من المتاعب لن

يجديهم نفعاً ، ولكن شى تشيا الذى رأى انه على علاقة جيدة بقائد جيش  
قواندونغ لم يرض بأن يصدده كوماي فعلق قائلاً :  
— اننى لن اناقش فى مسألة بعض التقود ، ولكننى اود ان اسأل اين  
سيقيم اليابانيون هذا الفردوس ان لم يكن فى منشوريا . وهل يمكنهم ان  
يقيموه من دون المانشويين ؟

فاستاء كوماي وقرع الطاولة ، وجأر بصوت عال :  
— هل تعرف تاريخ منشوريا ؟ ألا تدرك ان اليابانيين قد دفعوا مقابلها  
دماءهم وعرقهم عندما اخذوها من الروس ؟  
فرد عليه شى تشيا وقد شحب وجهه :  
— هل تسمح لى بالتحدث ؟ ان الجنرال هونجو لم يصرخ فى وجهى  
قط .

فرد كوماي مزمجرًا :  
— اننى اقول لك ان هذا قد قرره الجيش .  
ولم يبق هناك ما يمكن ان يقوله شى تشيا ، وعم الصمت القاعة .  
ومنذ ذلك الحين و”الحكم الوزارى المسؤول“ و”اجتماعات مجلس  
الدولة“ لم تتخذ احدا . ولم يكن رئيس الوزراء الحقيقى هو تشنغ شياو  
شيوى بل كوماي ، رئيس مكتب الشؤون العامة لمجلس الدولة . وحتى  
اليابانيين لم يخفوا هذا ، وقد اشارت مجلة «الاصلاح» اليابانية الى كوماي  
صراحة على انه ”رئيس وزراء دولة منشوريا“ . وهو بدوره اعتبر قائد  
جيش قواندونغ رئيسه الاعلى ، وليس الرئيس التنفيذى الاسمى . وكانت الاقتراحات  
التي نوقشت فى اجتماعات مجلس الدولة يتم تقريرها فى النقاشات الاسبوعية  
التي يعقدها نواب الوزراء الذين شكلوا مجلس الوزراء الحقيقى فى ”دولة  
منشوريا“ وهو المسؤول امام ”الحاكم الاعلى“ قائد جيش قواندونغ .  
وكان القسم الرابع من جيش قواندونغ يشترك دائما فى مثل هذه المناقشات ،

وكثير من الاقتراحات كانت تصاغ وفقا لمطالب مندوبيه .

وهذا كله سرعان ما اصبح واضحا لكل شخص وكان يجب ان يبدي اوهاى ، ولكنها لم تتبدد . وكان الثرثار هو سى يوان يذكرنى دائما بوضعى الفريد ، ولقد تذكرت رأيا كنت اعتقدته خلال اقامتى فى تيانجين :

” من دونى انا الامبراطور الحقيقى ، سيصبح اليابانيون فى وضع صعب جدا . ”

ان الطريقة القائمة على الاحترام الظاهرى التى عاملنى بها اليابانيون جعلتنى اعتقد خطأ أنى مختلف تمام الاختلاف عن شى تشيا ، وان اليابانيين مضطرون الى معاملتى باحترام . وهذا ما ظننته فى ايام تأسيس ” جمعية الوثام ” .

ذات يوم ، بعد شهر تقريبا من تسلمى المنصب ، اخبرنى تشنغ شياو شيوى فى مجرى احد تقاريره المنتظمة بأن جيش قواندونغ يريد ان يشكل حزبا سياسيا ويسميه ” حزب الوثام ” . وكان هدف الحزب ” تنظيم الجماهير للتعاون فى بناء الوطن ” ويجاد روح ” احترام الشعائر الدينية وتقبل الأوامر السماوية بابتهاج ” . وكانت كلمة ” حزب ” تفرعنى دائما ، لذلك كان ذعزى لدى سماعى هذه الاخبار اكثر منه عندما بلغت بقرع كوموى للطاولة . فقطعت حديث تشنغ ولوحت بيدى مشيرا الى عدم الموافقة . وقلت :

— لماذا يريدون حزبا ؟ ما الفائدة التى يمكن ان يقدمها الحزب ؟ ألم يكن سقوط الاسرة من جراء عمل الحزب ؟ هل نسبت ان كونفوشيوس قال بأن الرجل الكريم لا حاجة به الى التحزبات ؟

فقال تشنغ شياو شيوى وقد امتنع وجهه :

— ان جلالتم على صواب تام ، ولكن الجيش قد اتخذ قراره .

وكان يأمل ان يسكننى بهذا الكلام ، ولكنه دهش عندما رأتى اعتبر هذا الامر مسألة حياة او موت وارفض الموافقة عليه . لقد آلمنى سماع ان كل شىء قد قرره الجيش . وقلت فى غضب :

— اما ان تذهب وتبلغ اليابانيين ، واما ان تطلب منهم القدوم الى :

وبعد يومين جاء اتاجاكي وضابطان آخران من القسم الرابع لجيش قواندونغ ليقدموا لى توضيحات ، ولكنهم اخفقوا فى اقناعى ، لذلك ظلت المسألة دون حل .

وفى يوليو ، بعد ثلاثة اشهر ، ظننت اننى انتصرت . فقد قرر جيش قواندونغ ان يشكل "جمعية وئام" لا "حزب وئام" ومهمتها ان تدعم الحكومة . وكانت الجمعية والمنظمات المناهقة بها تشمل كافة سكان "دولة منشوريا" فوق سن العاشرة .

ان السبب الحقيقى فى تغيير جيش قواندونغ اسم "حزب" الى "جمعية" لم يكن له اية علاقة بى . فقد رأى الجيش ان الجمعية اكثر فاعلية من الحزب السياسى بالنسبة للدعاية والتجنس واستعباد الناس . وانا بالطبع لم ادرك هذا ، وظننت انهم استجابوا لرغبتى . ونظرا الى اننى كنت مقتنعا بهذا الوهم فلم يكن من المدهش ان لا يبقى لى موقع بعد توقيع المعاهدة السرية بين "دولة منشوريا" واليابان .

### توقيع المعاهدة السرية وما بعدها

منذ زمن يرجع الى اقامتنا فى ليوشون اتفق تشنغ شياو شيوى مع هونجو على الشروط التى سأسلم بها منصب الرئيس التنفيذى حيث سيكون هو رئيسا للوزراء . وقد اخبرنى تشنغ بذلك عشية استقالة هونجو . وفى ١٨ اغسطس ١٩٣٢ جاء تشنغ شياو شيوى الى مكتبى يحمل زمة من الوثائق ، وقال :

— هذه اتفاقية عقدها تابعكم مع الجنرال هونجو ، فهل لجلالتكم ان تفضلوا بالموافقة عليها ؟  
فنظرت الى الاتفاقية ، وقلت غاضبا :

— من طلب منك التوقيع عليها ؟

فأجاب ببرود :

— هذه هي جميع الشروط التي اقرها اتاجاكي في ليويشون . وقد اخبر اتاجاكي جلالنكم بها منذ وقت طويل .  
— هراء ! لم يخبرني مطلقا ، وحتى اذا كان قد اخبرني لا يحق لك ان توقع قبل ان تستشيرني .

— لقد فعلت ذلك وفقا لتعليمات اتاجاكي . فقد قال انه يخشى ان تحدث متاعب اذا رآها هو سي يوان والآخرون مقدما وهم لا يفهمون الوضع .  
— من المسؤول هنا ؟ انت ام انا ؟

— ما كان لتابعكم ان يتجرأ على ذلك . ان هذه الاتفاقية اجراء مؤقتة . فكيف يمكن لجلالنكم ان ترفضوا توقيعها اذا كنتم تريدون مساعدة اليابانيين ؟ كل ما تقدمه الاتفاقية لليابانيين من سلطات هو ما يتمتعون به في الواقع ، ويمكننا ان نوقع في المستقبل معاهدة اخرى تنص على ان تستعيدوا هذه الحقوق بعد بضع سنوات .

وكان محقا في قوله ، فان اليابانيين كانوا قد حصلوا على الحقوق التي نصت عليها الاتفاقية . وكان جوهر الاتفاقية هو ان اليابان ستكمل سيطرتها على " دفاع وامن " " دولة منشوريا " ؛ وانها ستدير خطوط السكك والموانئ والطرق المائية والطرق الجوية في " دولة منشوريا " وتنفذ المزيد من الانشاءات ؛ وان " دولة منشوريا " ستزود القوات اليابانية بالامدادات والمعدات اللازمة ؛ وان اليابانيين سيكون لهم الحق في فتح المناجم واستغلال المصادر الطبيعية ؛ وانه سيسمح لهم بتسلم مناصب في " دولة منشوريا " ؛ وان اليابان سيكون لها الحق في نقل المهاجرين الى " دولة منشوريا " ؛ واشياء اخرى كثيرة . وانتهت الاتفاقية الى النص على انها ستكون اساسا لمعاهدة رسمية بين البلدين . وكان تشنغ شياو شيوى مصيبا في قوله اننا لا بد ان ندفع ثمن " دعم "

اليابان لنا . ومع ذلك لم يسعنى الا ان اشعر بالاستياء . لقد احساست ان تشنغ شياو شيوى قد اشطت كثيرا فى مبادرته ببيع ” بلادى “ لليابانيين . و غضبت كذلك من اليابانيين على خداعهم اياى . فمع انهم رفضوا اعطائى عرشا امبراطوريا ، الا انهم كانوا ما يزالون يريدون اخذ المزيد منى .

وعلى الرغم من اننى غضبت ، الا انه لم يكن امامى ما استطيع فعله ، لأن المسألة كانت قد انتهت . فوقعت الاتفاقية السرية ، واخذها تشنغ معه . ودخل هو سى يوان ، واستشاط غضبا عندما اخبرته بما جرى :

— ان تشنغ شياو شيوى رجل مخزى . لقد قال تشن باو تشن عنه منذ وقت طويل انه يعطى من مال غيره ، وها هو الآن قد تجرأ على ان يفعل ذلك من تلقاء نفسه .

فقلت مكتئبا :

— فات الأوان لعمل شىء بخصوص ذلك .

— يمكن ان لا يكون الامر كذلك . يجب ان ننتظر الاخبار التى نحصل عليها من طوكيو .

وقبل ذلك ببعض الوقت كنا قد علمنا ان هونجو ، قائد جيش قوانغدونغ سوف يحل محله قائد آخر ، وان اليابان سوف تعترف بـ ” دولة منشوريا “ . وعلق هو سى يوان اهمية كبيرة على هذه الاخبار ، لأنه رأى ان تغيير القيادة قد يشير الى تغير طفيف فى موقف طوكيو ، ورأى ان علينا ان نرسل شخصا الى اليابان لاستغلال هذه الفرصة . وكان من المستحيل فى رأيه تجنب اعطاء اليابان بعض الامتيازات مثل السيطرة على تعدين البلاد وسككها ومواردها الطبيعية ودفاعها ، ولكن كان ضروريا جدا ان اظل محتفظا بتعيين الموظفين فى يدى . وبناء على توصية هو سى يوان ارسلت مبعوثين الى طوكيو لرؤية بعض العسكريين الكبار ، فقدمنا مطالبى الى رئيس اركان الجيش اليابانى والى كاشى ، القائد اليابانى السابق فى تيانجين ، والى موتو نوبويوشى ، قائد

جيش قواندونغ لاحقا . وبناء على نصيحة هو سى يون غالبية فى مطالبى لأترك مجالا للتنازل دون التخلّى عن الموضوع الاساسى - التحكم بالتعيينات . وكانت المطالب الاضافية هى ان يكون للوزراء السيطرة الحقيقية على وزاراتهم ، وان يلغى نظام ادارة اليابانيين لمكاتب الشؤون العامة ، وان تدرب قوات جديدة ، وان يقرر المجلس التشريعى شكل الدولة ، وان يكون مسموحا لى باعادة تنظيم مجلس الوزراء .

وبعد يومين اخبرنى هو سى يون وهو ناثر بأن رسالة قد جاءت من معوى الاثني فى طوكيو يقولان فيها ان بضعة من رجال الدولة اليابانيين الكبار والعسكريين ممن تعاطفوا معى ولم يعجبهم موقف هونجو منى راغبون فى تأييد جميع مطالبى . ومضى يقول ان هذا يبين ان الامور ستتغير مع وصول قائد جيش قواندونغ الجديد ، واننى سأصبح قادرا على اختيار موظفى وحكم بلادى . ولكن سأحتاج حتى احكمها بنجاح الى رئيس وزراء مطيع . فوافقت ، وقررت ان اطرد تشنغ شياو شيوى واستبدل به تسانغ شى يى الذى سيسهر نحوى بالامتنان ويطيع توجيهاتى . وارسلت فى طلب تسانغ شى يى ، ولكن جاء بدلا منه تشنغ تشوى ليرانى ويحتج على التقرير الذى يشير الى رغبتى فى اعادة تنظيم مجلس الوزراء . وبعد ذلك بقليل رفض تسانغ شى يى ان يصبح رئيسا للوزراء . فقد ادرك انه سيجلب المتاعب لنفسه اذا هو وافق دون اذن من جيش قواندونغ .

وعندما سمع تشنغ شياو شيوى بأن تسانغ شى يى قد رفض ، قرر ان يسلك خطة طلب اذن بالاستراحة بحجة انه موعوك . وكنت قد تقويت بالأخبار المشجعة القادمة من طوكيو ، فانتهزت الفرصة للتخلص منه ، وقلت دون ان ابذل ادنى جهد لاقناعه فى البقاء :

— لقد حان وقت تقاعدك . لن احتفظ بك . ارجو ان تشرح خلفا لك :  
فخبا البريق من رأسه الاصلع وقال :

— خادمكم اراد فقط اذن مرض لبضعة ايام :

— حسن جدا .

وحالما غادر تشنغ شياو شيوى ارسلت فى طلب تسانغ شى يى وكلفته بأن يصبح رئيس وزراء بالثيابة ، طانا اننى استطيع ان اجد طريقة للتخلص من تشنغ شياو شيوى فيما بعد . ولكن قبل ان يتعهد تسانغ شى يى بذلك عاد تشنغ الى منصبه .

وقررت ان اقدم مطالبى شخصيا عندما يصل قائد جيش قواندونغ الجديد . وايدنى هو سى يوان فى ذلك ، وذكرنى بالاصرار على ازاحة تشنغ شياو شيوى :

وهذا كله حدث فى بداية سبتمبر . ون منتصف الشهر وصل الى تشانغتشون موتو نوبويوشى ، القائد الجديد لجيش قواندونغ و" السفير " اليابانى الاول لدى " دولة منشوريا " . وفى اليوم الخامس عشر وقع موتو وتشنغ شياو شيوى « بروتوكول اليابان — دولة منشوريا » . وكانت هذه هى المعاهدة العلنية المبنية على اساس الاتفاقية السرية . وبعد ان انتهت المراسم وشرينا الشامبانيا كنت فى غاية العجل لاجراء حديث خاص مع موتو . وكنت واقفا من نتيجة هذا الحديث ، حيث ان مبعوثى فى طوكيو قد بلغانى بتعاطفه مع مطالبى ورغبته فى النظر فى اعادة لقبى الامبراطورى . كان موتو قد قاد القوات اليابانية التى احتلت سيبريا خلال الحرب العالمية الاولى . وقد جاء الى الشمال الشرقى هذه المرة بمناصبه الثلاثة — قائد جيش قواندونغ ، وحاكم " اراضى قواندونغ الموجرة " و" سفير لدى دولة منشوريا " . وكان الحاكم الفعلى للشمال الشرقى ، الامبراطور الحقيقى لـ " دولة منشوريا " . وقد لقبته الصحافة اليابانية " الاله الحارس لمنشوريا " ، وكان هذا العجوز الابيض الشعر ذو الخمسة والستين ربعا قويا فى نظرى كاله . وعندما انحنى لى فى المرة الاولى انحناة تطفح بالأدب الجرم ، تملكنى شعور بأننى مدعوم من السماء . وبعد



ان سمع كلامى اجاب فى كياسة : " سأبحث اقتراحات جلالتكم بمتهى  
الدقة . "

واخذ معه قائمة الطلبات التى كتبها لى هو سى يون ، ولكن مرت الايام  
دون ان اسمع نتائج هذا البحث المتروى . ولما كان من المفروض ان اقابل  
قائد جيش قواندونج ثلاث مرات فى الشهر ، فقد قابلته ثانية بعد عشرة ايام .  
وسألته عن النتائج التى توصل اليها ، فأجاب بأنه ما زال يدرس المطالب .  
وفى كل مرة رأيت فيها كان يبدو لطيفا على نحو ناجح ، فيحنى بشدة  
ويتسم قائلًا : " سعادتكم " ، ويتحدث عن كل واحد من اسلافي بعظيم  
الاحترام ، ولكنه لم يشر مرة واحدة الى مطالبى . وكنت اذا ما حاولت توجيه  
المحادثة الى تلك الوجهة يقير الموضوع فورًا . وبعد ان زاغ على هذا النحو  
مرتين لم تعد عندى اعصاب تمكنتى من ان اسأله حول المطالب مرة اخرى .  
ومنذ ذلك الحين والى موته فى يوليو ١٩٣٣ لم نكن نتحدث كلما التقينا الا  
حول البوذية والكونفوشية و " الصداقة " . وقد بدت لى سلطته تزداد يوما بعد  
يوم بينما لم يكن هناك اى نمو فى سلطتى .

### « تقرير لجنة التحقيق التابعة لعصبة الامم »

فى مايو ١٩٣٢ وصلت لجنة التحقيق لعصبة الامم الى الشمال الشرقى :  
فعلق تشنغ شياو شيوى وتشنغ تشوى آمالا كبيرة على هذه اللجنة ، وعندما  
نشر تقريرها فى اكتوبر من تلك السنة ، تأكدا من ان حلمهما فى الادارة  
الدولية سيتحقق فى المستقبل المنظور . ولكننى لم اشاركهما هذا التفاؤل ،  
بل علمت الكثير عن الشؤون الدولية من مناقشاتهما . وخلافا لهما اصبح  
اعتقادى بقوة اليابان اقوى منه باللجنة .

كان تشنغ وابنه كثيرا ما يتكلمان عن موقف القوى الغربية من " مسألة

منشوريا“ ، وما قالاه كان عادة كما يلي : ” لا تظهروا ادنى اهتمام للاجتماعات الصاخبة (اجتماعات عصبة الامم) في جنيف وباريس . فلا احد من هذه البلدان مستعد في الواقع لصدام مباشر مع اليابان ؛ وامريكا ، للدولة القوية الوحيدة منذ الحرب العالمية ، لا تريد ان تتخذ موقفا مشددا ازاء اليابان كذلك . “ وكثيرا ما كان تشنغ تشوى البارغ في الانكليزية واليابانية يخبرنى بما تقوله الصحافة الاجنبية . فقال ان عددا لا بأس به من الصحف الامريكية مولية لليابانيين ، وكشف لى ذات مرة عن اتفاقية سرية بين الولايات المتحدة واليابان ورد في احد بنودها ان امريكا تفهم نشاطات اليابان في الشمال الشرقى . واخبرنى ايضا بمزيد من التفصيل انه قبل احداث ١٨ سبتمبر عام ١٩٣١ نصحت شخصية امريكية هامة تشيانغ كاي شيك ببيع منشوريا لليابان حتى تجلب اليابان الى نزاع مباشر مع الاتحاد السوفياتى . قال تشنغ شياو شوى : ” لقد جاءت لجنة التحقيق بدعوة من الكومينتانغ . ان الكومينتانغ يأمل بأن تساعد اللجنة على تدبر شأن اليابان ، ولكنه سيصاب بخيبة امل حيث ان اللجنة مهتمة بالباب المفتوح ، وبتساوى الفرص ، وبمقاومة روسيا السوفياتية ، وهذا ما كانوا قد ناقشوه مع اوتشيدا (٣) فى طوكيو . ولا حاجة الى القلق ؛ فعندما يحين الوقت ستحتاجون فقط الى قول بضع كلمات لهم . ان الكومينتانغ ، فى رأى تابعكم ، يعرف ان اللجنة لن تحقق شيئا ، وربما يدرك جيدا فوائد الادارة الدولية لمنشوريا . “ وفيما بعد اظهرت الاحداث ان تشنغ وابنه لم يكونا مخطئين كثيرا فيما قالاه .

وبعد نشوب القتال فى الشمال الشرقى فى ١٨ سبتمبر ١٩٣١ ابلغ تشيانغ كاي شيك تشانغ شيوه ليانغ مرارا بأن يأمر جنده فى الشمال الشرقى ” بألا يقاوموا تحت اى ظرف من الظروف لكى يتجنبوا توسيع القتال “ . وبعد اربعة ايام ، فى ٢٢ سبتمبر ، اعلن تشيانغ كاي شيك فى اجتماع حاشد للكومينتانغ فى نانجينغ (نانكين) ان الصين يجب ” ان تقابل القوة بالحق ،

وتقابل الوحشية بالسلم ، وتحمل الاذلال الذى لحق بها ، وتكبح غضبها ،  
وتقبل موقتا ما لا يقبل الى ان تعطى العدالة الدولية حكمها “ . ولكنه فى الوقت  
نفسه كان يواصل الحرب الاهلية داخل الوطن بمنتهى الوحشية ضاربا  
بـ ” السلم “ و ” الحق “ عرض الحائط .

وفى ٣٠ سبتمبر طلب الكومينتانغ من عصبة الامم ان ترسل لجنة تحقيق  
حيادية الى الشمال الشرقى . وبعد نقاشات مطولة وافقت اليابان على ذلك فى  
١٠ ديسمبر ، وصدر قرار بالدعوة الى انشاء لجنة تحقيق : وقد شكات اللجنة  
من مواطنى خمسة بلدان وهم اللورد ليتون من بريطانيا (رئيسا) واللواء فرانك  
روس مكوى من الولايات المتحدة الامريكية والفريق هنرى كلوديل من  
فرنسا والكونت آلدروفانى من ايطاليا والدكتور هانترش سناى من المانيا . وتحركت  
هذه اللجنة فى ٣ فبراير ١٩٣٢ ، وبعد زيارة انحاء من الصين وطوكيو وصلت  
الى الشمال الشرقى فى مايو . وكان اليابانيون فى ذلك الحين يشنون اوسع حملاتهم  
العدوانية بينما كانت حكومة نانجينغ تقدم المزيد من التنازلات .

وفى ٣ مايو اجتمعت بلجنة التحقيق مدة استغرقت حوالى ربيع ساعة سألونى  
خلالها سؤاليين : كيف جئت الى الشمال الشرقى ؟ وكيف اسست ” دولة  
منشوريا “ ؟

وقبل ان اجيبهم اومضت فى ذهنى فكرة . لقد تذكرت ان جونستون  
اخبرنى فى الماضى ان بوابات لندن مفتوحة لى ، وتساءلت ان كانوا يوافقون  
على اخذنى الى لندن اذا اخبرتهم بأننى لم اصبح ” الرئيس التنفيذى لدولة  
منشوريا “ الا نتيجة لخداع دويهارا وتهديدات اتاجاكى . ولكننى تذكرت  
ان اتاجاكى ورئيس اركان جيش قواندونغ ، هاشيموتو تورانوسويوك ، كانا  
جالسين بجانبى . وبنظرة الى وجه اتاجاكى البغيض شرعت اقول فى اذعان  
ما قيل لى مسبقا : ” لقد جئت الى منشوريا بعد ان اختارتنى الجماهير المانشوية .  
ان بلادى مستقلة تماما . . . “

فهز اعضاء لجنة التحقيق جميعا رؤوسهم وابتسموا ، ولم يسألوا اى سؤال آخر . ومن ثم التقطنا صورة جماعية وتبادلنا معا انخاب الشامانيا . وبعد ان غادرت اللجنة تهال وجه اتاجاكي الشاحب الفاتر بالابتسامات وهو يشيد بأدائى : ” ان اسلوب سعادتكم رائع جدا ؛ لقد تكلمتم على نحو ممتع . ” وهنأنى كذلك تشغ شيوا شيوى .

عرضت على فيما بعد ترجمة لمقالة نشرها كوماي فى المجلة اليابانية « تشوكورون » فى اكتوبر ، وبعد تلك المقالة مباشرة وقع « تقرير لجنة التحقيق » بين يدى . وكلنا الوثيقتين تؤكد رأى تشغ وابنه بأن المسألتين اللتين جذبتنا انتباه اللجنة حقا هى ” الفرص المتساوية ” و ” الباب المفتوح ” . كان عنوان مقالة كوماي « دولة منشوريا تتحدث الى العالم » ، وقد تضمنت وصفا لمحادثاته مع اللورد ليتون والآخرين . وقال كوماي ان السؤال الاول الذى سأله ليتون هو : ” ألم يكن تأسيس دولة منشوريا سابقا لأوانه بعض الشيء ؟ ” فأجاب فى شىء من الهديان انه كان متأخرا جدا لا مبكرا . واستمرت المحادثة كما يلى :

سألنى الجنرال مكوى : ” هل اعلان دولة منشوريا لمبدأ الباب المفتوح مطبق ؟ ” فأجبت فى الحال ان الباب المفتوح والفرص المتساوية هما من المبادئ الاساسية فى البلاد . واستطردت : ” من بين جميع البلدان التى كان لها تعامل فى السابق مع الصين ، كانت امريكا الروح المرشدة فى مبادرتها الى اتباع هذه السياسة . ولكن بينما هذا المبدأ يقبل الآن فى كل مكان من العالم ، اغلقت الصين ابوابها . أيمكن ان توجد فى الصين الآن ابواب مفتوحة ؟ لقد فتحنا الآن ابواب دولة منشوريا بمفتاح قوى جدا ، واننا نستحق الشكر على ذلك لا احتجاجاتكم ايها السادة . . . ويجب ان اضيف ايضا انه ليس هناك باب مفتوح عندما يصبح الامر متعلقا بالدفاع الوطنى ، ان هذا لا مثيل له فى اى بلد آخر فى العالم . ”

ثم سألتني ليتون : " هل تضع دولة منشوريا مبدأ الفرص المتساوية موضع التطبيق ؟ "

فأجبت دون تردد : " ان بلادك هي التي سبقت الى تطبيق الفرص المتساوية في الصين . ففي اواخر اسرة تشينغ السابقة ، حيث جلب الانحلال السياسي في الصين البلاد الى حافة التجزئة ، حذر روبرت هارت بلاط تشينغ من انه اذا ما استمرت الصين في الطريق الذي تسلكه ، فانها ستتوقف عن اداء اي دور في الشؤون الدولية . وسيكون من الافضل لها ان تعتمد على الغرب ، كما ان الادارة الجمركية ضرورية تماما . وعندها عينت حكومة تشينغ هارت هذا مفتشا عاما لجمارك الملاحة البحرية الامبراطورية . واسست بذلك ادارة جمارك الملاحة البحرية الامبراطورية . ونظرا الى ان هذه الادارة استخدمت كثيرا من الانكليز والفرنسيين واليابانيين ، فقد عرفت بأنها من اكثر المؤسسات الحكومية المعتمد عليها في الصين ، وبسببها قدمت الدول قروضا للصين كانت بمثابة مساعدة مالية كبيرة . واعتبر البريطانيون الجمارك تساويا في الفرص ، ولكن اذا اردنا نحن اليابانيين ان نعمل للجمارك فعلينا ان نجتاز امتحانا قاسيا في اللغة الانكليزية يتعذر اجتيازه تقريبا .

" . . . ان دولة منشوريا دولة اسست من خلال تعاون المانشويين واليابانيين ، ولهذا السبب تنشر جميع وثائق الدولة باللغتين المانشوية واليابانية . واننا سنرحب ترحيبا حارا بأى شخص من اية جنسية يجيد اللغتين المانشوية واليابانية ويقبل بالشروط التي تقدمها دولة منشوريا . هذا ما نعنيه بتساوى الفرص . "

وسألتهم ان كانت لديهم اية اسئلة اخرى ، فأجابوا جميعا : " لا حاجة لطرح اى سؤال آخر حيث اننا فهمنا تماما وضع دولة منشوريا . واننا راضون تماما . "

وعندما كنت في وداع اعضاء لجنة تحقيق عصبة الامم في محطة شينجينغ (تشانغتشون) صافحني ليتون بحرارة وقال في خفوت : " اتمنى لدولة منشوريا الجديدة تطورا سليما . "

وسرت هذه المحادثات تشنغ شياو شيوى وابنه سرورا كبيرا ، حتى ان تشنغ تشوى قدر ان عصبة الامم ربما تتخذ قرارا للعمل على ايجاد ادارة دولية لمنشوريا . بل كانا متأكدين اكثر فأكثر من ان هذا سيحدث عندما نشر تقرير لجنة التحقيق . وقد نصت هذه الوثيقة صراحة على ان الصين يجب ان تقبل باشراف دولي . ووصفت رغبة اليابان في انشاء " حكومة مستقرة " بأنها رغبة ليست " غير معقولة " ، ولكنها اضافت تقول : " انه لفي مجرد جو من الثقة الخارجية والسلام الداخلى . . . سيتحصل وشيكا رأس المال اللازم للتطور السريع في اقتصاد منشوريا . " وبدا كأن تشنغ وابنه كانا مصييين في توقعهما ان تؤيد اللجنة الادارة الدولية مع تأمين حصص لجميع الدول . تحققت كذلك نبوءة تشنغ شياو شيوى وابنه بمعادة السوفيات . فقد عبرت اللجنة عن تعاطفها مع اليابان في اعتبار منشوريا " شريان حياتها " . واعترفت بـ " مصالحة اليابان في منع منشوريا من ان تكون قاعدة للعمليات الموجهة ضد اراضيها وحتى برغبتها في ان تكون قادرة على اتخاذ جميع الاجراءات المناسبة اذا ما اخترقت دولة اجنبية في ظروف معينة حدود منشوريا . " ولكن اللجنة مضت تقول : " انه لمن الممكن ان يسأل ان كان الاحتلال العسكري لمنشوريا لمدة غير محددة مع ما يستلزم من عبء مادي ثقيل ، هو حقا الطريقة الاكثر فاعلية في الضمان من هذا الخطر الخارجى ؟ وان كان . . . الجنود اليابانيون لن يصابوا بارتباك شديد اذا هم احيطوا بسكان حرونيين او متمردين مدعومين من صين معادية . " ان اليابان " قد تجد من الممكن ، مع تعاطف وارتياح بقية بلدان العالم وعدم تكبدها اية خسارة ، ان تحقق امنا افضل من الذى تحققه بالوسيلة المكلفة التى تسلكها في الوقت الحاضر " اذا هى اهدت الى حل " مشابه للترتيبات التى توصلت اليها الدول العظمى الاخرى في اجزاء متعددة من العالم . "

وعارضت اللجنة العودة الى الوضع السابق او المراهنة على الوضع الراهن

واقترحت بدلا من ذلك ان " نظاما مرضيا للمستقبل يمكن ان ينشأ عن النظام الحالي ( اى نظام " دولة منشوريا " ) دون اى تغيير عنيف " ، ويمكن ان يعطى درجة كبيرة من الحكم الذاتى ويضم اجانب من جميع البلدان للعمل مستشارين . ونظرا الى ان مصالح اليابان فى الشمال الشرقى اكثر من مصالح اية دولة اخرى ، فستكون هناك حصص كبيرة لليابانيين ، ولكن ستكون هناك ايضا حصص محددة للمواطنين من ابناء البلدان الاخرى . ولوضع هذا الشكل الجديد للحكومة موضع التنفيذ اقترحت اللجنة الخطوة الاولى وهى انشاء مؤتمر استشارى يتكون من ممثلى الحكومتين الصينيه واليابانية ومن " مراقبين حياديين " . وهذا المؤتمر سيعكس الامر الى مجلس عصبة الامم اذا هو اخفق فى ان يتوصل الى تسوية . وكانت اللجنة مؤيدة للرأى القائل ان طريقة " التعاون الدولى " مناسبة لقبية اجزاء الصين كما هى مناسبة لـ " منشوريا " . والسبب الذى قدموه لذلك هو السبب الذى قدمه تشنغ وابنه : ان الصين تملك فقط قوة عاملة ، واذا هى لم تستورد رأس المال والتكنولوجيا والمواهب فستكون عاجزة عن بناء نفسها .

بعد ايام قليلة من الاطلاع على تقرير اللجنة اخبرنى تشنغ شياو شيوى بنشوة عظيمة ان الامور " تبشر بالخير " . وقال ان هو شى قد نشر مقالة اعلن فيها ان التقرير عبارة عن " حكم عالمى " .

ولكن تشنغ وابنه اصيبا باكتئاب شديد من جراء ردة الفعل اليابانية . فمع ان اللجنة قد ركزت مرارا على انها تحترم حقوق اليابان ومصالحتها فى الشمال الشرقى حتى انها وصفت " حادثة ١٨ سبتمبر " بأنها اجراء دفاعى من اليابان ، الا ان ناطقا باسم وزارة الخارجية اليابانية لم يتفق مع اللجنة الا فى نقطة واحدة : " اقتراحات لجنة التحقيق بخصوص منشوريا قد يمكن تطبيقها على العلاقات بين الصين والقوى الاخرى والاستفادة من ذلك كخطوة الاشراف الدولى على سبيل المثال . " ولكن اليابان لم تكن مهتمة ايدا

بالخطط الخاصة بالادارة الدولية للشمال الشرقى . وكما ذكرت آنفا ان  
تحمس تشنغ شياو شيوى لـ ” الباب المفتوح ” و ” القرص المتساوية ”  
هو السبب فى خسارته فيما بعد عطف اليابانيين ونبذهم له فى النهاية .  
وقبل اعلان تقرير اللجنة تخيلات انه اذا ما وضع الشمال الشرقى تحت  
اشراف دولى كما امل تشنغ وابنه ، فس يكون هذا افضل بكثير بالنسبة لى  
من ان اكون مع اليابانيين وحدهم . ولكن ظل عندى امران مقلقان . الاول  
هو ان حكومة تشيانغ كاي شيك فى نانجينغ يمكن ان تشترك فى ” الاشراف  
الدولى ” ، وهذا سيجعلنى فى وضع صعب ؛ والثانى هو انه حتى اذا تركتني  
حكومة نانجينغ وشأنى ، فان لجنة الاشراف الدولية لا تريدنى امبراطورا  
اذا لم تكن ” الحكومة الذاتية الحكم ” ملكية . ولكن الاكثر خطورة هو  
الانطباع العميق الذى شكلته عن وحشية اليابان التى لم يكبح جماحها اى  
اجراء دولى . وعندما تذكرت الفكرة التى اومضت فى ذهنى عندما قابلت  
اللجنة رأيت ان من حسن الحظ اننى لم اتصرف تصرفا احمق ، والا فان اجلى  
كان قد انقضى . واهم شىء الآن هو عدم ازعاج اليابانيين ، ذلك لأننى لن  
اكون قادرا على ارتقاء العرش من جديد دون مساعدتهم .

### ” امبراطور ” للمرة الثالثة

وكان قد تم الاتفاق على انه اذا لم يقم جيش قواندونغ بتأسيس ملكية  
بعد ان تمضى على سنة رئيسا تنفيذيا ، فيوسعى ان استقبل . ولكننى لم افعل  
ذلك حيث كنت افتر الى الشجاعة اللازمة ، وحتى اذا سمح لى جيش قواندونغ  
بذلك فليس امامى مكان اذهب اليه .  
وبعد بضعة ايام من الذكرى السنوية لتسلمى المنصب دهشت لقيام



موتو قائد جيش قواندونغ بطرح هذه المسألة خلال احد اجتماعاتنا المنتظمة .  
وقال ان اليابان تبحث في شكل " دولة منشوريا " ، وان هذه المشكلة ستحل  
عندما يحين الموعد الملائم .

وبعد ذلك بوقت قصير ، في ٢٧ مارس ١٩٣٣ ، انسحبت اليابان من  
عصبة الامم لتزيد من حريتها في التحرك . وفي الوقت نفسه انطلقت في هجوماتها  
العسكرية على الصين ، مقتحمة جنوب السور العظيم ومطوقة بكين وتيانجين .  
وفي نهاية مايو قدمت حكومة نانجينغ المنهزمة في الحرب الاهلية ضد  
الشيوعيين مزيدا من التنازلات لليابان في توقيعها على " اتفاقية تانغكو " .  
وبموجب هذه الاتفاقية انسحب الجنود الصينيون من منطقة واسعة جنوب  
السور العظيم حيث اشتد تحكم اليابان بشمالى الصين . وكانت هذه الاحداث  
حافزا قويا لمؤيدى اعادة الملكية الذين نشطوا ثانية في الشمال الشرقى وفي شمالى  
الصين . وفي يوليو استقال كومامى ، رئيس مكتب الشؤون العامة في " مجلس  
دولة منشوريا " ، من منصبه ليذهب ويعمل سرا من اجل " استقلال " شمالى  
الصين . واخبر تشنغ شياو شيوى بأنه ذاهب للعمل على اعادة ملكى في  
انحاء البلاد كلها . وهذه الاخبار كلها جعلتني وزملائي مسرورين غاية  
السرور .

واصبحت احلامي بالامبراطور اكثر حيوية . وتتبع الاخبار ببالغ  
الاهتمام معلقا آمالى على الجنود اليابانيين الذين كانوا يدبحون ابناء وطنى .  
وبعد احتلال اليابانيين لمقاطعة رخه (٤) عام ١٩٣٣ اقامت مأدبة لتهنئة  
موتو والضباط الآخرين الذين اشتركوا في القتال ، ولأتمنى لهم دوام الانتصارات  
العظيمة . وعندما توقف الرتل اليابانى بعد احتلاله ميون ، تحلى بعد خمسين  
كيلومترا فقط عن بكين ، اصبحت بخيبة امل شديدة . واخبرني تشنغ شياو  
شيوى ان الاحتلال العسكري اليابانى لشمالى الصين وحتى لجنوبها ليس الا  
مسألة وقت ، والمسألة الملحة حاليا هي اقرار شكل " دولة منشوريا " وقال ان

هذا لا يقره جيش قواندونغ بل طوكيو ؛ فقد سمع ان كثيرا من رجال الدولة اليابانيين الكبار مؤيدون لعودتى الى العرش . لذلك شعرت بضرورة ان يكون لى شخص فى طوكيو يعمل على كسب تأييدهم ، او ليزودنى على الاقل بآخبر الاخبار .

وكان الرجل الذى اخترته لهذه المهمة هو حارسى كودوتيتسو سابورو ، اليابانى الذى رافقنى من تيانجين الى الشمال الشرقى . فقد اعطانى انطباعا عن عدم ارتياحه لموقف جيش قواندونغ ، وكان اليابانى الوحيد الذى يخاطبنى بعبارة "جلالتكم الامبراطورية" بعد ان اصبحت رئيسا تنفيذيا . وقد اظهر ذات مرة ولاءه لى بتدوفه كوب شاي شككت فى انه يحتوى سما ومنحته الاسم الصينى تشونغ ( "مخلص" ) وعاملته على انه واحد من ابناء اسرتى . وعندما عاد من اقامته القصيرة فى اليابان اخبرنى بأنه رأى مينامى جيرو وبعض الاشخاص القياديين فى جمعية التنين الاسود ، وانه سمع بأن السلطات العسكرية مؤيدة للملكية . وهذه الاخبار جعلتنى اعتقد بأن فرصتى قد اصبحت وشيكة . وتأكدت تقارير كودو فى اكتوبر ١٩٣٣ . فقد اباننى هيشيكارى تاكاشى ، قائد جيش قواندونغ الجديد ، رسميا بأن الحكومة اليابانية على وشك الاعتراف بى "عاهلا لامبراطورية منشوريا" .

فطرت فرحا ، واول ما خطر لى ان احدد ملابس التنين الامبراطورية . وقد جلبت هذه الملابس من بكين . حيث كانت محفوظة عند احدى الزوجات العليات ، ولكننى لم استطع لبسها لأن جيش قواندونغ وضع لى ان اليابان اعترفت بى "عاهلا لامبراطورية منشوريا" وليس لأسرة تشينغ العظيمة . وتعين ان البس بدلا من ذلك "بزة القائد العام للقوات البرية والبحرية والجوية لامبراطورية منشوريا" . فقلت لتشنغ شياو شيوى :

— هذا لا يمكن ان يتم اطلاقا . اننى سليل آيشين — جيولوه ، لذلك سأستمر فى النظام الامبراطورى . وازضافة الى ذلك ماذا سيقول ابناء عشيرة

آيشين - جيولوه اذا رأوني ارتقى العرش بيزة اجنبية الطراز ؟  
فقال تشنغ شياو شيوى وهو ينظر الى ثياب التنين الموضوععة على الطاولة :  
- ان جلالتكم على صواب تام ، ولكن ماذا سيقول جيش قواندونغ ؟  
- اذهب وحدثهم نيابة عنى .

وبعد ان غادر حدقت الى ثياب التنين بعاطفة مشبوبة ، تلك الثياب التى  
حفظتها الزوجة العلية رونغ هوى اثنتين وعشرين سنة . لقد كانت ثياب تنين  
امبراطورية حقيقية لبسها قبلى الامبراطور قوانغ شيوى ، ثيابا ظلمت احلم  
بها اثنتين وعشرين عاما . سوف البسها لأرتقى العرش من جديد ، وهذا سيحدد  
اعادة ملكية اسرة تشينغ .

ورجع تشنغ شياو شيوى قبل ان يعاودنى الهدوء ، وقال ان جيش قواندونغ  
يصبر على ان البس بزة عسكرية من اجل التتويج . فلم ارض بذلك ، وارسلت  
تشنغ للتفاوض معهم مرة ثانية . وفيما بعد وافقوا على السماح لى بلبس ثياب  
الثنين لأداء مراسم " اعلان الارتقاء الى السماء " ، فرضيت بذلك .

وفى ١ مارس ١٩٣٤ اديت الشعائر القديمة لاعلان ارتقائى فوق " مذبح  
سماوى " ترابى نصب فى ضاحية تشانغتشون الشرقية ، وبعد هذا عدت الى  
مقرى حيث بدلت ثياب التنين الى بزة " القائد العام " لأؤدى مراسم التتويج .  
وقد اعطى " مكتب الرئيس التنفيذى " اسما جديدا هو " مكتب القصر " ،  
واصبح المكان الذى كنت اقيم فيه يدعى " قصر الامبراطور " . ( عبارة  
" القصر الامبراطورى " لم يكن ممكنا استخدامها لأن ذلك كان اسم  
القصر للامبراطور اليابانى . ) وباستثناء مبنى جديد آخر فان القصر كان  
بالضبط هو " مقر الرئيس التنفيذى " بعد ان اعيد تزيينه واعطى اسما  
جديدا . وفى احدى قاعاته اقيمت حفلة التتويج .

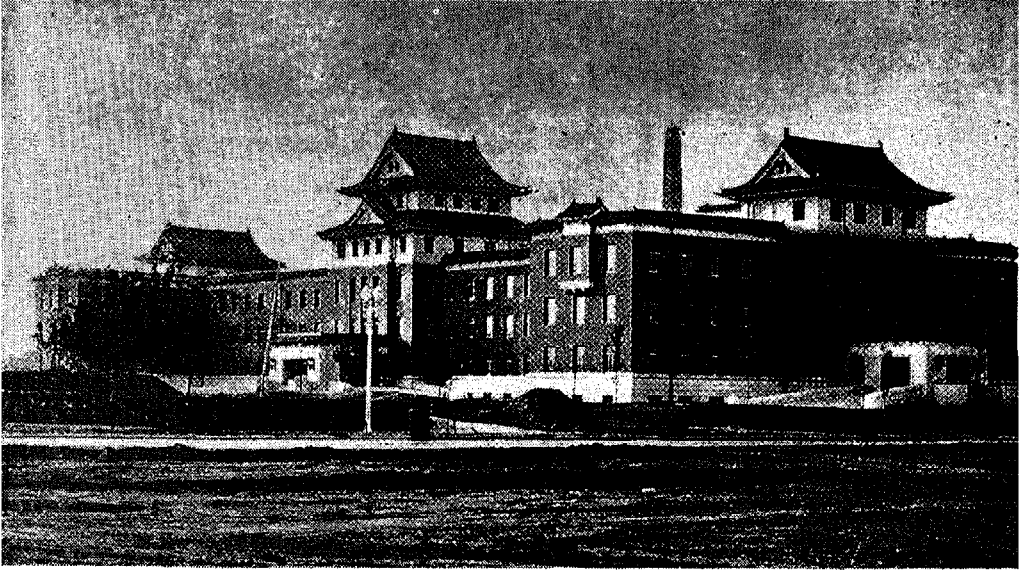
فرشت الارض بسجادة قرمزية . وعلق على جزء من الجدار الشمالى  
ستائر حرير وضع امامها كرسي على الظهر نقش عليه " الشعار الامبراطورى "



في الطريق لتسلم منصبه "رئيس تنفيذي"  
لدولة منشوريا" في ٩ مارس ١٩٣٢

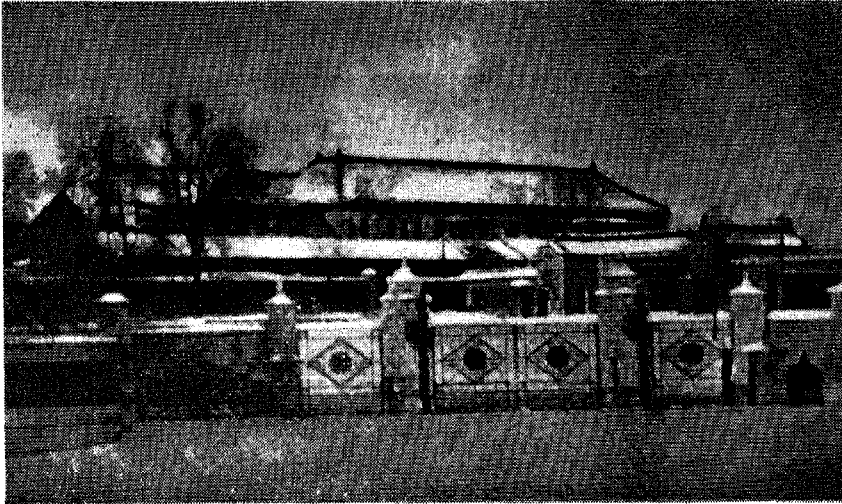
التوجه لتقديم القرابين للسماء قبيل الاحتفال بـ "ارتقائي"  
عرش "امبراطورية منشوريا" في ١ مارس ١٩٣٤

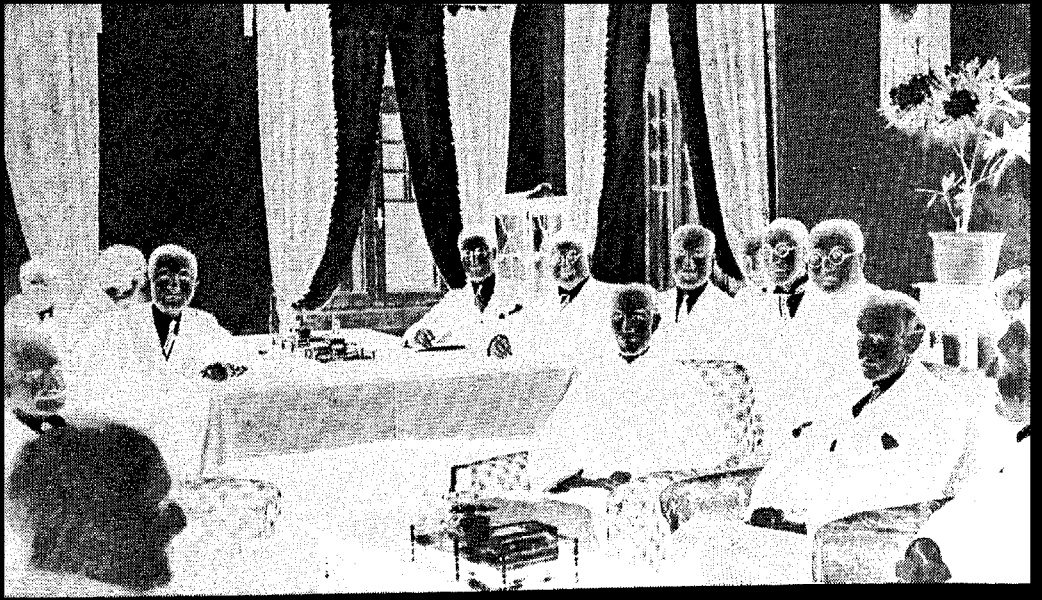




المقر العام لجيش قوانغدونغ الياباني

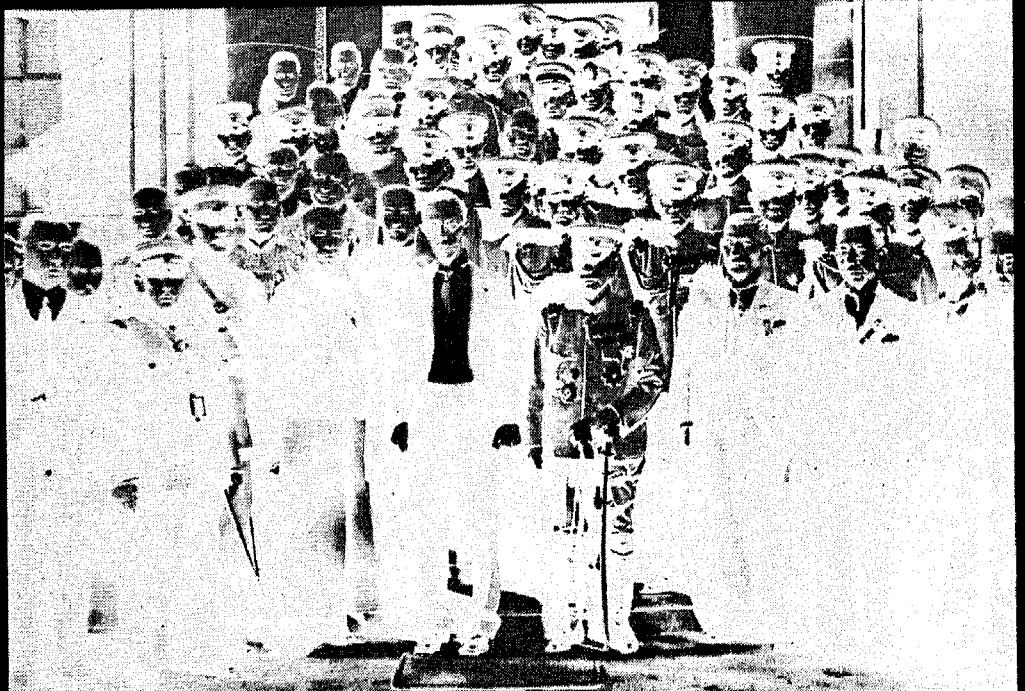
”قصرى“ فى تشانغتشون

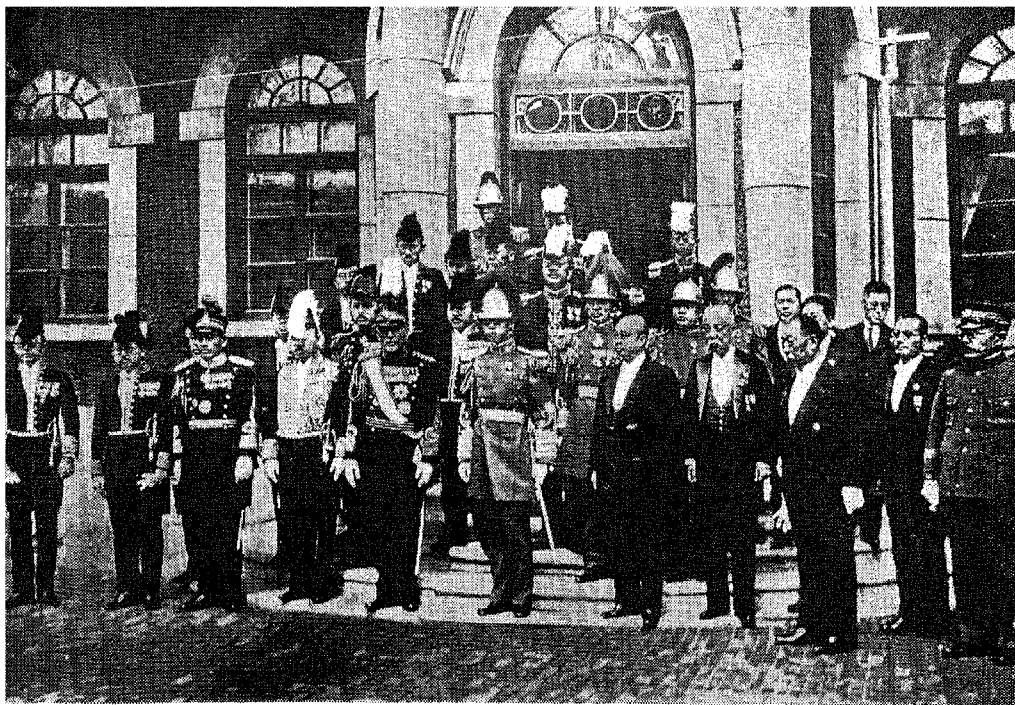




تشنغ شياو شيوى يقابل لجنة ليتون . الثاني من اليمين : اللورد ليتون ، السادس من اليمين :  
 تشنغ تشوى ، السابع من اليمين : تشنغ شياو شيوى ، العاشر من اليمين : كوماي توكيوزو

بعد توقيع " بروتوكول اليابان - امبراطورية منشوريا " . الصف الامامى ، الرابع من اليمين : موثو نوبويوشى ، قائد  
 جيش قواندونغ . السابع من اليمين : تشانغ جينغ هوى . الصف الثاني ، السابع من اليمين : اتاجاكي سايشيرو

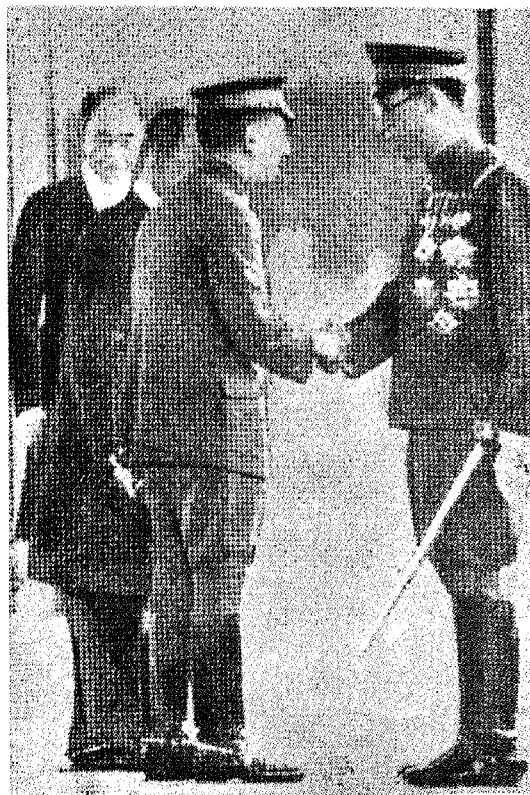


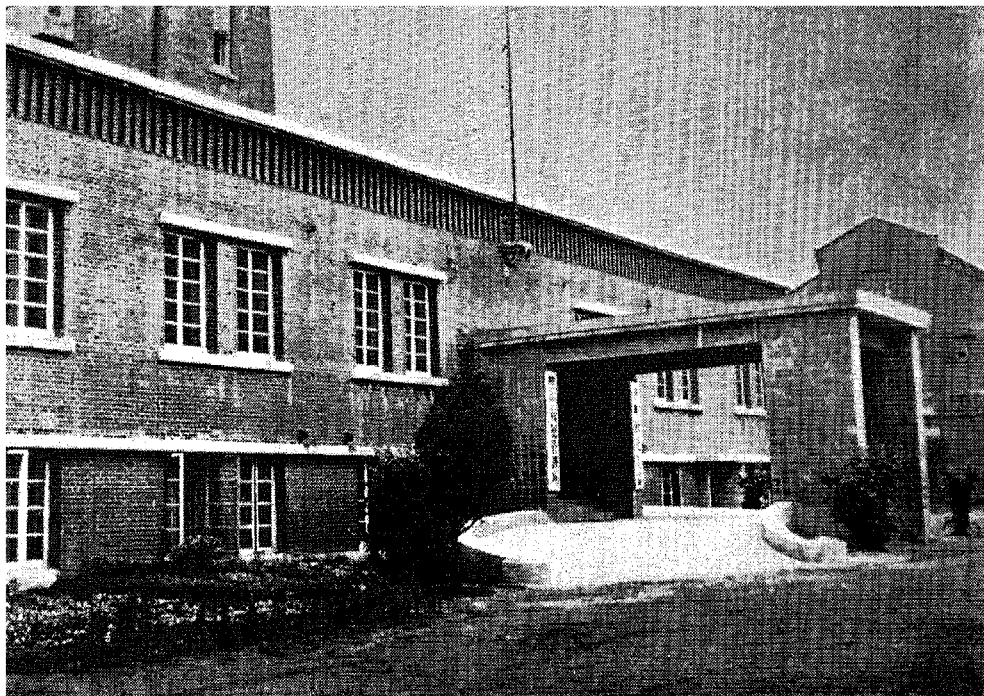


صورة جماعية تضم "امبراطوري الاعلى" ،  
 قائد جيش قواندونغ هيشيكاري  
 تاكاشي (الخامس من اليسار) ،  
 التقطت بعد تتويجي امبراطورا عميلا

لقائي مع الامبراطور الياباني هيروهيتو  
 خلال زيارتي الى اليابان عام ١٩٣٥

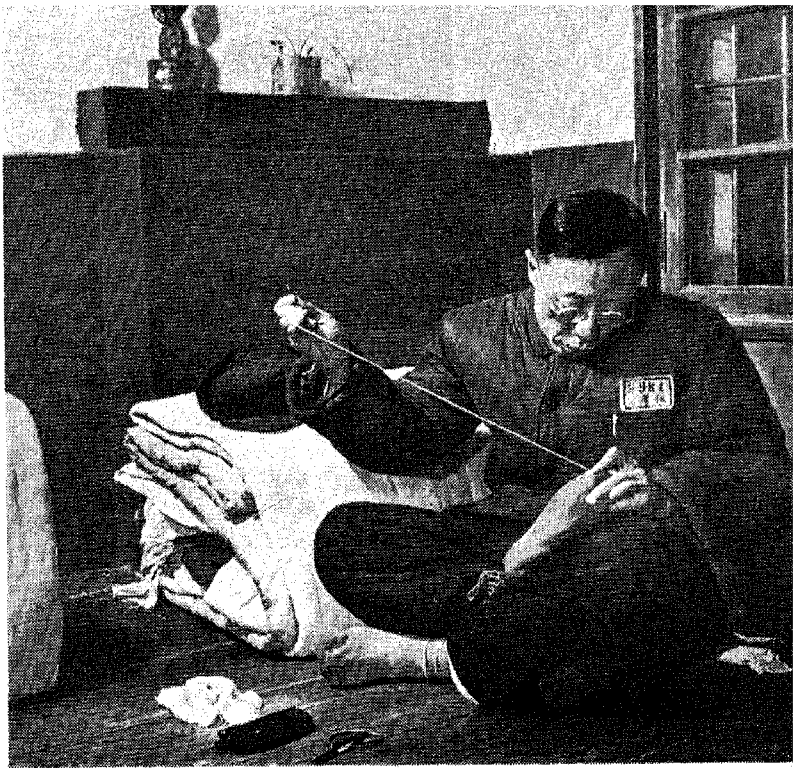
التعبد في "معبد التأسيس الوطني"





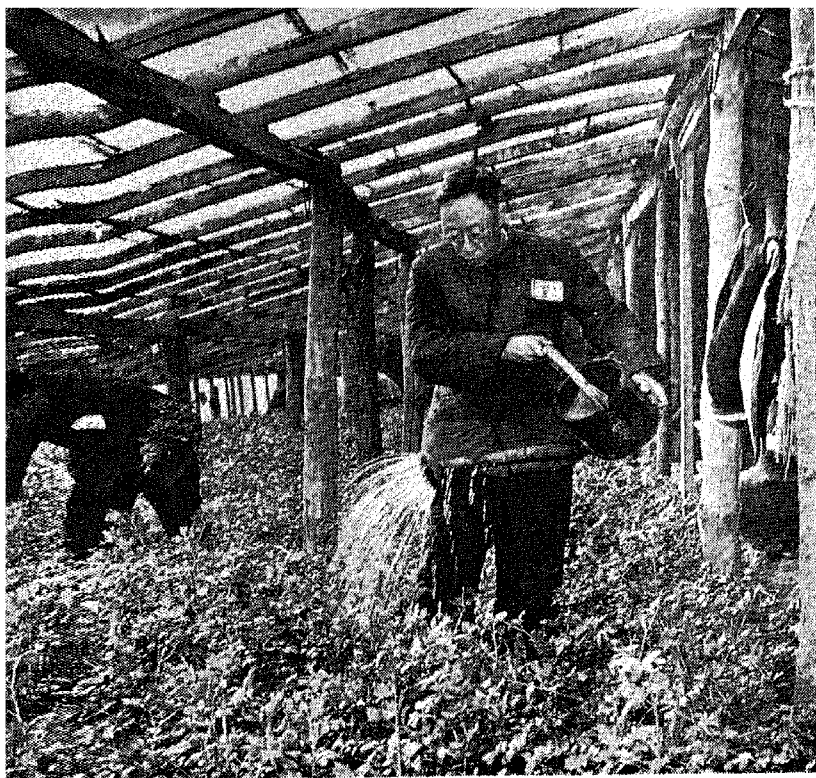
سجن مجرمى الحرب فى فوشون





التعلم من لا شيء





سقى النباتات  
داخل الدفيئة

العمل

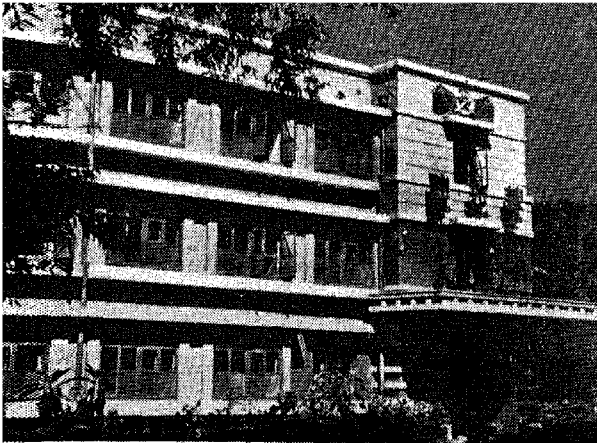
تحسين الفناء



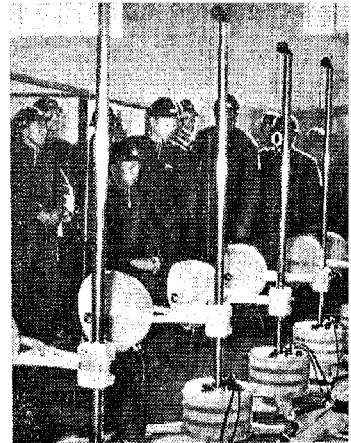


حانوت تحت الارض

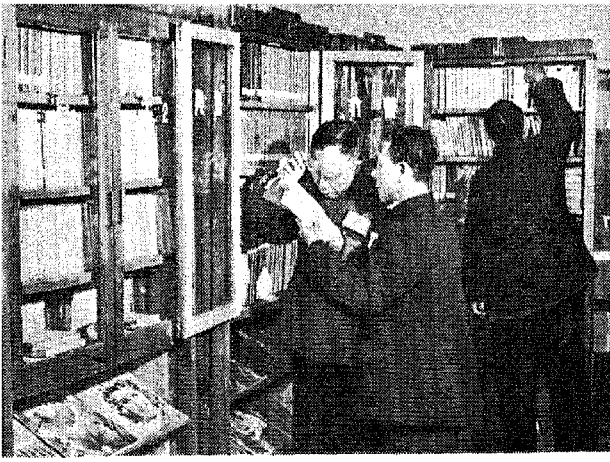
زيارتنا الى مناجم فوشون



دار العمال العجزة



قاعة المصباح الشمسي



## الدراسة والحياة اليومية

في الاعلى : راجعة المصادر

في الوسط : مطالعة آخر عدد  
من صحيفة الحائط

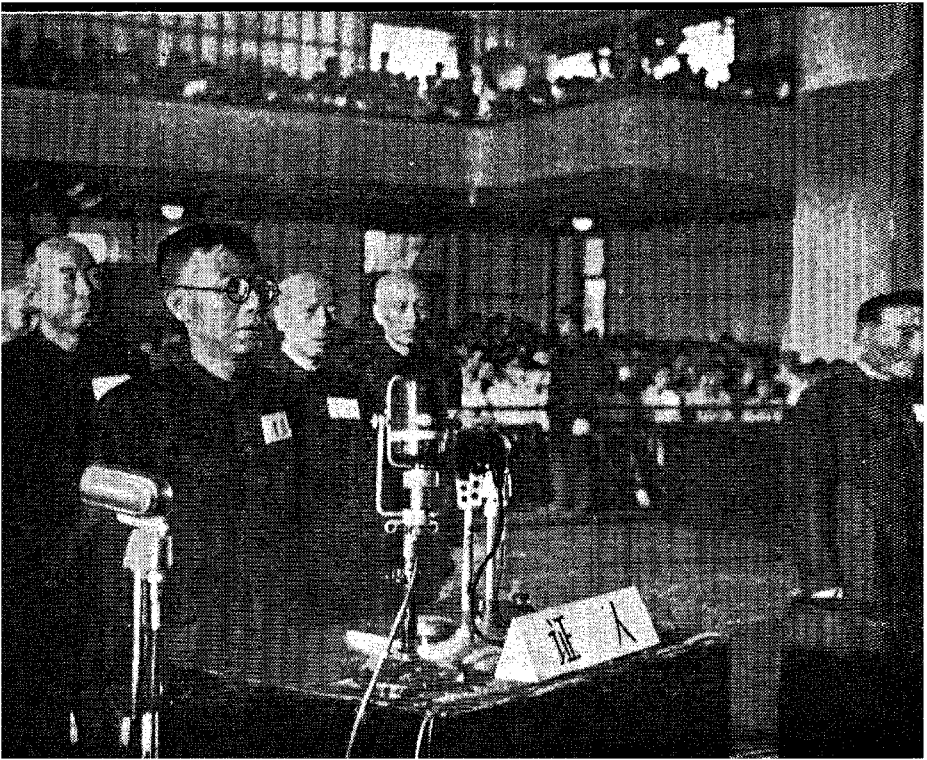
في الاسفل : دراسة الطب التقليدى  
الصينى



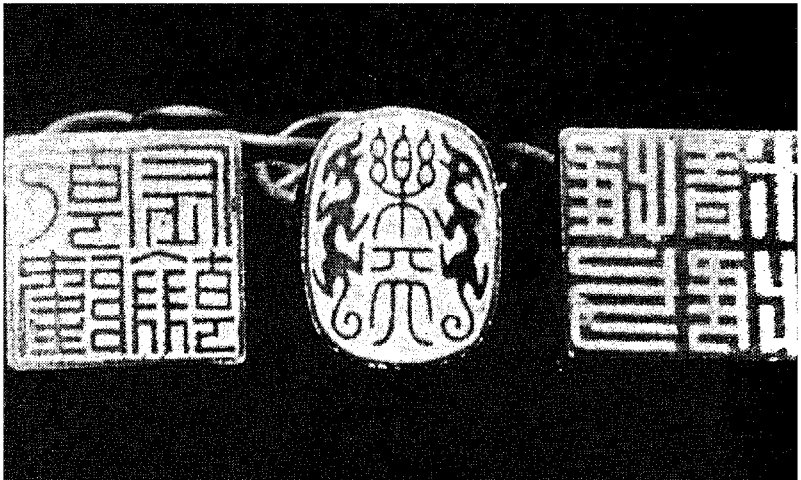
التمارين الصباحية



لعبة ويتشى مع بوجيه



الظهور شاهدا في المحكمة العسكرية للمحكمة الشعبية العليا . واقفا على اليمين فوروى تاداويوكي



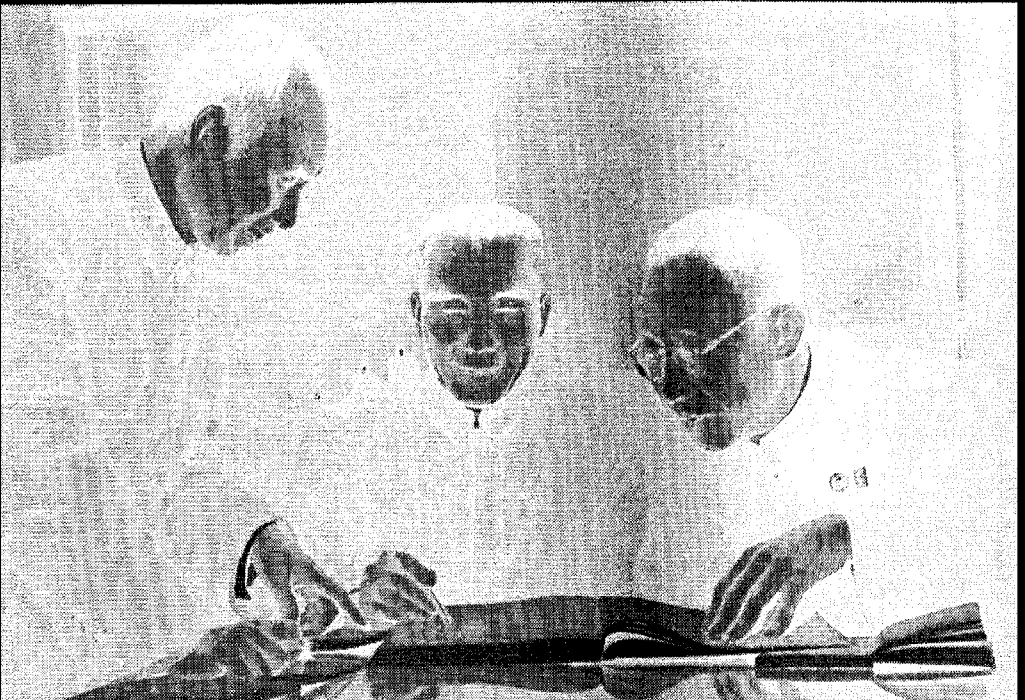
تراث الاسرة الذي سلمته للدولة :  
الأختام الامبراطورية من حجر "تيانهاونغ"





العمل في حديقة  
بكين للنباتات

دراسة الأدب والتاريخ مع  
زميلي يانغ بوه تاو (الاول  
من اليسار) ووانغ ياو  
وو (الثاني من اليسار)







ثلاثة اجيال من عشيرة آيشين - جيولوه يمزون  
 عيد الربيع عام ١٩٦١ في بيت تساي تاو .  
 تساي تاو يمينى ال اليمين ، و بو جيه خلفى

已选

**选 民 証**

姓名 覺新 羅溥儀

性別 男 年齡 54 岁

注意: 一、憑証參加选举  
 二、只准本人使用

北京市 區(區)選委会 發

1960年11月26日

بطاقتى الانتخابية



صورة اخذت بمناسبة الذكرى السنوية الخمسين لثورة ١٩١١ .  
من اليسار : لو تشونغ لين ، من اليمين : شيونغ بينغ كون

جانب من الزفاف يوم عيد العمال عام ١٩٦٢ ، عروستي لي شو شيان وانا ، الثاني والثالث من اليمين ، الصف الاوسط





التوجه الى العمل في الصباح مع زوجتي لي شو شيان

من نبات السلحوب ووقفت امام هذا الكرسي وعلى جانبي الاثنين موظفو القصر . ووقف الموظفون المدنيون والعسكريون ، وعلى رأسهم رئيس الوزراء تشنغ شياو شيوى ، فى صف امامى وانحنوا لى انحناء شديدة ثلاث مرات . وانحنيت ردا على انحناءاتهم . ومن ثم قدم لى هيشيكارى قائد جيش قواندونغ اوراق اعتماده " سفيرا " يابانيا وهنائى . وانتهت المراسم ، وجالست على كرسي العرش ، فأدى لى ابناء عشيرة آيشين - جيولوه الذين جاءوا من بكين وبعض اعضاء ادارة الاسرة السابقين السجدة التسع وانا جالس على الكرسي . وارسل لى مخضرمو اسرة تشينغ من الصين جنوبى السور العظيم مذكرات التهئة ، وكان زعيم عالم الرذيلة والاجرام فى شانغهاى تشانغ يوى تشينغ بين اولئك الذين اعلنوا عن انفسهم اتباعا لى .

وفى ٦ يونيو جاء الامير تشيشيو ( تشيشيو - نو - ميا ياسوهيتوا ) ، ليهنئى باسم شقيقه الامبراطور اليابانى . واعطانى الوشاح اليابانى الكبير الاقحوانى ، كما اعطى وان رونغ وسام التاج .

ولم احصل على جميع الحقوق التى كان هو سى يوان يذكرنى بالمطالبة بها دائما ، ولكننى كنت غافلا عن ذلك . وكانت الطريقة التى استقبلت بها والدى فى محطة تشانغتشون عندما جاء من بكين مع اشقائى وشقيقاتى بعد شهر ، صورة رائعة للنشوة العظيمة التى كنت استشعرها .

فقد ارسلت مجموعة من موظفى القصر والحرس ليصطفوا على رصيف محطة القطار لاستقباله ، بينما انتظرت انا ووان رونغ خارج بوابة القصر : وليست هى ملابس البلاط بينما لبست انا البزة العسكرية ، وغطى صدرى بالنياشين اليابانية و" المانشوية " ونياشين من " امبراطورية تشينغ العظيمة " ارسلت فى طلبها من جنوب السور العظيم . ولما كنت لا اجرؤ على لبس نياشين تشينغ هذه امام جيش قواندونغ ، فقد سررت بهذه المناسبة لاطهارها . وعندما وصلت سيارة والدى الى القصر حيثه تحية عسكرية وركعت له

وان رونغ ، ومن ثم رافقته الى قاعة جاوس لم يكن فيها احد سوانا . فركعت له وحييته على الطراز القديم .

واقيمت فى ذلك المساء مآدبة كبيرة ، وكان اسلوب الطبخ وقاعدة التشرىفات غريبين ، وجلست انا ووان رونغ على رأس الطاولة بصفة مضيف ومضيفة . وربت الامور بحيث تعزف جوقة موسيقية منذ اللحظة التى ندخل فيها قاعة المآدبة ؛ ولا اذكر الآن ما عزفته تلك الجوقة ، وربما لم اختر اى مقطوعة خاصة لأننى كنت احب اى شىء يعزف على البوق .

وعندما حان وقت شرب الشامانيا رفع اخى بو جيه كأسه ، وفقا لما رتبت مقدما ، وهتف : ” عاش الامبراطور صاحب الجلالة ! ” فاشترك جميع افراد اسرتى فى ترديد هذا الهتاف ، مما جعلنى اتيه زهوا .

١٠ وفى اليوم التالى اخبرنى موظف القصر الكبير ، باو شى ، ان القيادة العامة لجيش قواندونغ قد ارسلت شخصا ليحتج باسم السفير اليابانى على اختراقى للاتفاقية بين سلطات الشمال الشرقى السابقة واليابان التى على ” امبراطورية منشوريا ” الالتزام بها ، وذلك بارسالى حرسا مسلحا الى المحطة . فبموجب هذه الاتفاقية اعتبر شريط الارض الذى على جانبى خط السكة الحديدية ارضا لادارة سكة حديد جنوبى منشوريا ، ولم يكن مسموحا لأى مسلح بدخولها ما عدا افراد الجيش اليابانى . وازادت القيادة العامة لجيش قواندونغ – لا ، السفير اليابانى – ضمانا بألا يتكرر مثل هذا التجاوز ثانية . وكان هذا كافيا لأن يردنى الى صوابى ، ولكن اليابانيين ابقوا لى كثيرا من ماء الوجه . فلم يقوموا بأى احتجاج علنى ، ولم يقولوا عن تلك الحادثة اكثر من ذلك بعد ان ارسلت شخصا ليعتذر ويعد بأن لا يحدث ذلك ثانية . والأهم من هذا انهم رتبوا اشياء كثيرة من الابهة والحفاوة لارضاء غرورى وايقائى اعصى عن الحقيقة .

واكثر ما وجدته باعنا على النشوة فى نفسى هو تلك الزيارات والجولات

## ” الامبراطورية “ :

فقد رأى جيش قواندونغ وجوب قيامى برحلة او رحلتين الى خارج تشانغتشون كل سنة ، وسموا هذه ” الجولات الامبراطورية “ . وتعين ان اشترك كذلك فى اربعة احتفالات رسمية سنويا فى تشانغتشون . احدها تقديم القربان عند ” باغودا الارواح المخلصة “ لليابانيين الذين قتلوا فى الحرب العدوانية ؛ والثانى تقديم القربان للجنود الموتى من جيش ” امبراطورية منشوريا “ العميل فى ” معبد الارواح المخلصة التى اسست البلاد “ ؛ والثالث زيارة مقر القيادة لجيش قواندونغ لتقديم التهانى فى عيد ميلاد الامبراطور اليابانى ؛ والرابع هو حضور الاجتماع السنوى لـ ” جمعية الوثام “ . ووصف زيارتى الى اجتماع ” جمعية الوثام “ يمكن ان يوضح الضجة السخيفة التى صاحبت هذه المناسبات .

لقد انطلقت الى هناك فى موكب من السيارات جدير بامبراطور . وتحركت فى البداية سيارات الدرك ، وتلتها على مسافة سيارة حمراء مكشوفة يجلس فيها مدير الشرطة . وخلفها اتت سيارتى ، وكانت حمراء ايضا ، وعلى كل جانب من جانبيها دراجتان ناريتان . وفى مؤخر الموكب سيارات اتباعى وسيارات اخرى للدرك .

وقبل يوم من خروجى كان بوليس ودرك تشانغتشون يقبضان على جميع ” الشخصيات المريبة “ و” المتشردين “ القبيحين ، وفى اليوم نفسه انتشر رجال الدرك على طول الطريق التى سأسلكها ليمنعوا الناس من السير فيه ، ولم يكن يسمح لأحد بالدخول الى المحلات والمنازل المحاذية للطريق والخروج منها او حتى بأن يطلوا برؤوسهم من النوافذ ، وكان الرمل يذر على الطريق المؤدية الى ” جمعية الوثام “ . وقبل ان تغادر سيارتى القصر تعان محطة الاذاعة على المدينة كلها باللغتين الصينية واليابانية ان ” عربة الامبراطور صاحب الجلالة تغادر القصر “ . ولدى سماع هذا الاعلان يخرج جميع

موظفى "جمعية الوثام" للقائى ، وعندما تصل سيارتى ينحنون لى انحناءة شديدة يرافقها عزف "النشيد الوطنى" . وبعد استراحة قصيرة اقبل "وزرائى" . وعندما ينتهى هذا الفصل اذهب الى القاعة الرئيسية واعلى المنصة على انغام موسيقى ، وينحنى المجلس بكامله انحناءة شديدة ، وينحنى قائد جيش قواندونغ انحناءة خفيفة ، فأهز رأسى ردا على تحيته . ثم اتلو خطابا على اعضاء المجلس الذين يقفون جميعا ناكسى الرؤوس اذ لا يسمح لهم بالنظر الى الاعلى ، ويختم ذلك بانحناءة جماعية شديدة لدى مغادرتى القاعة . وعندما اتحرك عائدا الى القصر يذاع اعلان آخر من مكبرات صوت فى كافة انحاء المدينة ، وعلان ثالث لدى وصولى القصر .

وقيل ان هذا كله قد اخذ عن اليابان . وكانت الكلمات المطبوعة على صورتى الفوتوغرافية ايضا مأخوذة عن اليابان . وكان يكتب على صورتى "السيما الامبراطورى" ، ولكن عندما اخذت اشجع اللغة الصينية ذات الطراز اليابانى ، التى مال اليها اليابانيون تحت اسم "اللغة الوثامية" اعيدت تسميتها الى "صورة الامبراطور الحقيقية" . وكانت هذه الصور تعرض فى الدوائر والمدارس و وحدات الجيش وجميع المؤسسات العامة . فمثلا كان بquam نوع من المشكاة فى قاعات اجتماع الدوائر ومكاتب مدرء المدارس ؛ وفى خارج المشكاة تعلق ستارة ، وخلفها تعلق صورتى مع نسخة عن "مرسومى الامبراطورى" . وكل من يدخل القاعة عليه ان ينحنى اولا نحو الستارة . ومع انه لم يكن هناك قانون يأمر المواطنين العاديين باقتناء "صورة الامبراطور الحقيقية" فى بيوتهم ، الا ان "جمعية الوثام" غالبا ما كانت تجبر الناس على شراء صورتى المشتركة مع صورة وان رونف وتعليقها فى حجراتهم الرئيسية . والمراكز الرئيسية التى كانت تنتشر فيها هذه الوثنية هى المدارس والقوات المسلحة . فكان يعقد اجتماع فى المدارس و وحدات الجيش كل صباح يترتب فيه على المشتركين الانحناء الشديد ، اولا فى اتجاه القصر الامبراطورى

في طوكيو ، ومن ثم باتجاه قصرى في تشانغتشون : وكلما مرت الذكرى السنوية لصدور احد " مراسيمى " ، كان يقرأ عاليا . وسأقول المزيد عن هذه " المراسيم " فيما بعد .

وان اخوض في الحديث عن " الجولات الامبراطورية " التى بنى بها اليابانيون سلطاني . فقد قاموا بها على اكمل وجه ، وهذا بحسب خبرتى لم يكن لمجرد جعل الصينيين يتعودون الطاعة العمياء ويؤمنون بالمعتقدات الخرافية والاقطاعية ، بل لترك نفس التأثير في الشعب اليابانى ايضا . فما زلت اذكر ان كبير العمال اليابانى في احد مناجم الفحم قد تأثر حتى البكاء بسماع كلمات قلتها له على انها " وسام شرف " . وهذا جعلنى بالطبع اشعر اننى ذو شأن حقا .

بلغت اوهامى وافكارى الخاطئة اوجها عند زيارتى لليابان في نيسان ١٩٣٥ حيث ظننت انى قد وصلت الى قمة السطعة . قام بكل ترتيبات هذه الزيارة جيش قوانونغ . وقالوا انها ستكون ضرورية لأعرب عن امتنانى للامبراطور اليابانى على ارساله الامير تشيتشيبو لتهنئى بارتقاء العرش ، ولأتمكن من ابداء دليل شخصى على " الصداقة اليابانية - المانشوية " .

وشكلت الحكومة اليابانية لجنة استقبال من اربعة عشر عضوا يرأسها البارون هاياشى غونسوك ، عضو المجلس الاستشارى . وارسلت البارجة " هاى مارو " لتحملنى ، وبصحبته سفن حربية اخرى للحماية . وعندما ابهرت من داليان استعرضت المدمرات اليابانية وكانت هناك مائة طائرة تحاق تحية لى فوق سماء يوكوهاما . واذكر اننى نظمت قصيدة تملق وانا اعانى من دوام البحر واشعر بأننى غمرت بالتشريف الذى استقبلت به فى هذه الرحلة .

البحر منبسط كمرآة

وانا اقوم برحلة طويلة .



البلدان يرقعان ايديهما ،  
من اجل عزة الشرق .

وفي اليوم الرابع من هذه الرحلة شاهدت مناورات قامت بها سبعون  
سفينة حربية ، فكتبت بعض الايات الاخرى :

القوارب التي تبحر عشرة آلاف لى  
تمخر عباب الامواج المحلقة ،  
بينما السماء والارض  
تمتزجان فى زرقة لازوردية واحدة .  
لم اقطع هذه المسافات  
لأتمتع بمرأى الجبال والمياه ،  
ولكن لكى نجعل تحالفنا مشرقا  
مثل الشمس والقمر .

وهكذا حتى قبل ان تطأ قدمى ارض اليابان اخذت بعظمتها ، واعتبرت  
جميع التشريقات التى لقيتها فى الرحلة دليلا على ان اليابان تحترمنى احتراماً  
وديا وتساعدنى مساعدة حقيقية . وبدت لى جميع هواجسى الماضىة لا اساس  
لها الآن .

وعندما وصلت الى طوكيو جاء الامبراطور هيروهيتو نفسه ليستقبانى  
فى المنحطة . ثم اقام لى مأدبة . وعندما ذهبت لزيارته ، رد لى الزيارة .  
واستقبلت ارباب دولة يابانيين كبار قدموا لى تهانيهم ؛ واستعرضت الجنود  
مع هيروهيتو ؛ وذهبت لزيارة ضريح الامبراطور مييجى ومستشفى عسكري  
كان فيه بعض الجنود ممن جرحوا فى غزوهم الصين . وذهبت كذلك لأقدم  
احتراماتى لأم هيروهيتو . ووصفت الصحافة اليابانية زهمة خرجنا فيها معا ،  
قائلة ان الروح التى ساعدت بها ام الامبراطور اليابانى على صعود مرتفع  
من الارض هى نفس الروح التى ساعدت انا فيها والدى على صعود السلالم

داخل القصر فى تشانغتشون . والواقع اننى لم اساعد والدى مطلقا على صعود درجة واحدة ، وما اسندت والدة هيروهيرو الا لأفوز بالخطوة لديها . وفى اليوم الاخير من زيارتى كان ياسوهيتو ( الامير تشيشيبو ) فى المحطة ليودعنى نيابة عن شقيقه الامبراطور .

وقال فى خطابه الوداعى : ” ان زيارة جلالتك الامبراطورية هذه لليابان اسهام عظيم فى تعزيز الصداقة بين اليابان وامبراطورية منشوريا وان املى ان تعود جلالتك الى بلادكم مقتنعين الاقناع الصحيح بأن الصداقة بين بلدينا يمكن ان تتحقق بالتأكد . “

وكان جوابى متزلفا كالسابق : ” لقد تأثرت تأثرا عميقا بالحفاوة الرائعة التى قدمتها لى الاسرة الامبراطورية اليابانية وبالترحيب الحار الذى قدمه لى الشعب اليابانى . اننى مصمم على ان ابذل كل ما فى وسعى لأكافح من اجل صداقة ابدية بين اليابان وامبراطورية منشوريا . “

وعندما صعدت متن سفيتى دمعت عيناي وانا اطلب من البارون هاياشى ان ينقل شكرى الى الامبراطور ووالدته ، واثاره ذلك ايضا فبكى . ولم يكن فى اى شىء صينى على الاطلاق .

ان المعاملة التى لقيتها من البيت الامبراطورى اليابانى قد اثرت فى نفسى حقا ، وبدا للهواء نكهة مختلفة بعد ان اصبحت الآن امبراطورا . وحسب منطقى كنت مساويا للامبراطور اليابانى ، وشعرت انى اشغل فى ” امبراطورية منشوريا “ المتزلة التى يشغلها هو فى اليابان ؛ لذلك ينبغي لليابانيين ان يعاملونى بنفس الطريقة التى يعاملون بها عاهلهم .

وامتلاأ ذهنى بهذه الاوهام ، فعدت الى تشانغتشون واصدرت ” المرسوم التذكيرى بمناسبة عودة الامبراطور “ الذى دعم بتعابير التملق . ودعوت قائد جيش قواندونج الجديد ، الجنرال مينامى جيرو ، لىأتى لزيارتى حتى اعبر له عن امتنانى ؛ وفى اليوم التالى ( ٢٩ ابريل ) كنت مشاركا متحمسا

في الاحتفال بعيد ميلاد هيروهيتو . وفي اليوم الثالث اصدرت امرا بأن يحضر الى جميع الموظفين الكبار في العاصمة ، سواء منهم الصينيون ام اليابانيون ، ليستمعوا الى حديثي عن زيارتي الى اليابان . ولم اناقش هذا الامر مع اليابانيين مقدما ، كما لم احضر اية مذكرات آخذ عنها حديثي . وعندما حان الموعد تدفقت في الحديث ارتجالا عن زيارتي ، واصفا بالتفصيل كيف قابلني الامبراطور الياباني ومتوسعا في وصف الاحترام الذي عاملني به اتباعه . وانتهى خطابي بالفقرة التالية :

ان الصداقة بين اليابان وامبراطورية منشوريا قد قادتني الى الاعتقاد الراسخ بأنه اذا ما تصرف اي ياباني ضد مصالح امبراطورية منشوريا فسيرتكب بذلك ذنب عدم الولاء لصاحب الجلالة امبراطور اليابان ، وانه اذا ما تصرف اي مانشوى ضد مصالح اليابان فسيكون بذلك غير وفي لعاهل امبراطورية منشوريا . وان عدم الوفاء لعاهل امبراطورية منشوريا هو تماما كعدم الوفاء لامبراطور اليابان ، وعدم الوفاء لامبراطور اليابان يساوى عدم الوفاء لامبراطور منشوريا .

وبعد شهر من عودتي الى تشانغتشون اخبرني مينامى قائد جيش قواندونغ في احد اجتماعاتنا المنتظمة بأن ”رئيس الوزراء تشنغ شياو شيوى يرغب في ان يتقاعد لأنه مرهق من الجهود التي يبذلها .“ ونصحني بأن اوافق على الطلب واستبدل به رئيس وزراء جديدا . وكنت قد سمعت قبلها بأن اليابان غير راضية عن تشنغ وانى انا شخصا كنت ابحث عن عذر ما للتخلص منه ، لذلك عندما عرض مينامى على هذه المسألة وافقت في الحال واقترحت ان يكون تسانغ شى يى خلفا له . وظننت ان مينامى الذى سمع آرائي في الصداقة اليابانية - المانشوية مرتين في الايام الاخيرة سيستجيب حتما لأمرى ؛ ولكننى وجدت لدهشتي اننى اصطدم بجدار من الصخر . فقد اجابني هازا رأسه : - كلا ، ان جيش قواندونغ قد درس المسألة واختار رجلا مناسباً . فلا

داعى الى ان تلتقى جلالتمكم ؛ فكل شىء سيكون على ما يرام اذا انتم اخترتم  
تشانغ جينغ هوى لهذه المهمة .  
والذى حدث انه منذ وقت غير طويل كان تشنغ شياو شيوى هذا قد  
ازعج سادته اليابانيين بقوله انه ما دامت ” امبراطورية منشوريا “ قد شبت  
فلم تعد هناك حاجة اليهم لممارسة تحكم شديد كهذا ؛ لذلك ركضوا جانبا .  
وجمد حسابه المصرفى ، ومنع من الخروج من تشانغتشون . واقام فى البيت  
يائسا تحت مراقبة الدرك اليابانى الى ان مات فجأة بعد ثلاث سنوات . وكان  
ابنه قد مات قبله بثلاث سنوات نفس الميتة . وقد اشيع ان موتهما كان من تدبير  
اليابانيين . وحتى اذا كان هذا غير صحيح فان سقوط تشنغ شياو شيوى  
كان كافيا بحد ذاته لتعطيم اوهاى ؛ ولكنى بقيت سادرا لمدة سنة اخرى  
قبل ان ابدأ رؤية ما كانت عليه حقيقة وضعى .

## نهاية الوهم

منذ انسحاب اليابان من عصبة الامم فى بداية عام ١٩٣٣ وهى تندفع  
فى توسيع قواتها بأقل كبحا من السابق استعدادا للحرب . وقد افردت اهتماما  
خاصا لتعجيل ترتيباتها من اجل غزو الصين بكاملها . وحتى قبل وقوع  
حادثة لوفوشياو فى ٧ يوليو ١٩٣٧ استأنفت اليابان استخدام القوة المسلحة  
واختلاق الحوادث فى شمالى الصين ، بينما قامت حكومة الكومينتانغ فى  
نانجينغ بتنازل اثر تنازل . فقد وقعت ” اتفاقية خه - اميزو “ عام ١٩٣٥  
و” اتفاقية تشين - دويهارا “ ومعاهدات سرية اخرى مكنت اليابانيين من  
التحكم بشمالى الصين ، وتغاضت عن نشاط ” الحكومة العسكرية الذاتية  
الحكم فى منغوليا الداخلية “ و” الحكومة الذاتية الحكم المعادية للشوعيين  
فى شرقى خبى “ وغير ذلك من الاجهزة العميلة . واكدت لليابانيين على نحو

متكرر ” اننا ليس فقط لن نزرع انفسنا في نشاطات او افكار ضد اليابانيين ، بل ليس لدينا اى سبب يدعوننا لأن نكون ضد اليابانيين “ . واعلنت تعميما على الشعب بضرورة ” الوثام مع الجيران “ ، واصدرت كثيرا من اوامر الحظر على النشاطات المعادية لليابانيين تحت طائلة عقوبات شديدة . وهذا كله عزز كثيرا من وضع اليابان في شمالى الصين ، وجعل من ضياع المقاطعات الخمس في الشمال مسألة وقت ليس الا . وفي هذا الوقت كان المتعصبون لاعادة الملكية نشطين في الشمال والشمال الشرقى ، وكنت انا نشوان بتتويجى الثالث . ولكن نظرا الى ان اليابان قد غرزت مخالبيها على نحو اعمق في شمالى الصين ، فقد شددت قبضتها على ” امبراطورية منشوريا “ ، الامر الذى بدأت احس به انا في آخر المطاف .

ان عملية استعمار الشمال الشرقى كانت مريحة للخونة الصينيين . فعندما وضعت الملكية موضع التنفيذ مثلا حقق مؤيديها اشياء اكثر من الرضى النفسى . فالخونة القياديون ، من تشنغ شياو شيوى فنازلا ، قدمت لهم ” مكافآت على جهودهم في انشاء الدولة “ تراوحت من ٥٠ الف الى ٦٠٠ الف يوان لكل واحد وبلغ مجموعها ٨٦٠٠ الف يوان ؛ ومع كل عمل من اعمال النهب ، مثل ” شراء الحبوب الاجبارى “ او ” التبرعات الوطنية “ ، فان جميع الموظفين من رئيس الوزراء فنازلا كانوا يتلقون حصصهم . وبدلا من ان اخوض في تفاصيل جميع الاجراءات اليابانية سأصصف كيف تحولت احلامي باعادة الملكية الى ذعر شديد .

لقد اخبرنى جيش قواندونغ رسميا في الوقت الذى قرروا فيه اقامة ملكية بأن هذا ليس اعادة لأسرة تشينغ . ولم يسمحوا لى بلبس ثياب التنين عند تتويجى ، وتجاهلوا رأيبى في اختيار رئيس وزراء . فتعين على ان اتحقق من مدى الخواء الذى كان عليه سلطانى ، ولكننى كنت شديد النشوة بحيث تعذر على حينذاك ان اعود الى صوابى ، الى ان جاءت الصدمة الاولى في

حادثة لينغ شنغ :

كان لينغ شنغ ابن قوى فو - حاكم عسكري سابق لأسرة تشينغ في منغوليا ، وكان مستشارا في القيادة العامة لجيش الحفاظ على الامن ، التابع لتشانغ تسوه لين . وكان واحدا من اعضاء الوفد الذى جاء الى ليويشون لدعوتى الى ان اصبح " رئيسا تنفيذيا " ، ومن جراء ذلك اصبح ضمن صفوف " مؤسسى الوطن " . وسين القى عليه القبض فجأة في ربيع ١٩٣٦ من طرف جيش قواندونغ كان حاكما لمقاطعة شينغآن في " امبراطورية منشوريا " . ارسل جيش قواندونغ الكولونيل يوشوكا ياسونورى ، " المامق بالبيت الامبراطورى " ، ليخبرنى بأن لينغ شنغ قد انهمك في نشاطات معادية لامبراطورية منشوريا واليابانيين . ووفقا للمعلومات التى بلغنى اياها تونغ جى شيوى فانه قد عبر عن تدمره في الاجتماع المشترك الاخير لحكام المقاطعات ، مما اغضب اليابانيين . وكان من الواضح ان لينغ شنغ قد اتهم اليابانيين بعدم الوفاء بوعدهم ؛ فاتاجاكى كان قد اخبره اصلا فى ليويشون ان اليابان ستعترف بـ " امبراطورية منشوريا " دولة مستقلة ، ولكن اليابانيين فيما بعد تدخلوا في كل مكان . واصبح لينغ شنغ لا سلطة له في شينغآن ، لأن اليابانيين سيطروا على كل شىء . وبعد عودته من هذا الاجتماع الى شينغآن القى القبض عليه .

ووجدت ان هذا الخبر لا يمكن السكوت عنه ، لاسيما وقد تصاهرنا قبل ستة اشهر فقط حيث خطبت شقيقتى الرابعة لابنه . وفيما كنت اتساءل هل يجب ان اذهب واخبر جيش قواندونغ بذلك ، جاء يودا كنيكيتشى ، القائد الجديد لجيش قواندونغ وسفير اليابان ، لرؤيتى وقال :

- قبل بضعة ايام امسكنا قضية كان المجرم فيها من معارف جلالتكم -  
لينغ شنغ ، حاكم مقاطعة شينغآن . لقد كان يدبر تمردا ومقاومة ضد اليابان بالتواطؤ مع البلدان الاجنبية . وقد ثبت للمحكمة العسكرية انه ارتكب

جرائم ضد اليابان وامبراطورية منشوريا ، وحكمت عليه بالاعدام :

فقلت مصدوما :

— اعدام ؟

فهز رأسه لمترجمه وهو يردد الكلمة ، قاصدا من ذلك التأكد من اننى

فهمت :

— اعدام :

ومضى يقول :

— وهذا سيكون تحذيرا يا صاحب الجلالة . ان من الضرورى ان

يقتل تحذيرا للآخرين .

وبعد مغادرة يودا اخبرنى الكولونيل يوشيوكا ان من الافضل ان افسخ

الخطوبة بين اختى وابن لينغ شنغ فورا ، فاستجبت سريعا .

ونفذ الحكم بلينغ شنغ بقطع رأسه ، وقتل فى الوقت نفسه بعض افراد

اسرته . وهذه كانت الحالة الاولى التى علمت بها من حالات اعدام اليابانيين

على قتل موظف كبير من ” امبراطورية منشوريا “ ، وهو الرجل الذى

اراد ان يصبح فى الوقت الاخير قريبا لى . ورأيت ان لينغ شنغ لا بد انه كان

شديد الولاء لى ، ما دام قد اراد هذه المصاهرة ؛ ولكن المقياس الوحيد الذى

حكّمه به جيش قواندونغ هو موقفه من اليابان . ومما لا شك فيه انهم استخدموا

نفس المقياس معى ايضا . ان عبارة يودا حول قتله — تحذيرا للآخرين —

تبدو لى الآن نذير شؤم .

ثم تذكرت ان جيش قواندونغ كان قد سألنى فى ذلك الوقت عن بعض

نشاطات ” اعادة اسرة تشينغ “ فى نهاية سنة ١٩٣٥ ، وقررت ان اكون

اكثر حذرا فى المستقبل . كيف اذن يريد اليابانيون من الناس ان يتصرفوا ؟

وتذكرت رجلا كان مصيره مختلفا تماما عن مصير لينغ شنغ . انه تشانغ

جينغ هوى ، رئيس الوزراء . ومن الواضح ان اليابانيين قد قصدوا ان يضعوا

امامى نموذجين مختلفين : تشانغ ولينغ : ويمكن للمرء ان يأخذ فكرة عن شخصية قاطع طريق تحول الى "رئيس وزراء" وعن التقدير الذى يكنه له اليابانيون من الطريقة التى يكررون بها احد اقواله : " ان اليابان وامبراطورية منشوريا مثل يعسويين مربوطين بخيط واحد . " لقد استخدموا هذا القول لكى " يثقفوا " به الموظفين من حملة الجنسية " المانشوية " .

وعندما كان اليابانيون يطبقون سياستهم فى استيطان الشمال الشرقى ارادوا الحصول على مشروع قانون مصادق عليه من قبل " مجلس الدولة " يمكنهم من مصادرة الاراضى الزراعية فى الشمال الشرقى مقابل ربع او خمس ثمنها . فاحتج بعض " الوزراء " خوفا من ان يؤدى هذا الى تمرد او ان يفقدوا الكثير من الاراضى الواسعة التى تحت ايديهم . وابدى تشانغ جينغ هوى تعليقه قائلا : " ان لدى امبراطورية منشوريا مساحات كبيرة من الاراضى ، والمانشويون بسطاء جدا وجهالة . واذا ما جاء اليابانيون لاحياء ارض بكر ولتعليمهم التكنولوجيا الحديثة ، فان كلا الجانبين سيستفيد . " واقر المشروع . واصبحت عبارة " كلا الجانبين سيستفيد " ملاحظة اخرى مفضلة لدى اليابانيين .

وتلفظ تشانغ جينغ هوى بقول ثالث عندما كان اليابانيون يقومون بشراء اجبارى كبير للحبوب بحيث لم يترك لفلأحى الشمال الشرقى شيئا . وقد احتج بعض " الوزراء " ممن تأثرت مصالحه بتلك الاسعار المنخفضة فى " اجتماع مجلس الدولة " موضحا بأن الفلاحين يموتون جوعا ، واحداث ضجة بالمطالبة بأسعار اعلى . وهذا كان بالطبع شيئا ليس اليابانيون على استعداد للموافقة عليه . فقال تشانغ جينغ هوى : " ان جنود الجيش اليابانى الامبراطورى يبدلون ارواحهم فارسلنا نحن المانشويين بعض الحبوب لهم لا يعادل شيئا بالمقارنة الى عطائهم . ان الجياع سيكونون على ما يرام اذا هم شادوا الاحزمة على بطونهم . " واصبحت عبارة " شد الاحزمة " تعبيرا



مألوفاً لدى اليابانيين ، مع انهم لم يستجيبوا هم انفسهم لهذا المطالب :  
كان قائد جيش قواندونغ يشيد لى دائما بتشانغ جينغ هوى على انه  
رئيس وزراء جيد و” رجل يضع الصداقة اليابانية المانشوية موضع التطبيق “ :  
ولم افكر فى السابق فى مغزى ذلك كله بالنسبة لى ، ولكننى الآن بعد ان  
عرفت مصير لينغ شنغ فهتمت تمام الفهم .

وبعد حادثة لينغ شنغ ازعجنى جدا اجتماع لى مع الامير ده :  
كان الامير ده ، او دمتشوك دونغرب ، اميرا منغوليا استخدمه اليابانيون  
لانشاء ” الحكومة العسكرية الذاتية الحكم فى منغوليا الداخلية “ . وكان  
قد ارسل لى نقودا ابان اقامتى فى تيانجين ، واعطى اخى بو جيه خيولا  
منغولية اصيلة ، وابدى ولاءه لى بوسائل اخرى كثيرة . ثم جاء لرؤية جيش  
قواندونغ فى امر ما ، وحصل منه على اذن بالمجىء لزيارتى ، فحدثنى عن  
خبرته خلال السنوات القليلة الماضية وعن تأسيسه ” الحكومة العسكرية الذاتية  
الحكم “ . ثم اخذ يتدمر ويتشكى من ان اليابانيين فى منغوليا الداخلية مستبدون  
للعاية وان جيش قواندونغ لم ينفذ وعدا واحدا من سلسلة الوعود التى وعده  
اياها قبل تأسيس ” حكومة “ منغوليا الداخلية . وكان ما جعله فى غاية  
الغضب هو افتقاره التام الى السلطة . ووجدت نفسى استجيب لتذمراته  
واحاول التخفيف عنه . وفى اليوم التالى ارسل جيش قواندونغ يوشيوكا ، الملاحق  
بالييت الامبراطورى ، ليسألنى وعلى وجهه تعابير الامتعاض :

— ماذا ناقشتم يا صاحب الجلالة مع الامير ده البارحة ؟  
ولما ادركت ان فى الامر ما يسوء قلت اننا كنا نتحدث احاديث عابرة .  
فتابع سؤاله دون ادنى تراخ :

— هل عبر عن عدم ارتياحه لليابان ؟  
فأخذ قلبى يخفق بشدة . وادركت ان بوسعى ان اقوم بانكار ثابت  
او من الافضل ” ان اتراجع عن طريق التقدم “ . فقلت :

— لا بد ان الامير ده قد اخبركم بكثير من الكذب .  
ومع ان يوشيوكا لم يتتبع هذه المسألة معى اكثر من ذلك ، الا انى  
بقيت فى حالة من الذعر عدة ايام . واستبدت بى الظنون ، وفكرت باحتمالين .  
الاول ان يكون اليابانيون قد وضعوا فى غرفتى جهاز تنصت ، والثانى ان يكون  
الامير ده قد اخبرهم بكل شىء . وامضيت وقتا طويلا لحل هذا اللبس ،  
مفتشا الغرفة لعلى اجد جهاز تنصت . وعندما لم اجد شككت فى ان الامير  
ده قد خاننى ، ولكن لم يكن لى دليل على ذلك ايضا . ووقعت فى حيرة  
تامة .

علمتى هذه الحادثة اكثر مما علمتنى حادثة لينغ شنغ . فلم اعد منذ  
ذلك الحين اتكلم صراحة مع اى شخص خارجى ، وتصرفت بكل حذر  
ازاء جميع الزوار . والناس الذين كانوا يأتون من تلقاء انفسهم لرؤيتى اصبحوا  
اقل فأقل منذ اليوم الذى القيت فيه خطابى بعد ان عدت من اليابان ،  
ولقد توففوا عن المجيء تقريبا بعد زيارة الامير ده . ثم استنبط جيش  
قواندونغ قاعدة جديدة عام ١٩٣٧ فأصر على ان " الملاحق بالبيت الامبراطورى "  
يجب ان يكون حاضرا عندما استقبل شخصا غربيا .

واخذت اشعر بالتوتر اكثر فأكثر بدءا من ذلك العام . لقد انتهى  
اليابانيون من استعداداتهم لغزو واسع النطاق للصين خلال الاشهر الستة  
الاولى من تلك السنة ، ومارسوا قمعاً واسع النطاق للوطنيين المعادين لهم  
فى الشمال الشرقى . واصدروا باسمى قانون عقوبات وشكلوا نظام " باو -  
جيا " للإشراف المتبادل ، واجبروا كل فرد على الانضمام الى " جمعية  
الوثام " ، واصلحوا الطرق وبنوا الحصون ، ووجدوا القرى . واستخدموا  
عشرين فرقة تقريبا ليحاولوا التصدى للجيش المتحالف المعادى لليابانيين  
الذى يعد بـ ٤٥ الف شخص والذى كان يقوم بعملياته فى الشمال الشرقى ،  
بينما القوا القبض فى الوقت نفسه على اعضاء جمعية انقاذ الوطن المعادية

اليابانيين وعلى غيرهم من الناس "المضطربين" . ولم تكن تلك العمليات ناجحة تماما فاضطروا الى تكرارها على نطاق اوسع في السنة التالية باستخدام مليون من الجنود اليابانيين والعملاء . ولكن وفقا لما قاله تونغ جى شيوى فان الناس قد اختفوا في كل مكان من الشمال الشرقى على حين ان عمليات القبض لم تنته قط .

لم اسمع في هذه الاثناء مطلقا اى خبر صادق لا من محادثاتي مع قائد جيش قواندونغ ولا من تقارير "رئيس مجلس الوزراء" . وكان تونغ جى شيوى الشخص الوحيد الذى ظل يطلعنى على حقيقة ما جرى . فقد اخبرنى بأن تقارير الانتصارات في حملات "التأديب" التى اعطاني اياها قائد جيش قواندونغ لم تكن موضع ثقة ، وان من الصعب القول من كان حقا "قطاع الطرق" الذين ابادهم اليابانيون . وقال ان احد اقربائه قد اخذ لأداء العمل الالزامى في بعض المشاريع السرية ، وانه بعد ان انتهى العمل ذبح جميع العمال باستثنائه هو وقلة معه كانوا منحوظين اذ تمكنوا من الهرب . وفي رأيه ان احدى عصابات "قطاع الطرق" الذين اعلن عن سحقهم بزهو عظيم في الصحافة كانت هذه المجموعة من العمال . ولم يمض وقت طويل بعد ان سمعت بهذا حتى اختفى مترجم لغة انكليزية سابق عندي . ولم اعرف مصيره حتى اخبرنى شقيقى بو جيه ذات يوم انه قد القي القبض عليه بسبب صلته بالامريكان عندما كان يعمل في "سفارتنا" في طوكيو ، وقتل على يد رجال الدرك اليابانيين . وقال لى بو جيه ايضا ان هذا المترجم قد بعث اليه برسالة عن طريق حارسه يرجوه فيها ان يطلب منى التوسط له ، ولكنه لم يجرؤ ان يخبرنى بهذا في ذلك الوقت . فطلبت من بو جيه ألا يقول اية كلمة اخرى حول هذا الامر .

كثير من السياسات والقوانين التى وافقت عليها في تلك الايام كانت متعلقة باستعدادات اليابان الحربية وبتقوية حكمها في مستعمراتها الشمال -

شرقية : وقد تضمنت هذه الموافقات : ” الخطة الخمسية الاولى لتطوير الانتاج “ و ” قانون ضبط الممتلكات “ و ” اعادة تنظيم الحكومة “ لتقوية حكم اليابانيين ، واعتبار اللغة اليابانية ” لغة وطنية “ ؛ ولكن لم يترك اى من ذلك تأثيرا كبيرا على كالدنى تركه زواج بو جيه .

بعد ان انهى بو جيه دراسته فى مدرسة لصبيان النبلاء اليابانيين انتقل الى مدرسة الطلبة العسكريين التابعة للجيش اليابانى . وعاد الى تشانغتشون فى شتاء ١٩٣٥ واصبح ملازما اول فى الحرس الامبراطورى . ومنذ ذلك الحين وزملاؤه فى جيش قواندونغ يسعون فى زواجه ويشيدون بفضائل الزوجات اليابانيات . وقد اخبرنى يوشيوكا ، الضابط اليابانى الذى كان ملازما لى ، بأن جيش قواندونغ يأمل بأن يتزوج بو جيه من فتاة يابانية تعزيرا للصدائة بين البلدين .

وذعرت ذعرا شديدا لسماعى هذا الخبر وقررت ان احصل ليو جيه على زوجة من بكين لأحبط مسبقا هذه المؤامرة اليابانية . فمن الواضح انهم قصدوا وضع بو جيه تحت سيطرتهم الكاملة ، والا هم من ذلك ، قصدوا ان ينجب طفلا من اصل يابانى يمكن ان يحل محلى فى المستقبل . ووافق بو جيه على خطتى ، ولكن عندما ضغط عليه يوشيوكا باخباره ان الجنرال هونجو يعمل وسيط زواج له فى طوكيو ، اطاع . وفى ٣ ابريل ١٩٣٧ تزوج من ساجاهيرو ، ابنة الماركيز ساجا . وبعد اقل من شهر اقر ” مجلس الدولة “ مدعوما من جيش قواندونغ لائحة تنص على ان بو جيه وابنه سيكونان خائمين للعرش اذا انا لم ارزق بـدريه ذكور .

وبعد عودة بو جيه من طوكيو قررت ألا اتكلم امامه بصراحة بعد ذلك او آكل طعاما ترسله لى زوجته الا اذا حين يشاركنى بو جيه فى طعامى وبشرط ان يذوق هو اولا طيبخ زوجته . وعندما اوشك بو جيه ان يصبح ابا اصبحت شديدة الاهتمام بأمنى وبأمنه كذلك لأن جيش قواندونغ بدا

قادرا تماما على قتل كلينا من اجل الحصول على امبراطور من اصل يابانى :  
وتنست الصعداء عندما تكشف المولود عن بنت .

وكنت قلنا كذلك حول ما سيحدث اذا رزقت ولدا ، لأن جيش  
قواندونغ جعلنى اوقع وثيقة تقول اننى يجب ان ارسل اى ولد لى الى اليابان  
عندما يصبح فى سن الخامسة ليربى لدى اناس معينين لديهم .

وفى ٢٨ يونيو ، قبل تسعة ايام من قتال ٧ يوليو فى لوقوتشياو ، اصبحت  
بالذعر مرة اخرى . وهذه المرة كانت بسبب حادثة ” حرس القصر “ .

كانت هذه القوة مختلفة عن ” الحرس الامبراطورى “ الذى كان  
تحت سيطرة ” وزارة الدفاع “ ، فقد انفقت عليها من جيبى الخاص ،

وكانت غايتى من تأسيسها ليست مجرد حمايتى بل لتكون تحت سيطرتى  
الشخصية ايضا قوة عسكرية اساسية . وقد تلقى رجالها البالغ عددهم ٣٠٠

جميعهم تدريبا خاصا بالضباط . وفى حينها اخبرنى تونغ جى شيوى الذى  
كان مسؤولا عن القوة ان جيش قواندونغ لم يكن مسرورا بها ، ولو انى لم

اكن قبل الآن قادرا على فهم تحذيرات تونغ .

فى ٢٨ يونيو ذهب عدد من حرس القصر ليرفها عن انفسهم فى احد  
المستشفيات ، وراحوا يتجادلون مع بعض اليابانيين المرتدين ثيابا مدنية حول

استئجار قوارب ، واذا بحشد من اليابانيين يطوقهم ويبدأ فى ضربهم .  
واضطر الحرس الى الدفاع عن انفسهم فضربوا اليابانيين ، ولكن الأخيرين

افلتوا عليهم الكلاب . فأخذ حرسى يضربون الكلاب وقتلوا قسما منها ،  
ثم خرقوا الطوق من حولهم وعادوا الى ثكتهم . ولم يخطر فى ذهنهم قط

ان هذا سيتسبب فى وقوع كارثة . فبعد ذلك بوقت قصير ظهر رجال الدرك  
اليابانيون خارج مكتب القصر مطالبين بأن يسلم تونغ جى شيوى جميع

افراد الحرس الذين ذهبوا الى المنتزه ، فاستجاب تونغ الى مطلبهم مذعورا .  
فأخذهم رجال الدرك اليابانيون وحاولوا اجبارهم على الاعتراف بأنهم كانوا

مشتركين في نشاطات معادية لامبراطورية منشوريا واليابانيين . وعندما رفض افراد الحرس الاعتراف انزل بهم اليابانيون مختلف ألوان التعذيب ، وادرك افراد الحرس حينذاك ان تلك الحادثة كانت عبارة عن مؤامرة متعمدة دبرها جيش قواندونغ . فاليابانيون ذوو الملابس المدنية ارسلهم جيش قواندونغ الى هناك ، واثنان من ضباط هذا الجيش قد اصيبا في ذلك العراك ، والكلاب التي ركلت حتى الموت كانت كلاب جيش قواندونغ كذلك . وعندما سمعت بالقبض عليهم ظننت انهم لا بد ان يكونوا قد احدثوا بعض المتاعب على نحو عرضي ، ولذلك طلبت من يوشيوكا ان يذهب مباشرة الى مقر القيادة لجيش قواندونغ ويحدثهم بالامر . فعاد بثلاثة شروط يمكن بموجبها ان يطلق سراحهم : ان يعتذر تونغ جى شيوى للضابطين الجريحين ؛ ان يرحل افراد حرس القصر الذين "سببوا هذه المشكلة" ، وان اتعهد انا بالألا تتكرر هذه الحادثة ابدا . وبعد ان استجبت لهذه الشروط اجبرت على طرد تونغ جى شيوى من منصبه كقائد لحرس القصر وتعيين يابانى خلفا له ، واضطرت كذلك الى خفض عدد حراس القصر وتبديل بنادقهم الى مسدسات .

كنت في السابق قد ارسلت عددا من الشبان الى الاكاديميات العسكرية في اليابان لأبنى لنفسى قوة عسكرية ، ولكن عندما عادوا نسبتهم "وزارة الدفاع" الى اعمالهم ، كما نسبت اخى بو جيه ، ولم يكن لى اى رأى في هذا الموضوع . وتبين لى من ثم ان خططى لانشاء جيش تحت سيطرتى مباشرة لم تكن الا حلما .

عندما نشب قتال ٧ يوليو وادى الى احتلال اليابانيين لبكين كان بعض الامراء والشخصيات المخضرمة في بكين يتطلعون لاعادة النظام القديم ، ولكننى ادركت الآن ان هذا مستحيل . ولم يبق من اهتماماتى سوى المحافظة على سلامتى من اليابانيين واتقان التعامل مع يوشيوكا "المحقق بالبيت

الامبراطورى“ والذى كان تجسيدا تاما لجيش قواندونغ ؟

## يوشيوكا ياسونورى

اذا شبه المرء جيش قواندونغ بمصدر تيار كهربائى على التحميل وشبهنى بمحرك كهربائى ، فان يوشيوكا سيكون عبارة عن سلك ذى ايصالية عالية .

كان رجلا قصيرا له شارب قصير ووجنتان ناتجتان لازمنى طيلة السنوات العشر منذ بداية قدومه الى القصر عام ١٩٣٥ الى استسلام اليابانيين عام ١٩٤٥ ، حيث اسره الجيش السوفياتى فى نفس الوقت الذى اسرنى فيه ايضا . وفى تلك السنوات ترفع من رتبة مقدم الى فريق . وكان لديه منصبان : احدهما ضابط اركان على الدرجة فى جيش قواندونغ ، والثانى ” ماحق بالبيت الامبراطورى لامبراطورية منشوريا “ . وهذا المنصب الثانى كان مصطلحا يابانيا ، ولكن لم يكن هناك فرق كبير فى كيفية ترجمته لأن الكلمات لا تصف وظيفته الحقيقية . كان هو السلك الذى ينقل لى جيش قواندونغ من خلاله نواياه . وان التجولات التى قمت بها والزوار الذين استقبلتهم ونظام التشريعات الذى تقيدت به والنصائح التى قدمتها الى اتباعى والانتخاب التى شربتها حتى هز رأسى وابتساماتى ، كل ذلك كان تحت ارشادات يوشيوكا . وكان يقرر الاجتماعات التى احضرها ويكتب لى خطاباتى فى لغته الصينية اليابانية الطراز .

وبعد ان اطلق اليابانيون العنان لأنفسهم فى غزوهم الواسع النطاق للصين فى يوليو ١٩٣٧ احتاجوا الى الحبوب والرجال والامدادات من ” امبراطورية منشوريا “ فأمرت تشانغ جينغ هوى ان يقرأ فى اجتماع حكام المقاطعات العملاء تعليما كتبه يوشيوكا . وفى تلك الوثيقة حثتهم على ” تنفيذ واجباتهم

باجتهاد لدعم الحرب المقدسة“ . ان حرب الباسيفيك قد واجهت اليابان بنقص بالجنود ، وانهم ارادوا من جند ” امبراطورية مششوريا“ ان يحلوا محل بعض الوحدات اليابانية المشغلة في الصين . وقرأت تعليما آخر من صياغة يوشيوكا وكان هذه المرة في مأدبة تقام لقادة المناطق العسكرية المختلفة ، عبرت فيها عن تصميمي على ” ان اعيش او اموت مع اليابان ، وان اتحد معهم في القلب والفضيلة . وان احطم نفوذ بريطانيا وامريكا“ .

وفي كل مرة اخبرني فيها يوشيوكا بأن اليابانيين قد احتلوا مدينة صينية رئيسية كان يضطرنى الى ان انهض معه وانحنى انحناء شديدة في اتجاه ميدان المعركة علامة للحداد على الجنود اليابانيين الذين قتلوا في المعارك . وبعد ان جعلني افعل ذلك عدة مرات ، لم اجد حاجة الى الحث لأقوم بانحناءتي عندما اخبرني بالاستيلاء على ووهان .

وكان كلما حققت المزيد من التقدم يزيد في عدد الدروس التي يلتقني اياها . فبعد سقوط ووهان مثلا اقترح على ان اكتب رسالة تهنئة الى السفاح اوكامورا الذي استولى على المدينة وارسل برقية الى الامبراطور الياباني . وبعد ان بنى ” معبد التأسيس الوطني“ اصبحت اذهب اليه كل شهر لأصلي من اجل انتصار الجنود اليابانيين ، وهذا ايضا كان بعد تلقي دفعة قوية عبر السلك الكهربائي نفسه .

لم يتدخل جيش قواندونغ كثيرا في شؤوني الشخصية والخاصة قبل حادثة ٧ يوليو ، ولكن الامور تغيرت بعد ذلك . فقبل الحادثة كان بعض الأقارب يأتيني من جنوب السور العظيم كل سنة لزيارتي في عيد ميلادي وفي مناسبات اخرى ، ولكن بعد حادثة ٧ يوليو لم يسمح جيش قواندونغ الا لعدد قليل بالقدوم الى تشانغتشون في فترات محددة . واصر الجيش الياباني ايضا ان على اقربائي هؤلاء ان يكتفوا بالركوع لى دون التكلم معي ، عدا الحميمين منهم . وبريدى كله كان يقرأه اعوان يوشيوكا اليابانيون في مكتب القصر ، وهو



الذى يقرر ما يمكن ان اطلع عاياه من هذا البريد وما لا يمكن . وكان جيش قواندونغ بالطبع مدركا تماما اننى لم اكن ضد "امبراطورية منشوريا" او ضد اليابانيين ، ولكنه كان يخشى ان اشترك فى خطط لاعادة اسرة تشينغ جنوب السور العظيم ، وهذا كان مصدر ازعاج بالنسبة له .

لقد كان من المستحيل على تماما فى تلك الايام ان اقابل شخصا خارجيا او اتلقى رسالة دون علم يوشيوكا . وكان فى القصر مكتب للدرك خاص برجال درك يابانيين يلبسون بزات خضراء قائمة ؛ ولا احد يمكن ان يدخل او يخرج دون ان يروه ، وكانوا يسمعون كل شىء مما يجرى داخل الفناء . يضاف الى هذا كله ان اليابانيين الذين فى مكتب القصر كانوا ادوات فى يد يوشيوكا ، يعنى اننى كنت تحت رقابة مشددة .

لقد اظهر يوشيوكا براعة هائلة فى الحصول على منصبه فى القصر ، مقيما صداقة مع بو جيه عندما كان احد معلميه فى مدرسة الطابطة العسكريين فى اليابان . وبعض الكتب تقول انه كان صديقا لى ايضا قبل ذهابى الى الشمال الشرقى ، والواقع انه قد حدثنى بضعة احاديث فقط عن الشؤون الجارية فى تيانجين . ومع ذلك فقد سعى للاستفادة من صداقته لبو جيه فى اقناع جيش قواندونغ بأنه صديق شخصى لى ، وهو بفعل ذلك حصل على هاتين الوظيفتين "ملحق بالبيت الامبراطورى لامبراطورية منشوريا" وضابط اركان على الدرجة لجيش قواندونغ .

وثناء وجوده معى قام بزيارات متعددة لليابان ، وكان ينقل غالبا هدايا صغيرة يبنى وبين الامبراطورة اليابانية الام . وقد افنعنى ذات مرة بأن اسجل بعض التحيات باللغة اليابانية الى الامبراطور اليابانى .

وكان اذا تكلم يقبع بـ "اه" "ها" "ها" ويرتعش حاجباه ، وازدادت هذه العادة سوءا مع مضى الوقت ، وكنت اجدها تزيد فى اغصابى ، اذ ان ازدياد التقلص فى عضلات وجهه يعنى تغير موقفه من علاقتنا .

وبعد زيارتي الى اليابان عام ١٩٣٤ كتبت لى الامبراطورة الام بعض قصائد ” واكا “ ، وما قاله يوشيوكا حينذاك كان بمثابة موسيقا فى اذنى : ” ان صاحبة الجلالة الامبراطورة الام مساوية لأم جلالتكم ، وما دمت انا واحدا من اقربائكم تقريبا فاننى اشعر بأن هذا شرف كبير لى . “ وفى ذلك الوقت قال ليو جيه : ” انت وانا قريبين الى بعضنا بعضا كاليد والقدم ، ومع اننى لا استطيع ان ادعى قرابة كهذه مع جلالة الامبراطور ، الا اننى استطيع ان اشعر اننى بالنسبة اليه مثل اصبع القدم لأصبع اليد . اننا انسياء تقريبا . “

وفى عام ١٩٣٦ تقريبا قال لى : ” ان اليابان مساوية لوالد جلالتكم ، اه ، وجيش قواندونغ يمثل اليابان ، اه ، لذلك فان قائد جيش قواندونغ مساو لوالد جلالتكم ، ها . “ ولما كان جيش قواندونغ يواجه المزيد المزيد من المتاعب على الجبهة ، فان مركزى كان ينخفض فى اعين جيش قواندونغ . ومضى يوشيوكا فى النهاية بعيدا فقال : ” ان جيش قواندونغ والدك ، وانا ممثل جيش قواندونغ ، اه . “

وكان من عادة يوشيوكا ان يقوم بزيارات متكررة الى القصر اثناء النهار . واحيانا كان يمكث عشر دقائق ثم يغادر ليعود بعد خمس دقائق فقط . وكان يقدم اسبابا سخيفة لهذا المعجىء والذهاب المتكررين ، كأن يدعى مثلا بأنه نسى ان يقول شيئا ما ، او لم يتذكر ان يسألنى ان كنت بحاجة الى اى شىء منه ليفعله لى فى اليوم التالى . وبالطبع خفت من انه كان يستخدم هذه الاقتحامات المفاجئة وسياسة للتجسس على ؛ ورأيت ان الطريقة الوحيدة التى استطيع بها تجنب الريبة هى ان اوافق حالا على كل ما يقترحه ولا ادعه ينتظر مطلقا . وكنت اراه دائما فى منتصف وقت الاكل .

## ”مراسيم امبراطورية“

جميع الذين درسوا في مدارس ”امبراطورية منشوريا“ اجبروا على حفظ ”مراسيمى الامبراطورية“ عن ظهر قلب . وفى الذكرى السنوية لصدور كل مرسوم تحتشد جميع المدارس والمكاتب الحكومية ووحدات القوات المسلحة لتستمع الى المرسوم يقرأ بصوت جهورى . ففى المدارس مثلا يقف جميع العاملين والطالبة بيزات ”الوثام“ الشديدة الاخضرار وقفه اجلال امام المنصة . ويدخل موظف المدرسة المسؤول عن الايديولوجية والانضباط لابسا قفازات بيضاء رافعا يديه فوق رأسه علبه خشب صفراء ملفوفة بقماش اصفر . وينحن الحشد كله حين يصعد بالعلبة الى المنصة ، ويضعها على طاولة ويفتحها . ثم يخرج منها المرسوم ويتناوله بيديه الاثنتين الى مدير المدرسة الذى يستلمه بيدين فيهما قفاز ، ويبسط هذا المرسوم ثم يقرأه بصوت جهورى . واذا صادف ان كان التاريخ ٢ مايو فانه يقرأ ”المرسوم التذكىرى بمناسبة عودة الامبراطور“ :

منذ ان ارتقيت العرش وانا اتشوق الى القيام بزيارة شخصية للبيت الامبراطورى اليابانى لكى ابدى من خلال تعزيز صداقتنا والتمتع بصحبتهم اعجابى العظيم بهم . وبقيامى بهذه الرحلة الى الشرق تمكنت من تحقيق طموحى الذى يعمر نفسى منذ امد طويل .

وكان البيت الامبراطورى اليابانى فى اقصى درجات الكرم لدى استضافته لى حيث قام بالاستعدادات الرائعة ، على حين استقبلنى رعيته وودعونى بحماسة صادقة ، وهم جميعا دون استثناء على اقصى درجات اللطف والاحترام . ولقد انتجع هذا فى قلبى ، فلن انساه ابدا .

اننا مدركون ادراكا عميقا منذ تأسيس دولتنا الى اليوم الحاضر اننا معتمدون خلال ذلك كله على الانصراف التام للاستقامة ، وعلى الجهود العظيمة لهذا البلد الصديق فى تعزيز الاساس العظيم ؛ وفى هذه المناسبة كنا محظوظين

بما فيه الكفاية حيث تمكنا من التمييز عن تشكرنا القلبي . وفوق ذلك تأكدنا من خلال الملاحظة الدقيقة ان الحكومة في ذلك البلد قائمة على الخير والحب ، بينما تشديد التربية قائم على الولاء والطاعة البنوية ؛ فالناس يحترمون امبراطورهم ويحبون رؤساءهم كما يحبون السماء والارض ؛ وكل واحد منهم مخلص وشجاع ومحب للخدمة العامة ومتفان في سبيل وطنه الام . وهذا هو السبب في انهم قادرون على التمتع بالسلم الداخلى وعلى مقاومة الدول الاجنبية والتعاطف مع جيرانهم لكي يحافظوا على الخط الامبراطورى الذى سيستمر دون تعطل عشرة آلاف جيل . ولقد احتككت شخصا بالعالين والوطنين في ذلك البلد ، فوجدتهم متحدين اخلص الاتحاد في مزاج عام واخلاق مشتركة ؛ وثقتهم المتبادلة راسخة لا يمكن ان تهتز .

اننى وصاحب الجلالة امبراطور اليابان بروح واحدة . فعلى رعايانا ان تعي ذلك تمام الوعى وتكون قلبا واحدا وفضيلة واحدة مع حليفنا ، لكي نرسى اساسا راسخا وثابتا الى الابد لبلدنا ونظهر المعنى الحقيقى للاخلاق الشرقية . وعندها سيكون من الممكن للعالم ان يعيش في سلام والبشرية ان تكون سعيدة . وليكافح جميع رعاياى من اجل التمسك بهذا المرسوم الى الابد .  
بأمر من الامبراطور .

وكان مجموع تلك "المراسيم الامبراطورية" ستة :  
"مرسوم ارتقاء العرش" الصادر في ١ مارس ١٩٣٤ ؛  
"المرسوم التذكيرى بمناسبة عودة الامبراطور" الصادر في ٢ مايو ١٩٣٥ ؛  
"مرسوم ترسيخ قاعدة الوطن" الصادر في ١٥ يوليو ١٩٤٠ ؛  
"المرسوم حول الوضع الراهن" الصادر في ٨ ديسمبر ١٩٤١ ؛  
"المرسوم حول الذكرى السنوية العاشرة لتأسيس الوطن" الصادر في ١ مارس ١٩٤٢ ؛

"مرسوم التنازل" الصادر في ١٥ اغسطس ١٩٤٥ .  
واستبدل بـ "مرسوم ارتقاء العرش" "المرسوم حول الذكرى السنوية

العاشرة لتأسيس الوطن“ . و” مرسوم التنازل“ الصادر في ١٥ آب ١٩٤٥ لم يقرأه احد على الاطلاق . وهكذا فان اربعة مراسيم هي التي كانت هامة . وكان على تلاميذ وطلبة المدارس والجنود ان يكونوا قادرين على استظهارها ، وكل من يتسى هذه المراسيم او يكررها على نحو غير ملائم كان يعاقب . وبالإضافة الى كون هذه المراسيم جزءا من الدعاية الاستعبادية التي طبقتها اليابانيون في الشمال الشرقي فقد استخدمت ايضا تسويغا قانونيا بعيد المدى لقمع جميع اشكال المقاومة . كان ممكنا لأذني استياء يصدر عن اى مواطن من ابناء الشمال الشرقي من هذه النظم الاستعمارية ان يعرضه للقموة . ولو تتبعنا اصل كل مرسوم من هذه المراسيم لتبين لنا الى اى مدى يمكن ان ينحدر الانسان . ونظرا الى اننى قد ذكرت الطريقة التي صدر بها المرسومان الاوليان ، سأحدث الآن كيف تم نشر المرسوم الثالث المعنون ” مرسوم ترسيخ قاعدة الوطن“ .

كنت ذات يوم جالسا في غرفتي مع يوشيوكا . وكنا نحن الاثنين صامتين لأنه قال الشيء الذي جاء ليقوله ، ولكن نظرا الى انه لم يغادر حزرت ان في ذهنه امرا آخر هاما . فنهض وخطا الى ناحية من الغرفة فيها تمثال بوذا : ووقف هناك واخذ يقبع كالخنزير . ثم التفت الى وقال : ” البوذية جاءت من الخارج ، اه ، دين اجنبى . ما دامت اليابان ومنشوريا تشتركان في نفس الروح ، فمن الواجب ان تكون لهما نفس المعتقدات ، ها ؟“

ثم وضع لى ان الامبراطور اليابانى هو سليل الهة الاشرار المشع السماوى (٥) ، وان كل امبراطور هو تجسيد جديد للاله العظيم ، وان جميع اليابانيين الذين ماتوا من اجل الامبراطور سيصبحون هم انفسهم آلهة . ومن خبرتى عرفت ان جيش قواندونغ قد ارسل بذلك تيارا عبر هذا السلك ذى التوتر العالى ، ولكن بعد عبارة يوشيوكا هذه انقطع التيار . وامضيت اياما طويلة

افكر في هذه الخرافات ، ولكنني لم اتوصل الى معرفة ما ترمى اليه .  
كان جيش قواندونغ قد فكر حقا في شيء ارادني ان افعله ، ولكن قائده بودا كان منشغل البال في الهزائم التي لحقت بجنده في قتال الحدود الذي خاضه مع الاتحاد السوفياتي والجمهورية الشعبية المنغولية . وقبل عودته الى اليابان معزولا عن منصبه لهذا الاخفاق ، اشار الى انه من اجل " الصداقة اليابانية - المانشوية " ووحدهما في الروح يجب ان يكون هناك تطابق ديني بين البلدين ؛ وامل ان افكر في هذه المسألة .

وكنت دائما اتبع مدعنا تعاليم " امبراطوري الاعلى " ، ولكن في هذه المرة لم ادر ماذا افعل . فجميع مستشاري القدامى اما انهم غادروا واما انهم نبذوا من اليابانيين ، وازواج شقيقاتي وابناء اشقائتي كانوا من ضلالة الخبرة بحيث لا يرجي منهم اية فائدة . فاضطرت الى التفكير في هذه المشكلة وحدي ، ولكن قبل ان اصل الى نتيجة وصل قائد جيش قواندونغ الجديد ، " السفير " الخامس لدى " امبراطورية منشوريا " ، اوميزو يوشيجيرو ، فأخبرني من خلال يوشيوكا ان دين اليابان هو دين " امبراطورية منشوريا " ، وانني يجب ان ارحب بـ " الهة الاشرار المشع السماوي " ، السلف السماوي للاسرة الامبراطورية اليابانية وان ادخل هذه المعتقدات في دين " امبراطورية منشوريا " . واطاف انه نظرا الى ان هذه السنة هي الذكرى السنوية الالفين والستمائة للامبراطور جيمو فانها مناسبة رائعة لتقديم الالهة العظيمة الى هذه البلاد . واقترح وجوب ذهابي الى اليابان لأقدم التهانى وأرتب الامر .

وسمعت فيما بعد انه كان هناك اختلاف حول ذلك داخل جيش قواندونغ ، اذ ان بعض الضباط ممن خيروا الصين جيدا رأوا ان ذلك سيثير معارضة عنيفة بين اهالى الشمال الشرقى ويزيد من عزلة اليابان . وتقرر فيما بعد انه مع مرور الوقت يمكن لديانة شييتو ان تتغافل بين الشباب بينما الكبار سيعتادونها شيئا فشيئا . ولكن تنفيذ القرار الخاص بهذه السياسة كان

غير مستحب لدى معظم الخونة الصينيين ، ناهيك عن ابناء الشعب العاديين ،  
اما انا فقد كان اصعب على كثيرا من سرقة المدفن الشرقى . وكنت قبل  
ذلك قد منعت يوشيوكا من تقديم القرابين علانية عند قبور اسلافي الامبراطوريين ،  
كما دعيت اليوم الى ان اعترف بنفسى سليلا لجد اجنبى . وهذا كان من  
الصعب جدا احتماله .

وعلى الرغم من ان كل تصرف من تصرفاتى منذ ان استسلمت لضغط  
اتاجاكى فى ليويشون كان عبارة عن خيانة صريحة لوطنى واسلافى ، الا  
اننى كنت ابرر لنفسى هذه التصرفات . فقد اعتبرتها اعمال اطاعة بنوية  
تهدف لاعادة احياء قضية الساف ، واعتبرت ان التنازلات التى قدمتها  
ليست الا من اجل مكاسب المستقبل . واملت ان تتفهم ارواح اسلافى فى  
السماء هذا الامر وتحمينى . ولكن اليابانيين يجبروننى الآن على تبديل اسلافى  
والانتساب لغيرهم . ومن المؤكد ان اجدادى لن يسامحونى على ذلك ابدا .  
غير انى تذكرت انه يجب ان وافق على هذا الاقتراح اذا كنت اريد  
المحافظة على حياتى وامنى . وحتى فى الوصول الى هذه النتيجة كنت قادرا  
على تبرئة نفسى : سوف استمر فى تقديم التضحية لأسلافى سرا بينما اعترف  
علنا بالأسلاف الجدد . فاتخذت قرارى ، وقدمت القرابين لأرواح اجدادى  
ثم توجهت الى اليابان .

قمت بهذه الرحلة الثانية الى اليابان فى مايو ١٩٤٠ ، ومكثت هناك  
ثمانية ايام .

وعندما قابلت هيروهيتو القيت خطابا كان قد كتبه لى يوشيوكا . وجوهره  
اننى رجوت ان يسمح لى بعبادة الهة الاشرار المشع السماوى فى " امبراطورية  
مشوريا " من اجل " الوحدة التى لا تتجزأ فى القلب والفضيلة " بين البلدين .  
فكان جواب الامبراطور اليابانى وجيزا جدا : " اذا كانت هذه هى  
رغبة جلالتكم ، فعلى ان استجيب لها . "

ثم نهض واقفا وأشار الى ثلاثة اشياء موضوعة على طاولة : سيف ورملة وروزية وقطعة من الشب متقوسة ، وهي اشياء مقدسة كان الاعتقاد السائد انها تمثل الهة الاشرار المشع السماوى . ولما شرح لى سر هذه الاشياء تذكرت ان مخازن ليوليتشانغ للتحف فى بكين ملىء بأمثالها . فهل هى الاخرى الهة عظيمة ؟ وهل يمكن ان تكون تحفيات مخازن ليوليتشانغ من ضمن اسلافى ؟ وترقرقت عيناي بالدموع وانا فى طريق العودة .

وبوصولى الى تشانغتشون بنيت ” معبد التأسيس الوطنى ” بجانب قصرى ، واست ” مكتب عبادة ” تحت اشراف رئيس اركان جيش قواندونغ السابق هاشيموتو تورانوسيوك . وفى اليوم الاول والخامس عشر من كل شهر كنت اقود قائد جيش قواندونغ والموظفين العملاء للذهاب وتقديم القرابين عند المعبد . وفيما بعد بنيت معابد كهذا المعبد فى كافة انحاء الشمال الشرقى ، وقدمت القرابين هناك فى المواقف المحددة . وكان كل من يمر بأحد هذه المعابد عليه ان ينحنى انحناءة بتسعين درجة ، والا عوقب على ” عدم الاحترام ” . ونتيجة ذلك اصبحت الاماكن التى بنيت فيها تلك المعابد مهجورة . وحاول جيش قواندونغ اغواى بارتداء اغرب الملابس لتأدية هذه الشعائر ، ولكننى عارضت هذا الاقتراح بقولى ان الوقت الآن وقت حرب ، وان من الافضل ان ألبس البرة العسكرية وعليها النياشين اليابانية لأظهر تصميمى على دعم حليفتى اليابان .

وكنت دائما اسجد لأسلافى فى البيت قبل الذهاب الى المعبد ، وعندما كنت اركع لمذبح الهة الاشرار المشع السماوى عند المعبد كنت اقول فى نفسى : ” اننى لست راکعا لذلك المذبح بل لقصر السلام الارضى ( كون نينغ قونغ ) فى بكين . ”

واصدرت وسط احتقار شعب الشمال الشرقى لى وشتهم اياى ” مرسوم ترسيخ قاعدة الوطن ” . وهذا المرسوم لم يكتبه تشنغ شياو شيوى ( الذى



مات منذ سنتين) بل يابانى مختص باللغة الصينية يدعى ساتو توموياسو ،  
فوضه بذلك ” مكتب الشؤون العامة لمجلس الدولة “ . وكان نص المرسوم  
كما يلى :

حيث اننى اعمل باحترام على انشاء معبد التأسيس الوطنى لكى نرسخ  
بذلك قاعدة الوطن الى الابد وننشر مبادئ الوطن الى ما لا نهاية فاننى اصدر  
لكم هذا المرسوم ايها الرعية .

منذ بدء دولتنا اصبح اساس وطننا اقوى ومكانته اعظم . اذہ يتمتع  
بحكومة مرموقة تتحسن يوما بعد يوم . وعندما تأملنا فى هذا الانجاز العظيم  
ونظرنا الى مصدره ، وجدنا ان فضل ذلك كله يرجع الى البركة الالهية لالهة  
الاشراق المشع السماوى وحماية صاحب الجلالة امبراطور اليابان . لذلك  
قمت شخصيا بزيارة البيت الامبراطورى اليابانى ، ولكى نعبر عن تشكراتنا  
القلبية وامتناننا العظيم اصدرت مرسوما اليكم ايها الرعية لآمركم ان تكون على  
فضيلة واحدة وتفكير واحد مع اليابان . ومعنى هذا عميق جدا .

لقد كان الهدف من رحلتى الاخيرة الى الشرق هو الاحتفال بالذكرى  
السوية الألفين والستائة للامبراطور جيمو والقيام بعبادة الالهة الجليلة  
شخصيا . وبمناسبة عودتى الميمونة الى بلادنا فقد اسست على نحو مهيب معبد  
التأسيس الوطنى لنقدم فيه القرابين الى الهة الاشراق المشع السماوى . وسأصلى  
انا شخصيا ، وبأسمى آيات التبجيل ، من اجل ازدهار الوطن ؛ وسنجدل هذا  
مثالا ابديا يتبعه ابناؤنا واحفادنا الى الابد . وهكذا يمكن لأساس الوطن ان  
يترسخ من خلال تبجيل سبيل الآلهة (٦) ، كما يمكن لمبادئ الوطن ان  
تؤسس على تعليم الولاء والطاعة البنوية . وهذه الارض الآمنة بما فيها من خير  
وحب والمهذبة بالوثام ستكون نقية ومشرقة وستكون ضامنة للبركة السماوية .  
وليفهم رعايانا جميعا مقصدى من ذلك . قووا القاعدة وانشروا المبادئ ؛  
كافحوا لتنفيذ ذلك الى ما لا نهاية ، ولا توقفوا جهودكم الرامية الى جعل  
البلاد قوية .

بأمر من الامبراطور .

وأصبحت منذ ذلك الوقت فصاعدا عبارتا التماق " البركة الالهية لالهة  
الاشراق المشع السماوى " و " حماية صاحب الجلالة امبراطور اليابان "  
جزءا اساسيا فى جميع المراسيم .

بذل جيش قواندونغ جهودا كبيرة لتهيئتى انا والوزراء العملاء لاستقبال  
" سيبيل الآلهة " ( شينتو ) ، وزودونى بخبير شهير فى ديانة شينتو ليعلمنى .  
وكانت المواد التعليمية التى استخدمها غريبة للغاية ، احدها كان لفيفة عليها  
صورة شجرة . وقال لى ان اصل هذه الشجرة هو شينتو ، بينما الفروع هى  
جميع الديانات الاخرى فى العالم ؛ وبكلمة اخرى فانها تفرعت عن شينتو .  
وكان من الصعب على انا والوزراء العملاء ألا نضحك او ننام خلال تلك  
المحاضرات .

وعندما اعلنت اليابان الحرب على امريكا وبريطانيا فى ٨ ديسمبر ١٩٤١  
جعل جيش قواندونغ " امبراطورية منشوريا " تصدر " مرسوما حول الوضع  
الراهن " ، اعلنت فيه دعمى لاعلان اليابان الحرب وطلبت من " رعيتى "  
ان يبذلوا اقصى ما يستطيعون للمساعدة فى المجهود الحربى اليابانى . وكانت  
المراسيم السابقة تصدر عن " مجلس الدولة " ، ولكن فى هذه المرة عقد  
اجتماع خاص لـ " المجلس الامبراطورى " مساء ٨ ديسمبر ١٩٤١ ،  
جعلنى يوشيوكا اقرأ المرسوم فيه بنفسى .

وكلما جاء قائد جيش قواندونغ لزيارتى كنت افتح فمى واطلق مثل  
هذه العبارة : " ان اليابان و " امبراطورية منشوريا " واحد لا يتجزأ ، وانهما  
يعيشان او يموتان معا ؛ ائنى مصمم على ان اخصص قوة هذا الوطن بكاملها  
للفصال من اجل انتصار الحرب المقدسة فى شرقى آسيا العظمى ومن اجل  
منطقة الازدهار المشترك فى شرقى آسيا العظمى بقيادة اليابان . "

وقام توجو هيديميتشى ، رئيس وزراء اليابان ورئيس اركان جيش قواندونغ  
السابق ، بزيارة خاطفة الى " امبراطورية منشوريا " عام ١٩٤٢ . وعندما

قابله اندفعت مباشرة اقول "يمكن لسعادتك ان تكون على يقين بأننى سأخصص موارد امبراطورية منشوريا بكاملها لدعم الحرب المقدسة التى تخوضها دولتنا الابوية اليابان ."

وفى وقت زيارة توجو كانت اليابان قد تحولت من "حايف" الى "دولة ابوية" . وهذا الاذلال الجديد قد قدم فى "المرسوم حول الذكرى السنوية العاشرة لتأسيس الوطن" . قد قال لى يوشيوكا عشية هذه الذكرى التى وقعت فى مارس ١٩٤٢ : "لا يمكن ان تكون هناك امبراطورية منشوريا من دون اليابان ، اه ، لذلك يجب ان تعتبر اليابان ابامبراطورية منشوريا . لذلك ، اه ، على امبراطورية منشوريا ألا تدعو اليابان حايفا او صديقا كما تفعل بقية الدول ؛ يجب ان تشير الى اليابان على انها دولة ابوية . " وفى الوقت نفسه كان الرئيس اليابانى لـ "مكتب الشؤون العامة لمجلس الدولة" يتحدث حديثا مشابها مع الوزراء العملاء . وبعد هذا صدر "المرسوم حول الذكرى السنوية العاشرة لتأسيس الوطن" . ومنذ اعلان هذا "المرسوم" واليابان يشار اليها على انها "دولة ابوية" .

وفى عام ١٩٤٤ عندما اصبح واضحا بما فيه الميزيد ان اليابان فى طريقها الى ان تخسر الحرب ، بل استطعت انا ان الاحظ ان جنودها سيبادون قريبا ، جاء يوشيوكا ليرجئنى ان اتبرع بالمواد ، لاسيما المعدنية ، للمجهود الحربى ليكون ذلك مثلا للآخرين . فقدمت تلقائيا اضافة الى قيامى بذلك مقدارا من الذهب والفضة والمجوهرات الى جيش قواندونغ . وفيما بعد قدمت لهم السجاجيد المفروشة داخل القصر ومئات القطع من الثياب . وقد اعلنت تبرعاتى هذه على نطاق واسع مما سهل مهمة السلب على الموظفين اليابانيين الذين ارسلوا مقادير ضخمة من البضائع ، تشمل ٣٠٠ الف طن من الرز الى اليابان فى الاشهر الاخيرة من الحرب .

## حياة البيت

لما لم يكن مسموحا لى بأن ألعب اى دور فى السياسة ، او اخرج من القصر كما اشاء ، او ارسل فى طلب ” وزرائى ” لأستشيرهم ، لم يبق امامى ما افعله عندما لم يكن جيش قواندونغ يرسل الى تيارا ما . فتعودت اليقظة فى الحادية عشرة قبل الظهر والنوم بعد نصف الليل ، وحينانا تأخر حتى الساعة الثالثة بعد نصف الليل . وكنت اتناول وجبتين يوميا : الفطور ما بين الظهر والساعة الواحدة ، والعشاء ما بين التاسعة والحادية عشرة ليلا ، او حتى بعد ذلك . وكنت آخذ قيلولاة من الساعة الرابعة بعد الظهر حتى الخامسة او السادسة . وفيما عدا الاكل والنوم فان حياتى يمكن ان تلخص الى مزيج من الضرب والشتم والعرافة والتداوى والخوف .

وكانت جميع هذه العناصر متداخلة . ونظرا الى ان علامات انهيار اليابانيين اصبحت اكثر وضوحا ، فقد اصبحت اكثر فأكثر خوفا من ان يقتلنى اليابانيون ليوقفونى عن التكلم فيما بعد . لذلك اخذت اتملقهم وازداد اقترابا منهم ، بينما رحى اضرب واشتم من فى البيت حيث ازداد طبعى عنفا . واصبحت اكثر فأكثر تعلقا بالخرافة ؛ آكل الطعام النباتى ، وازدادت البوذية المقدسة ، وألجأ الى الاستخارة والشد الحماية من بوذا والآلهة . واصبحت صحتى التى كانت قد تدهورت اكثر بؤسا بسبب هذه الحياة المتوترة المضطربة التى كنت اعيشها ، لذلك كنت اتناول الدواء والحقن فى يأس .

وعاودتنى نزعة القسوة والريبة التى كنت اعانى منها خلال سنواتى فى المدينة المحرمة ، والتى اشتدت فى تيانجين ، حيث وضعت هذه المجموعة من الانظمة الداخلية للخدم :

- ١- تمنع المحادثات غير المسؤولة تجنبيا للمكاييد .
- ٢- غير مسموح لكم بالدفاع او التغطية على بعضكم .

٣- يمنع الاختلاس والاستغلال .

٤- عندما يتصرف زملائكم تصرفا خاطئا عليكم ان تبلغوا عن ذلك فوراً .

٥- الخدم الكبار يجب ان يضربوا من هم دونهم مرتبة فور اكتشافهم انهم ارتكبوا خطأ .  
تزداد شدة العقوبة درجة اخرى اذا كان هناك ادنى توان في الالتزام بهذه الانظمة .

بعد انتقالى الى الشمال الشرقى جعلت خدمى يأخذون على انفسهم العهد التالى : " لتعاقبنا السماء ويصعقنا الرعد اذا نحن خالفنا هذه الانظمة . "  
ثم ازددت شراسة فصرت اضرب الخدم دائما ، بل واستخدمت معهم ادوات التعذيب . وكانت هناك صنوف مختلفة للضرب ، وكنت اجلب جلادين لهم خبرة بالتعذيب . كما كنت اكلف بهذه المهمة اى فرد من افراد البيت الحاضرين وأمرهم ان يجلدوهم بشدة ، والا شككت فى انهم متآمرون معهم . واذا حدث هذا فانهم يجدون انفسهم تحت الهراوات . وكان ضحاياى فى هذه الحالة هم كل فرد فى البيت تقريبا باستثناء زوجتى واشقائى وزواج شقيقائى . وكان فى تلك الايام عدد من ابناء اشقائى يدرسون فى القصر . وقد تعودوا ملازمتى والتحدث معى والقيام بخدمتى . وكنت اريهم ليصبحوا اقربائى الموثوقين ، ولكن هذا لم ينقذهم من التوبيخ والضرب . واكثر الكلمات التى كانوا يخافون سماعها منى هى " خذ الى الطابق الاسفل " ، لأن ذلك يعنى انه سيؤخذ الى الجلد .  
وتصرفائى هذه كانت تظهر مدى القسوة والجنون والعنف والاضطراب الذى كنت متصفا به .

اصبت بالبواسير وانا فى تشانغتشون . وعندما لاحظ احد ابناء اشقائى الصغار الدواء الذى كنت استخدمه قال من دون تفكير ان ذلك الدواء

يشبه الرصاص . فكان هذا خرقاً لأحد محظوراتي : هل قصد انه يريدني ان اضرب بالرصاص ؟ وبناء على امرى ضربه ابن عمه بالعصا .  
واكثر الضحايا تعاسة كانوا من الخدم الغلمان . وكان عندي مجموعة منهم ، وقد جرىء بهم من ملجأ ايتام في تشانغتشون . ومعظمهم ممن قتل اباؤهم على يد اليابانيين .

وخوفا من ان يكبروا وتنشأ عندهم الرغبة في الانتقام قد اجبر اليابانيون الحكومة العميلة على وضعهم في ملجأ للأيتام ، بعد تبديل اسمائهم وتعليمهم ان يكونوا عبيدا وارهاقهم بالأعمال الثقيلة . وكان بعضهم مفعما بالأمل عندما علم انه سيجلب الى القصر ، ظانا ان الحياة ستكون افضل مما هي عليه في ملجأ الايتام . ولكن تبين انها اسوأ بكثير . لقد كانوا يأكلون الذرة الرفيعة من ادنى الدرجات ويلبسون ثيابا بالية ، ويعملون خمس عشرة او ست عشرة ساعة في اليوم ، وحيانا يلزمون بالسهر في الخدمة طوال الليل ايضا . وفي الشتاء كانوا يعانون من شدة التعب والبرد والجوع بحيث يأخذهم النعاس فينامون احيانا متكئين على اجهزة التدفئة المركزية فيما هم يعملون ثم يستيقظون وقد ملئت اجسامهم بالحروق . وكانوا يضربون على الدوام لنومهم في العمل ، او لعدم التكنيس جيدا ، او لتكلمهم بصوت عال او عندما يكون المساعدون الشخصيون في حالة نفسية سيئة يصوبون جام غضبهم على الغلمان الذين هم تحت مسؤوليتهم ، وكانوا احيانا يحجزونهم في قهو معزول . وقد عرقلت هذه الحياة التعيسة نموهم فكانوا يبديون وهم في سن السابعة عشرة او الثامنة عشرة قماء كأنهم ابناء عشر سنين .

وحدث لأحدهم ويدعى سون يوه يوان ، ان حاول الهرب عندما وجد الحياة داخل القصر لا تطاق ، فقبض عليه وضرب بوحشية . ثم حاول مرة اخرى الخروج من نفق التدفئة المركزية ، وبعد ان زحف في داخله مدة يومين لم يجد مخرجا . واضطر بعد ان انهكه الجوع والعطش الى

الخروج ليحصل على شربة ماء فألقى القبض عليه . وعندما اخبرني بذلك المساعدون امرتهم : ” اعطوه شيئا يأكله ومن ثم لقنوه درسا جيدا . “ ولكن قبل ان يعطى ” درسا جيدا “ ظل يضرب حتى اوشك على الموت . وبلغنى ذلك فأفزعنى بشدة ، حيث خشيت ان يتحول الى شبح ويتترع حياتى انتقاما ، لذلك اصدرت اوامرى باستدعاء طبيب لانقاذه . ولكن فات الأوان .

وامضيت عدة ايام بعد ذلك اركع واتلو مقاطع من النصوص المقدسة امام مذبج بوذا ، واصلى لروحه كى تعبر الى العالم الآخر بأمان ، على امل ان اتجنب بذلك العقاب . وامرت ان يقوم المساعدون الذين ضربوه بضرب راحات ايديهم بمساطر من الخيزران يوميا لمدة ستة اشهر تكفيرا عن ذلك ، وكان هذه الاجراءات سترفع عنى مسؤولية قتله كاملة . وازدادت قسوتى على الخدم بعد ذلك الى حد الافراط بسبب حالتى المتوترة .

واخذت الاحتياطات الشديدة لأنأكد من اننى لم اخدع بفن (فلس) واحد عندما يقوم الخدم فى المطبخ بشراء الخضار فكنت ابعث جواسيس عليهم عند التسوق ، واسأل شقيقتى عن اسعار لحم الخنزير والدجاج . وكان الطهاة يغرمون اذا لم يلائم الطبخ ذوقى او اذا وجدت فيه وسخا . وبالطبع كانوا يكافأون احيانا اذا سرنى الطعام . هكذا بينما انا عاجز فى الخارج كنت اتمتع بالسلطة المطلقة داخل بيتى .

فى اواخر ايام ” امبراطورية منشوريا “ اصبحت هزيمة اليابان المنتظرة اكثر فأكثر وضوحا . وعززت اخبار الاذاعات المتحالفة وهبوط معنويات يوشيوكا شعورى بأن هذه هى نهاية فترتنا . واصبح طبيعى اسوأ من ذى قبل ، واخذت اتصرف بمزيد من الشراسة فى البيت . حتى وقع احد افراد عشيرتى الكبار الذى جاء ليهنئنى بعيد ميلادى فى اوائل عام ١٩٤٤ موضوعا لولعى فى فرض سيطرتى على من حولى .

كان ذلك حينما نظم عرض للترحات داخل القصر للاحتفال بعيد ميلادى ، وكان قريبى هذا حاضرا فحيا بعض الضباط اليابانيين فى حضرتى بكل ادب . وهذا التصرف الذى يبدو واضحا انه خال من اى اساءة ، قد باغنى به احد ابناء اشقائى عند المأدبة التى اقيمت بعد العرض ، لأن تقديم الاحترامات لأى شخص آخر فى حضور ” ابن السماء “ كان ممنوعا داخل القصر ، وقد تعلم ان مهمته هى التبليغ عن مثل هذه التصرفات . ونظرا الى اننى كنت منشرح الاسارير فى ذلك الوقت ولأن المذنب من جيل يكبرنى ، فقد تجاوزت هذه المسألة . ولكن الرجل كان من الفضول بحيث سأل ابن شقيقى عما همسه فى اذنى . وكان هذا التصرف الثانى دليلا اكبر على ” عدم الاحترام “ لا يمكن احتماله ، فانفجرت غاضبا وصححت به ضاربا على الطاولة . فشحب وجهه رعبا ، وجثا على الارض وسجد لى . ولكننى لم اهدأ ، ففادرت مقعدى متهما اياه بعدم الوفاء ليس لى فحسب بل لأسلافنا الامبراطوريين ايضا . ونخيم الصمت على المجلس بكامله . ورأيت لغرورى ان هذا العجوز اسوأ من اليابانيين الذين كانوا على الاقل غير متسمين بالفظاظة مطلقا فى تعاملهم معى امام الناس .

اثناء وجودى فى تشانغتشون قرأت كمية ضخمة من الكتب الخرافية ، واصبحت شغوفاً بها . ومما قرأته ان جوهر بوذا يحل فى جميع الكائنات الحية وجعلنى ذلك اخشى ان يكون اللحم الذى آكله تقمصا لبعض اقربائى . لذلك كنت الى جانب ما اتلوه من النصوص البوذية صباحا ومساء اقرأ كذلك صلواتى قبل كل وجبة من اجل التقمص الافضل لروح الحيوان الذى سأكل لحمه . وكنت فى البداية اتلو ذلك فى نفسى بصمت امام اى شخص آخر ، ولكننى فيما بعد اصبحت اطلب من الآخرين جميعا ان يغادروا الغرفة الى ان انتهى من تلاوة الصلاة ، وعندها فقط اسمح لهم بالعودة الى الغرفة . واذكر مرة اننى سجدت لبيضة ثلاث مرات فى ملجأ الغارة الجوية



التابع للقصر قبل ان آكلها . وفي ذلك الوقت كنت آكل الطعام النباتي فقط .

ولم اكن اسمح بقتل الذباب ، مصرا على الاكتفاء بطرده . ولما عرفت ان الذباب يحمل الجراثيم التي تسبب الامراض ، صرت لا آكل قط اى طعام تلمسه ذبابة . واذا ما حطت ذبابة على شفتى كنت امسح الموقع الذى وقفت فيه بقطعة من القطن مبللة بالكحول من علبة كنت احملها دائما ، واذا ما وجدت ساق ذبابة فى طعامى كنت اغرم الطباخ . ولكن على الرغم من هذا كله لم اسمح لأحد بقتل ولو ذبابة واحدة . وذات مرة عندما رأيت قطة تمسك فأرا امرت جميع الخدم بمطاردة القطة لانقاذ حياة الفأر .

وكلما اكثررت من قراءة الكتب البوذية ازددت اعتقادا بها ، وكانت احلامي بزيارة العالم الاسفل تقوى هذا الاعتقاد . لقد قرأت مرة انك اذا تلوت النصوص المقدسة طوال عدة ايام ، فان بوذا سيظهر وسيطلب شيئا يأكله . لذلك اعددت غرفة ، وبعد ان قرأت النصوص اعلنت لكل واحد ان ”بوذا قد جاء“ وزحفت الى الغرفة على ركبتى . وكانت الغرفة بالطبع فارغة ، ولكننى كنت ارتجف خوفا وانا ساجد الى لا شيء .

وبتأثير منى بدأ اهل البيت بكامله ترتيب النصوص البوذية ، على حين يضح الفناء بدوى الطبل الخشبي والصنج النحاسى . وبدا القصر كأنما اصبح معبدا .

وواصلت نشاطى القديم فى اللجوء الى الاستخارة ، وكنت اكرر القيام بالعرافة الى ان احصل على بشارة خير . وعندما كنت خائفا من ان يقدم جيش قواندونغ على قتلى ، تعودت ان استخير كلما زارنى يوشيوكا . واصبح تجنب الكارثة وجلب الحظ السعيد الفكرة الموجهة لكل تصرفاتى . وانتهيت الى ان اسأل نفسى اى مكان وى ثوب وى طعام هو الملائم والمبشر بالخير ، وايها الباعث على التشاؤم . ولم يكن هناك مقياس ثابت للاجابة من خلاله

عن هذه الاسئلة . فاذا كنت ماشيا فى طريق ورأيت امامى آجرة اتخذت بشأن ذلك حكما : ” اذا انا مررت من الجانب الايسر فهذا فأل خير ، واذا انا مررت بها من الجانب الايمن فذلك نذير شؤم . “ وعندئذ امر بها من الجانب الايسر . ويمكن ان اضرب امثالا اخرى كثيرة ، مثل : أ يعبر المرء العتبة بقدمه اليمنى او اليسرى اولاً ، وأ يأكل شيئا ابيض قبل شىء اخضر ام العكس . وكانت وان رونع منهمكة بذلك مثلى ، وقد اتخذت لنفسها قاعدة بأنها كلما واجهت شيئا مشؤوما فعليها ان ترمش او تبصق . واصبحت هذه عادة بالنسبة لها بحيث اخذت ترمش وتبصق فى غيرما سبب يدعو الى ذلك ، كأنما كانت تعاني من مرض عقلى . وتحول ابناء اشقائى جميعا وهم فيما يقارب العشرين من العمر الى شبه مترهبين تحت ارشادى . كان بعضهم يستغرق فى التأمل كل يوم ، وبعضهم لا يعود الى البيت مساء على الرغم من انه حديث عهد بالزواج ، وبعضهم كان يعلق صور هياكل عظمية فوق سريره ، وبعضهم يرتل الصلوات طوال اليوم يتمم بالتعاون كآئنا يرى اشباحا .

واعدت ان استغرق فى ” التأمل “ كل يوم وامنع خلال ذلك جميع الاصوات بما فيها اللهات . وكنت محتفظا بكركى فى الفناء ، وقد تجاهل الكركى هذه القاعدة فكان يصبح متى استهواه ذلك . فجعلت الغلمان مسؤولين عن ذلك ، وفرضت عليهم غرامة قدرها خمسون فنا كلما احدث الكركى ضجة . وبعد ان فقد الغلمان كثيرا من الحيوانات بهذه الطريقة وجدوا طريقة لاسكات هذا الطير : كلما مد عنقه ضربوه ، فاحتفظ الكركى بعدها بالصمت :

وبسبب رعبى من الموت كنت شديد الخوف من المرض . واصبحت مدمنا على الدواء ، مسببا لنفسى وكذلك لأهل بيتى كثيرا من المتاعب . فقد تعودت جمع الادوية : فكان عندى مخزن للدواء الصينى التقليدى وصيدلية

للعقاقير الحديثة ، وانفقت آلاف بل عشرات الآلاف من الحيوانات على استيراد العقاقير من الخارج ولو انى لم استخدمها قط . وكان عدد من ابناء اشقائى يضطرون الى تمضية الوقت عندما لا تكون لديهم دراسة فى الاعتناء بجميع هذه الادوية ، وكانوا هم وطبيبى الشخصى مشغولين فى اعطائى حقنا لعدة ساعات كل يوم .

عندما كنت مقيما فى المدينة المحرمة كنت كثيرا ما اعانى من امراض تخيلية ، ولكننى الآن مريض حقا . لقد قمت ذات مرة بـ ” جولة امبراطورية “ الى آندونغ لزيارة محطة كهربائية بناها اليابانيون حديثا . وعندما وصلت الى هناك تحاملت على نفسى حتى ابقى ثابتا منتصبا امام اليابانيين حيث اننى ارتدى بزة عسكرية . وقبل ان امشى مسافة طويلة اخذت ألهث ، ولدى عودتى كدت افقد الوعى . وجعلنى ضعفى الجسمانى واضطرابى العقلى اخاف من ان اكون قد اصبحت على حافة القبر .

ذات يوم رأيت العبارة التالية مكتوبة بالطباشير على سور القصر :  
” أ لم تحصل على التحقير الكافى من اليابانيين ؟ “ فنسيت كل شىء بخصوص لعبة التنس التى كنت خارجا من اجلها ، واصدرت اوامر بمسحها على الفور . وعدت الى غرفة نومى ، وقلبى يخفق شاعرا بمنتهى الضعف الذى لا امل معه بالبقاء . وذعرت من ان يكتشف اليابانيون ذلك ويقوموا بحملة استقصاء فى بيتى واسعة النطاق ، ولم ادر الى ماذا يمكن ان يؤدى هذا الامر . وذعرت اكثر فأكثر من اكتشاف ان هناك ” عناصر معادية لامبراطورية منشوريا ومعادية لليابانيين “ داخل بلاطى . اذا هو تجرأ على كتابة ذلك على السور ، فما الذى يوقفه عن قتلى ؟

ونظرا الى شدة اضطرابى وذعرى طوال النهار اصبحت اقل اهتماما بحياتى العائلية . لقد تزوجت اربع زوجات ، او ، لكى استخدم المصطلحات التى كانت متداولة حينذاك ، كانت لى امباطورة وزوجة وزوجتان ادنى

مرتبة . ولكنهن في الواقع لم يكن زوجات حقيقيات ، بل للمجرد العرض : ومع انني عاماتهن على نحو مختلف الا انهن جميعا كن من ضحاياى . ان خبرات وان رونج التي اهملت فترة طويلة سيكون من المتعذر ادراكها بالنسبة لفتاة صينية حديثة . ومع ان مصيرها لم يكن محمدا منذ ولادتها ، فان نهايتها المحتومة تحددت منذ لحظة زواجها بى . كثيرا ما فكرت لو انها طلقتنى في تيانجين كما فعلت ون شيو فاريما كان بوسعها ان تنجو . ولكنها حينذاك كانت مختلفة تماما عن ون شيو . فبالنسبة لون شيو كانت الحياة العائلية العادية اهم من المنزلة العالية والاخلاق الاقطاعية . ولكن وان رونج عقلت اهمية عظيمة على مركزها كـ ” امبراطورة ” ، وكانت على استعداد لأن تصبح زوجة اسميا من اجل المركز فقط .

بعد ان طردت ون شيو من قبل وان رونج شعرت نحوها باشمئزاز ، ولم اعد احداثها كثيرا او اوليها ادنى اهتمام . لذلك لم تطالعي على مشاعرها او آمالها واحزانها مطلقا ؛ وكل ما عرفته انها اصبحت مدمنة افيون وتتصرف بطريقة لا تليق بنا . وعندما افترق بنا السبيل بعد استسلام اليابانيين ، كان ادمانها الافيون قد تفاقم وكانت في منتهى الضعف ؛ وقد ماتت في السنة التالية في جيلين .

عام ١٩٣٧ اخترت ضحية جديدة تدعى تان يوى لينغ معاقبة لوان رونج ولأن زوجة ثانية كانت قطعة ضرورية من اثاث القصر . وقد رشحها قريب لى في بكين ، فأصبحت زوجة من المرتبة الادنى وكانت من عشيرة تانالا المانشوية القديمة ، وكانت طالبة مدرسة عندما تزوجتها وهى فى سن السابعة عشرة . وهى كذلك كانت زوجة بالاسم ، وقد احتفظت بها فى القصر كما احتفظ بطير الى ان ماتت عام ١٩٤٢ . وسبب موتها ما يزال غامضا بالنسبة لى . لقد كانت تعاني من نوبة تيفرويد لم تكن مميتة وفقا لرأى الطبيب الصينى الذى رآها . وحينذاك قال يوشيوكا انه يريد ” الاعتراف ”

بها فنقلت الى مكتب القصر . وتحت اشراف يوشيوكا ومعالجة طبيب يابانى ماتت فجأة فى اليوم التالى .

وما بدا لى غريبا هو ان الطبيب اليابانى كان شديد العناية بها فى البداية ولكن بعد ان ذهب الى غرفة اخرى ليجرى حديثا مطولا مع يوشيوكا فقد حماسه وتوقف عن اعطاؤها الحقن وعن نقل الدم اليها . وجعل يوشيوكا رجال الدرك اليابانيين يواصلون الاتصال هاتفيا بالمرضات فى غرفة المريضة طوال الليل للحصول على المعلومات ، وفى الصباح التالى ماتت تان يوى لينغ . وحالما ابلغت بموتها جاء يوشيوكا ليعبر عن تعازى قائد جيش قواندونغ ، وقدم على الفور اكليل . فقوت هذه السرعة المدهلة شكوكى طبعا . وتذكرت ان تان يوى لينغ كثيرا ما كانت تحدثنى عن اليابانيين ، وقد عرفت الكثير عن تصرفاتهم جنوب السور العظيم عندما كانت تدرس فى بكين . وكنت قد شككت فى ان يكون اليابانيون قد استرقوا السمع الى محادثتى مع الامير ده ، وموت تان يوى لينغ ذكرنى طبعا بمخاوفى السابقة .

وبعد ذلك مباشرة قويت شكوكى فى ان جيش قواندونغ لا بد ان تكون له علاقة بموتها ، وذلك عندما جلب لى يوشيوكا مجموعة صور لفتيات يابانيات لأختار واحدة منهن .

ورفضت النظر فى مسألة كهذه بينما كانت جثة تان يوى لينغ ما تزال ساخنة . ولكنه اصر على انه يريد ان يرتب هذا الامر لى ليخفف عنى الحزن . فقلت له عند ذلك بأن هذا الامر يجب ألا يكون متعجلا ، ووضحت له ان هناك ، بالاضافة الى ذلك ، حاجز اللغة .

”ستكونان قادرين على فهم بعضكما بعضا ، اه . وهى ستكون قادرة على التكلم باللغة المانشوية .“

فأسرعت اوضح له ان المسألة ليست مسألة عرق ، بل انتى مضطر لأن اجد فتاة ملائمة لى فى ذوقها وعاداتها فى المعيشة . ولم اتجرأ على اية

حال ان اتكلم كثيرا حول رفض الاقتران بزوجة يابانية .  
وبدا "الملحق بالبيت الامبراطورى" متمسكا بى حقا ، وظل يلاحقنى  
بهذا الموضوع يوما بعد يوم . وفى النهاية ادرك اننى عنيد - او ربما غير  
جيش قواندونغ رأيه ، فأخرج لى صورا لفتيات صينيات من مدرسة يابانية  
فى ليويشون . ومع ان اختى الثانية حذرتنى من ان هؤلاء الفتيات جميعا قد  
اشربن الروح اليابانية الى درجة ان اصبحن مثل يابانيات فى الواقع ، الا  
اننى شعرت بعدم القدرة على قطع الصلة بجيش قواندونغ الى الاخير . فاخترت  
فتاة صغيرة لم تتعلم الشىء الكثير ، ظانا اننى سأكون قادرا على معالجتها  
حتى وان كانت قد دربت على يد اليابانيين .  
وهكذا اصبحت طالبة مدرسة فى الخامسة عشرة من عمرها ضحية  
رابعة لى بصفة زوجة من المرتبة الادنى . ولكن بعد سنتين من وصولها انهارت  
"امبراطورية منشوريا" ، فأعيدت الى بيتها .

## الانهيار

بينما كنت فى سجن مجرمى الحرب اخبرنى قائد اللواء سابق فى "امبراطورية  
منشوريا" انه قاد فى الشتاء الذى اندلعت فيه حرب الباسيفيك فصيلا من  
الجنود العملاء لمهاجمة بعض القوات المعادية لليابانيين بموجب امر من  
جيش قواندونغ . وقام رجاله بتفتيش فى الغابات ، فلم يجدوا الا مقاتلا مريضا  
من المعادين لليابانيين مترويا فى مخبأ . وكانت ملابس هذا الرجل رثة  
بالية وشعره اشعث بحيث بدا كأنه فى السجن منذ سنين . ولدى رؤيته قال  
له قائد اللواء :

- من الحالة التى انت فيها يتضح ان جماعتك لا يمكن ان تحقق  
شيئا . ألا تدرى ان الجيش اليابانى الامبراطورى قد احتل هونغ كونغ

وسينغافورة ؟

فانفجر الاسير بالضحك . فضرب اللواء المانشوى العميل الطاولة بيده

وقال :

– علام تضحك ؟ ألا ترى انك قيد المحاكمة ؟

– من هو قيد المحاكمة ؟ ان نهايتكم قريبة وان يمضى وقت طويل

حتى يحاسبكم الشعب .

وكان جميع الضباط والموظفين المدنيين العملاء يعرفون ان الشعب في الشمال الشرقى يكرههم ويكره اليابانيين اشد الكراهية ، ولكنهم لم يستطيعوا فهم السبب الذى جعل الشعب يتحلى بهذه الشجاعة وهذه الثقة العظيمة بالنفس او السبب الذى جعله متأكدا تمام التأكيد من ان حكاهم الاقوياء محكوم عليهم بالهلاك . وكنت دائما اعتبر قوة الامبريالية اليابانية راسخة ومنقطعة النظر . ولم افكر حتى فى ان امبراطورية تشينغ العظيمة او جمهورية الصين ، سواء حكمها امراء الحرب من زرة بيبانغ او الكوميتانغ ، يمكن ان تكون ندا لليابان ؛ والشعب العادى لم يدخل فى حسابى مطلقا .

ومع ان حقائق لا يحصى عددها كان يجب ان تعلمنى من القوى حقا ومن الضعيف ، الا اننى بقيت غافلا عن ذلك تماما الى ان كشفه يوشيوكا لى . وحتى حينذاك لم افهم الا على نحو غامض .

ذات سنة كانت ” الجولة الامبراطورية ” السنوية التى يرتبها لى جيش قواندونغ الى منطقة يانجى التى يسكنها ، رئيسيا ، ابناء القومية الكورية . وعندما وصل قطارى الى هناك وجدت اننى محاط بأعداد ضخمة من رجال الدرك اليابانيين وبست كتائب من الجنود العملاء . وعندما سألت يوشيوكا عن سبب وجودهم هناك اجاب :

– للاحتراس من قطاع الطرق .

– لماذا كل هذه الاعداد الكبيرة من الجند للاحتراس من قطاع

الطرق ؟

قطع الطرق هؤلاء ليسوا من الطراز القديم ، انهم الجيش الشيوعي .  
- كيف يكون لدى امبراطورية منشوريا قوات شيوعية ايضا؟ أليست  
الجيش الشيوعية لدى جمهورية الصين ؟  
- اجل ، يوجد هنا بعض الشيوعيين . . . ولكنهم قليلون جدا ،  
وغير يوشيوكا الموضوع حينذاك .

وفي مناسبة اخرى ، عندما كان احد ضباط اركان جيش قواندونغ  
يعد تقاريره المنتظمة عن الوضع العسكري قام بنشر اعلان خاص عن  
الانتصار . وفي هذه الحملة ضحى القائد المعادى لليابانيين الجنرال يانغ  
جينغ يوى بحياته . وقد اخبرني ضباط الاركان بنشوة كبيرة ان موت الجنرال  
يانغ قد ازال ” تهديدا كبيرا لامبراطورية منشوريا “ . وكلمتا ” تهديد كبير “  
دفعتاني الى السؤال عن عدد قطع الطرق الذين هم داخل ” امبراطورية  
منشوريا “ . فأجابني نفس الجواب الذى قدمه يوشيوكا : ” قليلين جدا ،  
قليلين جدا . “

وفي عام ١٩٤٢ شنت القوات اليابانية حملة الاكساح الكبيرة فى شمالى  
ووسط الصين . وطبقوا فى بعض الاماكن سياسة ” التدمير بالثلاثة “ القائمة  
على حرق كل شىء وقتل كل واحد وسلب كل شىء مدمرين بذلك بعض  
النواحي تدميرا تاما . واخبرني يوشيوكا ذات مرة كيف استخدم الجيش اليابانى  
مختلف صنوف التكتيكات ضد ” الجيش الشيوعية “ فى شمالى الصين ،  
مثل ” التطويق الحديدي “ و” استخدام المشط الدقيق “ . ان التاريخ  
القتالى للجيش اليابانى الامبراطورى قد اثرى على نحو هائل . ” وبسماعى  
هذا الوصف المتبيح سألته :

- ان الجيش الشيوعية ضئيلة العدد ، فلماذا يحتاج صاحب الجلالة  
امبراطور اليابان الى استخدام كل هذه التكتيكات الجديدة ؟



فدهشت حين سخر منى قائلا :  
- لو كان لجاللتكم الامبراطور خبرة قتالية لما سألت هذا السؤال ،  
- هل يمكن ان اسأل لماذا ؟  
- ان الجيش الشيوعي مختلف عن جيش الكوميتانغ . لا فرق عنده  
بين الجنود والشعب ، اه . انه مثل ، اه ، الباقلاء اليابسة المختلطة بحصى  
احمر .

ولما رأى عدم فهمى استخدم المثل الصينى ” عيون السمك مختلطة  
باللؤلؤ ” ليجعلنى افهم حديثه . وقال انه عندما كان الجيش اليابانى  
يقاتل الجيش الثامن او الجيش الرابع الجديد (٧) كان غالبا ما يجد نفسه  
مطوقا تماما . وفيما بعد اوضح لى ان الشعب لا يخاف من ” الجيوش الشيوعية ”  
ايضا اتجهت . واكثر من ذلك ان المقاتل الذى ينضم اليها سنة واحدة لا  
يخرج منها ابدا ، وهذا ما جعل هذه الجيوش عديمة النظر في تاريخ الصين .  
هذه الجيوش آخذة في الازدياد وسيكون من المتعذر تماما التغلب عليها في  
المستقبل . وتنهى وهز رأسه قائلا : ” شىء مرعب ، مرعب تماما . ”  
وجعلنى مرأى هذا الضابط من ” الجيش اليابانى الامبراطورى ” الذى يصف  
العدو ” الضئيل ” بهذه العبارات ، جعلنى فى غاية القلق وعدم الارتياح  
بحيث لم اعرف ماذا اقول . ثم استجمعت قوتى وقلت هذه الملاحظة :  
- انهم مخيفين حقا ، ولاسيما الطريقة التى يحرقون بها ويقتلون ويبيحون  
الممتلكات والزوجات .

فقاطعنى قائلا بفظاظة :  
- لا يصدق ذلك الا كل بائيد .  
وبعد لحظة نظر الى بتعايير ساخرة وقال :  
- هذه لم تكن ملاحظة رسمية ؛ يجب ان اطلب من جلاللتكم الآن  
ان تصغوا الى تقرير رئيس اركان جيش قواندونغ .

وادركت تدريجيا ان ملاحظات يوشيوكا غير الرسمية اقرب الى الحقيقة من الاخبار الموحزة الرسمية التي يصرح بها قائد جيش قواندونغ ورئيس اركانه . وعندما بدأ جيش قواندونغ حملة نوماهان عام ١٩٣٩ دعانى قائده يودا مع بعض الموظفين العملاء لمشاهدة عرض لاطهار مدى زيادة سرعة الطائرات اليابانية عن الطائرات السوفياتية . ولكن اليابانيين هزموا فى تلك الحملة هزيمة مدمرة ، فقدوا فيها اكثر من ٥٠ الف جندى ، واقصى يودا عن منصبه . وكانت ملاحظة يوشيوكا غير الرسمية هى ان ” المدفعية الثقيلة السوفياتية ابعد مدى من مدفيعتنا بكثير . “

وبينما كنت اصفى الى المذيع فهمت تدريجيا الكثير عن قلق يوشيوكا المخفى . كانت هناك مزيد من الاخبار عن الهزائم العسكرية اليابانية على جميع الجبهات ، وهذه الاخبار اكدتها اخبار ” اليشب المحطم “ ( ” التضحيات البطولية “ ) فى صحافة ” امبراطورية منشوريا “ . وحتى فى عزلتى استطعت ان ارى ان هناك عجزا فى امدادات المواد . فالنحاس القديم والحديد ، مثل مدقات الابواب والمباصق ، اختفت من القصر ، بينما اصبح موظفو البلاط يعانون عجزا فى الغذاء وطلبوا منى ان امدهم بالعون . وخوفا من ان اعرف مدى بؤس الطعام الذى كان يتناوله الجنود ، دعانى جيش قواندونغ لمشاهدة عرض خاص للمؤن العسكرية ؛ وللتصدى لتأثير الاذاعات الاجنبية ارسالوا الى افلاما للدعاية للانتصارات اليابانية . ولكن لم يصدق هذه الافلام لا انا ولا اصغر واحد من ابناء اشقائى .

والذى ترك فى نفسى اعمق الانطباعات هو الخوف الذى اظهره اليابانيون . فالضابط ياماشيتا تومويوكى الذى اعتر وانفخ عندما نقل الى جيش قواندونغ بعد الاستيلاء على سنغافورة اصبح رجلا آخر عندما جاء ليستأذننى مودعا لدى ارساله الى جنوب شرقى آسيا عام ١٩٤٥ . فقد قال وهو يبكى مغطيا انفه : ” هذا هو فراقنا الاخير . لن اعود ثانية ابدا . “

ورأيت كذلك المزيد من الدموع في حفل الوداع الذي اقيم لـ ” الرصاصات البشرية “. كانت الرصاصات البشرية عبارة عن جنود اختيروا من الجيش الياباني وكانوا مسممين بالاعتقاد بـ ” بوشيدو “ والوفاء للامبراطور الياباني كما انتخبوا لمهمة ايقاف الطائرات والدبابات بأجسامهم . وكان يوشيوكا يتكلم دائما عن افعال كهذه باحترام عظيم . وكان هذا الاحتفال قد خصصه جيش قواندونغ لأشجع الرجال الذين اختيروا ” رصاصات بشرية “ ولأتمنى لهم النجاح . وكان يوما غائما ، اجتاحتها عاصفة هوجاء محملة بالأتربة . وكان فناء القصر اكثر مدعاة للغم بسبب اكياس الرمل التي كانت مركومة فوق بعضها حماية من الغارات الجوية . وقد وقف امامي حوالى بضعة عشرة ضحية في صف واحد ؛ والقيت عليهم الخطاب المنعم بالاماني الطيبة الذي كتبه يوشيوكا ، ثم شربت نخبهم . وعندها فقط رأيت الشحوب الرمادي في وجوههم والدموع تنحدر على وجناتهم ، وسمعت بعضهم يهتدج . وانتهى الاحتفال نهاية فوضوية وسط الغبار المحوم ، وفيما هرعت عائدا الى غرفتي لأغسل كان ذهني في اضطراب شديد وتبعني يوشيوكا فعرفت ان لديه شيئا يود ان يقوله لي ، فتمهلت في سيرى كى يدركنى . فجرد صوته وهمهم وقال :

– لقد تكلمتم يا صاحب الجلالة على نحو جيد واثرتم في اولئك الجنود تأثيرا عميقا جعلهم يذرفون الدموع اليابانية الرجولية .  
فقلت في نفسي : ” انك خائف حقا ، خائف من ان اكون قد اكتشفت حقيقة الرصاصات البشرية . حسنا ، اذا كنت خائفا ، فأنا اكثر منك خوفا . “

ان استسلام المانيا في مايو ١٩٤٥ جعل اليابانيين في يأس اشد من السابق ، ولم تعد المسألة الآن الا مسألة وقت حتى يدخل الاتحاد السوفياتي الحرب . بل وايقنت ان مأزق اليابان لا مخرج منه .

واخيرا جاء الانهيار النهائي . ففي صباح ٩ اغسطس ١٩٤٥ اتانى قائد جيش قواندونغ الاخير ياماتا اوتوزو ورئيس اركانه ليبلغانى ان الاتحاد السوفياتى قد اعلن الحرب على اليابان .

كان ياماتا رجلا عجوزا نحيفا قصيرا وكان جادا فى تصرفه بطيئا فى كلامه . ولكنه اليوم بدا مختلفا تماما ؛ فقد قدم لى وصفا سريعا كيف كان الجنود اليابانيون على اهبة الاستعداد ، واخبرنى انهم واثقون بالنصر ثقة تامة . وقبل ان ينهى كلامه سمعنا صفارة الانذار فاختبأنا جميعا فى ملجأ . ولم يمض وقت طويل حتى سمعنا قنابل تنفجر قريبا منا ، وفيما رحتم اتصرع الى بوذا فى سكون ظل هو صامتا . ولم يشر بعد ذلك ثانية الى ثقته بالنصر حتى افترقنا بعد انتهاء الغارة الجوية .

ومنذ تلك الليلة اخذت انام بثيابى التى ألبسها فى النهار ، واحتفظ بمسدس فى جيبي ، وحددت بنفسى كلمة السر داخل القصر .

وفى اليوم التالى جاء ياماتا ورئيس الاركان ليخبرانى بأن الجيش اليابانى سينسحب ويبقى محتفظا بجنوبى منشوريا ، لذلك فان ” العاصمة “ ستنتقل الى تونغهوا ، وان على ان استعد للانتقال فى نفس اليوم . ولما ادركت ان من المستحيل ان انقل بيتى الكبير وجميع ممتلكاتى بهذه السرعة الشديدة ، رجوت ان يؤجل الانتقال ، فظفرت بمهلة يومين .

بدأت الآن اعانى تعذيبا نفسيا جديدا يرجع من جهة الى التغير الكبير فى موقف يوشيوكا ، ومن جهة الى شكوكى المرضية . لقد لاحظت التغير فى موقف يوشيوكا من ملاحظة ابدائها بعد انصراف ياماتا : ” اذا لم تذهبوا يا صاحب الجلالة فستكونون اول من يقتل على ايدي الجنود السوفيات . “ قال ذلك بطريقة ملؤها الشراسة والنظاظة . وما جعلنى اكثر خوفا هو شككهم فى اننى لا اريد ان اذهب واننى اخطط لخيانتهم .

” اذا هم يظنون بأننى يمكن ان تأسرنى الجيوش المتحالفة ، أفلا ينكرون

فى قتلى ليحفظوا بصمتى ؟“ جعلت هذه الفكرة شعرى يقف عن آخره ، ثم تذكرت حيلة كنت قد قمت بها قبل عشر سنوات لأظهر ” وفائى واخلاصى“ امام يوشيوكا فأرسلت فى طلب ” رئيس الوزراء“ تشانغ جينغ هوى وتاكيب روكوزو ، رئيس مكتب الشؤون العامة لمجلس الدولة ، وامرتهما قائلا : ” يجب ان ندعم الحرب المقدسة التى تخوضها دولتنا الابوية بكل قوتنا ، ويجب ان نقاوم الاتحاد السوفياتى الى النهاية ، الى النهاية تماما .“

والتفت لأنظر الى تعابير وجه يوشيوكا ، فرأيت ان ” المالحق“ الذى لازمنى فى الاحوال العادية كظلى قد ذهب . فأخذت ادرع الغرفة جيئة وذهابا ، وقد استبدت بسى نذر الخوف . ونظرت الى خارج النافذة فرأيت بضعة جنود يابانيين يتقدمون نحو المبنى وينادقهم مشرعة . فكاد قلبى يطفر الى خارج فمى ، وظننت ان ساعتى قد حانت . ولما لم اجد مكانا اختبئ فيه ذهبت الى اعلى السلم لألقاهم . ولكنهم انصرفوا بعد ان رأونى . وقدردت انهم لا بد قد جاؤوا لاختبار ما اذا كنت سأهرب ام لا . وكلما فكرت فى ذلك ازددت ذعرا فتناولت سماعة الهاتف كى اتصل بيوشيوكا ، فلم اجده وبدا الامر لى كأن اليابانيين غادروا من دونى ، وذلك ارضعبنى ايضا .

وفيما بعد تمكنت من الاتصال بيوشيوكا . كان صوته ضعيفا جدا ، وقال انه مريض . فعبرت له عن اهتمامى ، وقلت بعض الكلمات الرقيقة ، فسمعته يقول : ” شكرا لكم يا صاحب الجلالة“ ، واغلقت الهاتف . وتنفس الصعداء . وتذكرت اننى لم آكل طوال النهار واننى جائع جدا . فطلبت من مرافقى الاخير ، وهو ” لى“ الكبير ان يحضر لى شيئا من الطعام ، ولكنه اخبرنى بأن الطباخين قد غادروا كلهم . فاضطرت الى تسكيت جوعى بالسكويت .

وبعد التاسعة مساء بقليل من اليوم الحادى عشر وصل يوشيوكا . كان شقيقى وشقيقتى وأزواجهن وأبناء اشقائى فى محطة القطار حينذاك ، ومن اسرتى بقى فقط انا وزوجتائى . فقال لى يوشيوكا وللخدم الذين كانوا ما يزالون معى بنبرة آمرة :

— سواء سنمشى او نركب فى السيارات ، فان الاشياء المقدسة التى يحملها هاشيموتو تورانوسيك ستكون فى المقدمة . واذا مر اى شخص بها فعليه ان ينحنى انحناءة مقدارها تسعون درجة .

وادركت اننا يجب ان نتحرك الآن . فوقفنا باحترام ونظرت الى هاشيموتو رئيس مكتب العبادة بحمل صرة تحتوى على مواد سينتو المقدسة ويدخل السيارة الاولى . وصعدت انا الى السيارة الثانية ، وعندما غادرنا القصر نظرت حولى فرأيت ألسنة اللهب ترتفع فوق ” معبد التأسيس الوطنى “ .

استغرق القطار ثلاثة ايام ولياليتين حتى وصل داليتسيكو . وكانت الخطة الاصلية ان نذهب اليها عبر شنيانغ ، ولكن القطار سلك طريقا آخر على طول خط جيلين — ميخكو لتجنب الغارات الجوية . وخلال الرحلة كلها لم نتناول الا وجبتين وبعض البسكويت . ورأينا على امتداد الطريق عربات عسكرية يابانية تزدحم بخليط من الناس : جنود ولاجئيين كما بدا لى . وتوقف القطار فى ميخكو ليصعد اليه قائد جيش قوانونغ ، ياماتا ، الذى اخبرنى بأن الجيش اليابانى حقق الانتصارات وانه قد دمر عددا من الطائرات والدبابات السوفياتية . ولكن روايته هذه كذبها ما رأيته فى محطة جيلين . فقد كانت هناك حشود من النساء والاطفال اليابانيين يصرخون ويصفعون ويندفعون نحو القطار باكين ويرجون رجال الدرك ان يسمحوا لهم بالمرور . وعند نهاية رصيف المحطة كان رجال الدرك والجنود اليابانيون يتصارعون . وفى ١٣ اغسطس وصلت الى داليتسيكو التى تضم مجموعة مناجم للفحم وسط الجبال . وكانت جميلة ، ولكننى لم استطع تأملها لشدة رعبى . وبعد

يومين اعلن استسلام اليابانيين ؛

عندما قال يوشيوكا : ” لقد اعان صاحب الجلالة الامبراطور انسحابنا ،  
والحكومة الامريكية قد تمهدت بضمنان مركزه وامنه “ جنثوت على ركبتى  
وسجدت للسماء ، مرتلا : ” اشكر السماء على حمايتها صاحب الجلالة  
الامبراطور “ وركع يوشيوكا كذلك وسجد .

وقال يوشيوكا حينذاك بتعبير كئيب ان جيش قواندونغ على صلة بطوكيو ،  
وانه تقرر ارسالى الى اليابان . وازاف ” ولكن صاحب الجلالة الامبراطور  
لا يمكن ان يتحمل مسؤولية غير مشروطة عن امن جلالتكتم . وهذا سيكون  
فى ايدى الحلفاء . “

فشعرت ان الموت يشير الى :

وجاء تشانغ جينغ هوى وتاكيب روكوزو مع مجموعة من ” الوزراء “  
و” اعضاء المجلس الاستشارى “ . وكانت هناك مهزلة اخرى تتطلب  
تأديتها ، فجلبوا معهم كتابة جديدة من وضع خبير اللغة الصينية اليابانى  
ساتو ، تتضمن ” مرسوم التنازل “ . وبدوا كأنهم حشد من الكلاب الضالة  
وانا اقف امامهم واتلو عليهم المرسوم . لقد نسيت صياغة هذا المرسوم  
السادس ، ولكننى ما زلت اتذكر ان الاشارات التى لا غنى عنها الى ” البركة  
الالهية لالهة الاشراق المشع السماوى وحماية صاحب الجلالة امبراطور  
اليابان “ قد حذفها هاشيموتو بضحكة صفراوية . كان هاشيموتو فى السابق  
قائدا لفوج الحراسة الامبراطورية اليابانية ، واصبح فيما بعد رئيسا لـ ” مكتب  
العبادة “ فى ” امبراطورية منشوريا “ ومسؤوليته حراسة الهة الاشراق المشع  
السماوى وبهذا اصبح من اعرف العارفين بشؤون الامبراطور والآلهة .

لو كنت فى ذلك الوقت اعرف ان المنزلة التى اتمتع بها اقل من منزلة  
تشانغ جينغ هوى ومجموعته لكننى اكثر اكتئابا . عندما قرر اليابانيون  
ان اذهب الى طوكيو ، هياوا امر العودة السرية لتشانغ جينغ هوى وتاكيب

الى تشانغتشون للقيام بترتيبات للمستقبل . وعندما عاد تشانغ جينغ هوى الى تشانغتشون قام باتصال لاسلكى مع تشيانغ كاي شيك فى تشونغتشينغ واعان تأسيس " لجنة الحفاظ على النظام العام " التى كانت تستعد لاستقبال قوات الكوميتانغ ، وامل هو ومجموعته ان يتمكنوا من القيام بتحول سريع الى مندوبين عن جمهورية الصين قبل وصول القوات السوفياتية ، ولكن التقدم السوفياتى كان اسرع بكثير مما توقعوا ، والجيش المتحالفه ضد اليابانيين التى يقودها الشيوعيون كانت تكتسح مقاومة الجنود اليابانيين فيما كانوا يقتربون من المدينة . وفى اليوم التالى بعد وصول الجيش السوفياتى الى تشانغتشون ، تبددت احلام تشانغ جينغ هوى ، عندما اخذ هو وزملاؤه أوزراء اسرى فى طائرة الى الاتحاد السوفياتى .

وفى ١٦ اغسطس عام اليابانيون ان هناك صدامات بين حرس القصر والجيش اليابانى فى تشانغتشون ، لذلك جردوا جماعة الحرس التى جاءت معى من اسلحتها . وفى الوقت نفسه اخبرنى يوشيوكا اننى سأذهب الى اليابان فى اليوم التالى . فبرزت رأسى بسرعة موافقا ، وتظاهرت بأننى مسرور جدا . وطلب منى يوشيوكا ان اقرر من سأخذ معى . ونظرا الى اننا سنذهب فى طائرة صغيرة ، لم اختر الا شقيقى بو جيه واثنين من ازواج شقيقاتى وثلاثة من ابناء اشقاتى وطيبيا ومرافقى الشخصى لى الكبير . وسألتنى زوجتى الادنى مرتبة وهى تنتحب عما تفعله فأجبتها :

– الطائرة صغيرة جدا ، لذلك عليك ان تذهبى بالقطار :

– هل سيدهب القطار الى اليابان ؟

فأجبتها دون ان افكر لحظة واحدة :

– بالطبع سيدهب الى اليابان . بعد ثلاثة ايام على ابعد تقدير ستريتنى

انت والامبراطورة مرة ثانية .

– ماذا يحدث اذا لم يأت القطار ؟ ليس لى اى قريب هنا اطلاقا .



– ستتقابل ثانية بعد يومين . ستكونين على ما يرام .  
كنت شديد الانشغال بانقاذ حياتي فلم التفك الى انه سيكون هناك  
قطار لها ام لا .  
ونزلنا في شنيانغ في الساعة الحادية عشرة صباحا منتظرين نقلنا الى  
طائرة كبيرة حيث جلسنا في استراحة المطار .  
وقبل ان يمضى على انتظارنا وقت طويل رددت ارض المطار ضجيج  
طائرات لكنها لم تكن طائرات يابانية بل سوفياتية . واندفع خارجا من الطائرات  
جنود سوفيات يحملون بأيديهم رشاشات ، وعلى القور جردوا جميع الجنود  
اليابانيين في المطار من اسلحتهم ، وسرعان ما غطى الجنود السوفيات ساحة  
المطار .  
وفي اليوم التالى حملت على متن طائرة سوفياتية انطلقت بى الى الاتحاد  
السوفياتى .

الفصل السابع

فى الاتحاد السوفياتى

## خوف ووهم

عندما هبطنا في تشيتا كان الظلام يخيم على كل شيء . وكان جماعتي ، وهم الحشد الاول من مجرمي الحرب التابعين لـ ” امبراطورية منشوريا ” في الاتحاد السوفياتي ، قد اخذوا من المطار في سيارة من سيارات الجيش السوفياتي . وعندما نظرت من النافذة بدا لي كأننا نطلق عبر سهل امتد امامنا اسود واسعا على كلا الجانبين . وبعد فترة دخلنا في غابات وبدأنا نتسلق . اصبح الطريق ضيقا ومنحدرا ، واخذت السيارة تخفف سرعتها . وفجأة توقفت وسمعنا نداء وسط الظلمة باللغة الصينية : ” اخرجوا اذا اردتم قضاء الحاجة . ”

وذعرت ظانا ان الصينيين قد جاءوا ليعيدوني ؛ ولكن المتكلم تبين انه ضابط سوفياتي من اصل صيني . وكما كان يحدث لي غالبا في الجزء الاول من حياتي ، عانيت كثيرا من الاضطرابات الذهنية التي لم يكن لها اي لزوم ، وذلك بسبب شكوكي المرضية . لقد ذعرت من الوقوع في ايدي الصينيين ، فقد اعتقدت انني سأحظى بفرصة البقاء على قيد الحياة اذا كنت في يد سلطة اجنبية ، اما الصينيون فسيفتلوني لا محالة . وكان من المضحك طبعاً ان اتخيل بأنني سأعاد الى الصين فور وصولي للاتحاد السوفياتي .

وبعد ان استرحنا قليلا عدنا الى السيارة ، وبعد ساعتين توقفنا عند مبنى مضاء كبير في واد جبلي . فنزلنا من سيارتنا ونظرنا الى هذا المبنى الجميل ؛ وتمتم احدنا قائلاً : ” هذا فندق . ” فاسترد كل واحد معنوياته . وعندما دخلنا الفندق استقبلنا رجل في الاربعين من عمره يرتدى ملابس

مدنية ، وخلفه كانت مجموعة من الضباط السوفييات . واعلن بوقار ان الحكومة السوفياتية قد امرت بأن نحتجز هنا . وتبين فيما بعد ان هذا الرجل لواء في قيادة حامية تشيتا . وبعد اعلانه هذا اخبرنا برقة اننا سنتنظر هنا بهدوء الى ان يتخذ قرار حول كيفية معاملتنا . ثم اشار الى زجاجة ماء على طاولة واخبرنا بأن المكان مشهور بينابيعه ذات المياه المعدنية الصحية .

ولم استسغ المياه المعدنية في البداية ، ولكن فيما بعد اصبحت مولعا بها . وامنينا فترة احتجاز رائعة في هذا المصح ، كانت تقدم لنا فيه ثلاث وجبات روسية كبيرة ، كما يقدم لنا الشاي بعد الظهر . وكان هناك خدم للقيام بخدمتنا ، واطباء وممرضات للاعتناء بصحتنا ، واجهزة راديو وكتب وصحف وتسهيلات لأنواع اخرى من الاستجمام . وكان هناك ايضا اناس لأخذنا في التمشي بين حين وآخر . لقد كانت حياة مرضية من البداية . ولم يمض على وقت طويل هناك حتى برز عندي امل غريب هو ان من الممكن ان يسمح لي بأن اذهب واعيش في بريطانيا او امريكا لاجئا ، ما دام البلدان حليفين للاتحاد السوفياتي ؛ وكنت قد جلبت معي ما يكفي من المجوهرات لبقية حياتي . ولكني احقق هذا الطموح كان على ان اتأكد اولا من انه سيسمح لي بالاقامة في الاتحاد السوفياتي ، وباستثناء الطلبات الشفوية قدمت ثلاثة طلبات خطية الى السلطات السوفياتية خلال تلك السنوات الخمس طالبا ان يسمح لي بالاقامة الدائمة في الاتحاد السوفياتي . ولكن هذه الطلبات الثلاثة لم احصل على اى جواب عنها .

اما محتجزو (٨) "امبراطورية منشوريا" الآخرون فقد وقفوا موقفا مختلفا تماما . لقد وصل تشانغ جينغ هوى وتسانغ شى يى وشى تشيا وآخرون غيرهم الى المصح بعد بضعة ايام من وصولي . وفي اليوم التالي جاؤوا لرؤيتي . وظننت ان هذه زيارة مجاملة الى ان قال تشانغ جينغ هوى :

— لقد سمعنا انكم تريدون الاقامة في الاتحاد السوفياتي ، ولكن اسرنا

في الشمال الشرقي وتحتاج الى عنايتنا بهم . وبالإضافة الى ذلك فان لدينا بعض الاعمال الرسمية سنؤديها هناك . فنريد منكم ان تطلبوا من السلطات السوفياتية ان تسمح لنا بالعودة قريبا . فهل تظنون ان هذا ممكن ؟  
رأى اعرف ولم اهتم بما يمكن ان يكون هذا " العمل الرسمي " ولم اعر كذلك ادنى اهتمام بطلبهم . ولكن عندما توسلوا الى اخبرت الضابط السوفياتي المسؤول عنا بذلك ، فأعطاني نفس الجواب الذي كان يجيبني به عن طلباتي - " حسن جدا سأنقل هذا الطلب الى المسؤولين " . ولم ينتج من ذلك شيء .

والسبب الذي ارادوا من اجله العودة هو انهم فهموا الكومينتانغ تمام الفهم . لقد عرفوا ان الكومينتانغ بحاجة اليهم ، واعتقدوا انهم سيكونون قادرين على تحقيق مكاسب لأنفسهم . وبعضهم كاد ان يجن شوقا الى العودة . وعند وجودنا في الاتحاد السوفياتي كان ينقل الينا الاخبار مترجمون سوفيات ، وغالبا ما كنا نرى صحيفة " شى هوا باو " الناطقة باللغة الصينية التي كان يصدرها الجيش السوفياتي في ليويشون . وتابع الوزراء العملاء السابقون تطور الحرب الاهلية الصينية بدقة ، وكانت عواطفهم بالطبع مع الكومينتانغ المدعوم من امريكا والذي توقعوا له ان يفوز . ولكن عندما انتهت الحرب بهزيمة الكومينتانغ ، ارادوا ان يرسلوا برقية تهنئة بتأسيس جمهورية الصين الشعبية . ولكنني لم اهتم بالحرب ، لأنني شعرت انه لا فرق عندي ان يفوز الشيوعيون ام الكومينتانغ ، فكلاهما يريد حياتي . وكان املي الوحيد ألا اعود ابدا الى بلادى .

ما زلت ابدى كبرياء مصطنعة

لم اكف قط عن تصنع الكبرياء خلال السنوات الخمس التي امضيتها

في الاتحاد السوفياتي . وعلى الرغم من انه لم يبق هناك خدم عندما انتقلنا الى مركز الاستلام في خاباروفسك ، الا انه ظل معي اناس يخدمونني . فأفراد اسرتي كانوا يطوون لي فراشي ويرتبون غرفتي ، ثم يجلبون لي الطعام ويغسلون لي ثيابي . ونظرا الى انهم لم يجروؤا على مخاطبتي بعبارة ” جلالنكم “ ، كانوا يخاطبونني بكلمة ” شانغ بيان “ ( الاعلى ) ويأتون الى غرفتي كل صباح ليقدموا لي احتراماتهم تماما كما في الايام الماضية .

وذات يوم ، بعد وصولي الى خاباروفسك ، قررت ان اخرج للشمس : وفيما انا اهمم بهبوط السلم لاحظت ” وزيرا “ سابقا يجلس في كرسي عند اسفل السلم ، وعندما رأني تجاهل وجردى تماما . فغضبت غضبا شديدا فكرت معه في ألا اهبط السلم ثانية قط . وامتصت جل وقتي اتلو النصوص المقدسة . ولكن معظم ” الوزراء “ السابقين ظلوا يعاملونني باحترام . فعندما نأكل ” جياو تسي “ (٩) في عيد رأس السنة الصينية مثلا ، كانوا يقدمون لي الطاس الاول .

ولم اكن اسر ، وانا شخصيا لا اقوم بأى عمل اطلاقا ، ان يقوم افراد اسرتي بالعمل لأى شخص آخر . فعندما فرش شقيقى وزوجا شقيقتي المائدة للذين اكلوا عليها جميعا عند تناول وجبة من الوجبات كنت اوقفهم عن القيام بذلك ، فلم اكن اقبل بأن يخدم اقربائى احدا غيرى .

وفي المدة ما بين عام ١٩٤٧ وعام ١٩٤٨ نقل افراد اسرتي الى مركز استلام آخر في نفس المدينة ، فوجدت هذا لا يناسبني البتة ، حيث انني لم افصل عن اسرتي قبل ذلك ابدا . وكانت السلطات السوفياتية لطيفة جدا معي ، فسمحت لي بأن آكل وحدي ، ولكن من الذي يجلب لي طعامي ؟ ومن حسن الحظ ان نسيبي تطوع للقيام بذلك مع غسل ثيابي .

ولكى يجعلونا ، نحن العائلة (الطفيلين) ، نقوم بعمل خفيف ضئيل اعطينا زاوية من فناء مركز الاستلام حيث استطعنا ان نزرع فيها الخضراوات :

واعطيت انا وافراد اسرتى حاكورة زرعنا فيها الفلفل الاخضر والطماطم والباذنجان والباقلاء واشياء اخرى . ورحت اراقب الشتلات الخضراء مفتونا بها وهى تنمو يوماً بعد يوم ، وشعرت بمتعة عظيمة وانا املاً الوعاء بالماء واسقى هذه الخضار . لقد كانت هذه تجربة جديدة بالنسبة لى . ولكن السبب الرئيسى الذى جعلنى مسرورا هو اننى احب اكل الفلفل والطماطم . وكثيرا ما كنت افكر فى ان ذلك لم يكن سهلا مطلقا بالمقارنة مع شراء هذه الاشياء من دكان البقال .

واعظمتنا سلطات مركز الاستلام بعض الكتب باللغة الصينية لندرسها ، وكانت هناك اوقات محددة يقرأ فيها شقيقى وزوجا شقيقتى « قضايا اللينينية » (١٠) و « تاريخ الحزب الشيوعى السوفياتى (الباشفيك) » لكل واحد منا . ولكن الكتب لم تعن شيئا بالنسبة للقراء والمستمعين . وقد وجدتها باعثة على الكتابة ولا علاقة لها بنا . فاذا لم يسمحوا لى بالمكروث فى الاتحاد السوفياتى واعادونى الى الصين ، فما الفائدة التى اجنيها حتى ولو حفظت الكتابين عن ظهر قلب ؟

لقد بدت لى كلمة "دراسة" اقل واقعية فى تلك الايام من الفلفل والطماطم . ولدى جاوسى فى مكائى الخاص كنت اصغى الى "المعلم" يتمم بكلمات مثل "منشفيك" و "دوما الدولة" لم افهمها ولم ارغب فى فهمها ؛ وفى تلك الاثناء كنت اتساءل الى متى ستكفينى المجوهرات التى جلبتها معى للبقاء فى موسكو او لندن ، او كنت اسأل نفسى : "اذا لم يأكل الروس الباذنجان فكيف سأكل ما جئنا به ؟"

وبعد العشاء اتى موعد النشاطات الحرة . كانت توضع عند طرف الممشى بعض طاولات لعبة الماجيانغ وعند الطرف الآخر يقف البعض ينظرون الى السماء وايديهم مضمومة الى بعضها كأنما يتوسلون الى بوذا . ومن الطابق العلوى حيث اودع مجرمو الحرب اليابانيون ، كانت تنبعث

اصوات الاوبرا اليابانية . وكان اغرب مشهد هو احتشاد المحجوزين حول منضدة قراءة البخت عن طريق تحليل تركيب مقطع من مقاطع الصينية لاكتشاف متى سيسمح لهم بالعودة الى موطنهم وماذا حدث لعوائلهم . وبعضهم كان يستخير اللوح المقدس سرا في غرفة نومهم ، ليخبره عن موعد عودته الى موطنه . وخلال الايام القليلة الاولى كان الحراس يجفون لدى سماعهم الصياح ، فيهرعون ويحدقون الى اولئك الرجال الغريباء ثم يهزون رؤوسهم ؛ وفيما بعد تعودوا ذلك .

وامضيت جل وقتي خلال هذه الفترة داخل غرفتي ، اخض نقودي الذهبية للاستخارة (١١) واتلو السوترا الماسية (١٢) .

## ارفض الاعتراف بذنبي

نظرا الى انني لم اكف عن التصرف بوصفي كائنا اسمي ورفضت ان ادرس ، فلم يحدث اى تغير اساسى في تفكيرى ، وطبعاً لم اعترف بذنبي . وعرفت اننى من الناحية القانونية كنت مذنباً بالخيانة العظمى ، ولكننى رأيت ان هذه كانت بالقضاء والقدر . ” القوة حق ” و ” المنتصر يصبح ملكاً والخاسر يصبح قاطع طريق ” ، هكذا كان موقفى فى تلك الايام . لم افكر فى اية مسؤولية يجب ان اتحملها ، ولم اتساءل اية ايدولوجية كانت سبباً فى جرائمى ، ولم اسمع مطلقاً بضرورة اصلاح التفكير . ولكى اتجنب العقوبة لجأت الى حيل القديمة وحاولت ان اكسب رضى السلطات السوفياتية التى كانت حينئذ متحكمة بمصرى . لذلك قدمت مجوهراتى اسهاماً فى اعادة البناء بعد الحرب فى الاتحاد السوفياتى . ولم اقدم جميع مجوهراتى ، بل احتفظت بأفضلها لنفسى . وقدمت المجوهرات التى احتفظت بها لابن شقيقى ليخبئها تحت قعر مزيف لحقيبة



ملابسي . ومن سوء الحظ لم يستطع اخفائها كلها في ذلك الفراغ ، لذلك حاولت وضع بقية هذه المجوهرات في كل مخبأ استطعت الاهتداء اليه . ولكن عندما لم يعد صابونى يستوعب المزيد ، فقد اضطررت الى نبذ ما بقى .

وذات يوم جاء الى القاعة الرئيسية ضابط سوفياتى يصحبه مترجم . وامسك بيده شيئا براقا وسأل كل واحد منا : ” لمن هذه ؟ من وضع هذه في الشبكة المتروكة من انابيب التدفئة المركزية في الفناء ؟ ”

فاحتشد المحتجزون جميعا في القاعة ورأوا الضابط يمسك قطعة من المجوهرات . فقال احدهم : ” ان عليها دمنغة صانع الفضة في بكين . انى اتعجب من وضعها هناك . ” فعرفتها في الحال انها احدى القطع التي اخبرت ابناء اشقائى ان يتخلصوا منها ، ولكن بما انهم الآن مفصولين عنى لم استطع سؤالهم عنها . واسرعت هازا رأسى وقلت : ” عجيب جدا ، عجيب جدا . اننى اتساءل من وضعها هناك ؟ ”

ودهشت حين رأيت المترجم يتقدم منى ويده مشط خشبى وقال :

— لقد عشر على هذا المشط معها ، واذكر انه لك .

فأجبت في خيبة امل :

— لا ، لا ، انه ليس لى .

وتردد الرجلان بعض الوقت ، وذهلا لسذاجة انكارى ثم انصرفا . والى جانب نبذ المجوهرات احرقنا بعض الآلئى في موقد ، وطلبت من لى الكبير ان يرمى ببعض الآلئى المتبقية في المدخنة قبل ان تغادر الاتحاد السوفياتى بقليل .

وبسبب كراهيتى لليابانيين قدمت الى السلطات السوفياتية بكل حماسة مقدارا كبيرا من المعلومات عندما سألتونى عن جرائم اليابانيين في الشمال الشرقى . وعندما استاعدت للحضور شاهدا في ” المحكمة العسكرية الدولية

للشرق الاقصى“ في اغسطس ١٩٤٦ شجبت مجرمى الحرب اليابانيين بمتتهى  
الشدة . ولكننى لم اتكلم عن جرائمى خوفا من ان ادان . واستمرت شهادتى  
ثمانية ايام ، وكانت اطول شهادة فى المحكمة . وزودت الصحف الميالة  
الى معالجة الموضوعات المشيرة فى مختلف انحاء العالم بأخبار من الدرجة  
الاولى .

وكان السبب فى الطلب منى تقديم شهادة هو ان اكشف الحقيقة  
المتعلقة بالغزو اليابانى للصين ، ولأظهر كيف استخدمتى اليابان عميلا  
لمساعدتها فى ان تحكم الشمال الشرقى . واننى الآن اشعر بالخجل الشديد  
من شهادتى لأننى احتفظت ببعض ما كنت اعرفه كى احمى نفسى من ان  
تعاقبنى بلادى . فلم اقل شيئا عن تعاونى السرى مع الامبرياليين اليابانيين  
خلال مدة طويلة من الصحبة التى لم يكن استسلامى الصريح لهم بعد ١٨  
سبتمبر ١٩٣١ الا نتيجة لها . وتكلمت بدلا من ذلك عن الطريقة التى مارس  
اليابانيون الضغط على ليجيرونى ان اعمل وفقا لمشيئتهم .

واظهرت عروضا متعددة للانفعال فى المحكمة العسكرية . فعندما  
تكلمت عن ادخال عبادة الهة الاشرار المشع السماوى الى الشمال الشرقى ،  
سألنى محام يابانى ان كان هجومى على سلف امبراطور اليابان يتفق والاخلاق  
الشرقية . فصحت محييا : ” انا لم اجبره على اتخاذ سلفى سلفا له . “  
فانفجرت القاعة كلها بالضحك ، ولكننى كنت فى غاية السخط . وعندما  
ورد ذكر وفاة زوجتى تان يوى لينغ تكلمت كأنما شكوكى بخصوص موتها  
كانت حقائق ثابتة ، فقلت على نحو مأساوى : ” حتى هى قتلت على يد  
اليابانيين . “ وكنت بالطبع ملتها بالعاطفة ، ولكننى كنت ايضا اصور  
نفسى متممدا اننى ضحية لليابانيين .

وحاول محامى الدفاع جميع انواع الحيل ضدى املا فى تجريد شهادتى  
من الثقة ، بل اقترح اننى لست مؤهلا لأكون شاهدا ولكن هذه المحاولات

اخفقت طبعاً ، وحتى اذا كانت ناجحة فانها لن تعنى شيئاً جديداً بالنسبة  
لمصير المتهم . ولكن عندما تعمدوا ان يستغلوا خوفاً من العقوبة ليجعلوني  
اصمت ، نجحوا الى حد ما . اذكرك انى بعد ان اعددت قائمة بجرائم  
مجرمى الحرب اليابانيين صاح محام امريكى : ” انك تضع اللوم كله  
على اليابانيين ، ولكن عاجلاً او آجلاً ستدينك الحكومة الصينية على جرائمك . “  
فأصاب بذلك هدفه ، فاننى بسبب خوفاً من هذا الامر بالضبط اصبرت  
على اننى لم اخن وطنى واننى اختطفت خطفاً ، وانكرت كل تعاونى مع  
اليابانيين ؛ بل ادعيت ان الرسالة التى كتبتها الى مينامى جيرو كانت مزيفة .  
وخطيت جرائمى كى احمى نفسى . وهذا يعنى اننى لم اقم بكشف كامل  
لجرائم الامبرياليين اليابانيين . وبذلك قدمت لهم خدمة طيبة .

الفصل الثامن

من الخوف الى الاعتراف

## اتوقع ان اموت

في ٣١ يوليو (تموز) ١٩٥٠ وصل القطار السوفياتي الذي يحمل مجرمي الحرب التابعين لـ "امبراطورية منشوريا" الى محطة سوينبخه على منطقة الحدود الصينية السوفياتية . واخبرنا الكابتن آستر الذي كان مسؤولا عن حراستنا اننا سنسلم الى السلطات الصينية في الصباح التالي ، ونصحنا بأن ننام باطمئنان .

بعد ركوبى القطار في خاباروفسك فضلت عن افراد اسرتى ووضعت في نفس العربة مثل الضباط السوفيات . وقدموا لى البيرة والحلوى ، ورووا لى قصصا مسلية خلال الرحلة ؛ ورغم هذا كله شعرت بأنهم يقودونى الى حتفى . وظننت اننى سأهلك لحظة تظاً فيها قدمى تراب الصين .

كان تنفس الكابتن آستر ينبعث منتظما وهو فى مضجعه المقابل . لقد استلقيت وعيناي مفتوحتان على اتساعهما ، وظللت مستيقظا خوفا من الموت . ثم استويت جالسا ، واخذت اتلو النصوص البوذية ، واوشكت ان استلقى ثانية ، فاذا بى اسمع وقع خطوات جنود على رصيف المحطة . فنظرت من النافذة ، ولكننى لم استطع رؤية احد . وكان وقع اقدامهم يخفت شيئا فشيئا ، وكل ما استطعت ان اتبينه هو بعض المصابيح المتألثة من بعيد . فتنهدت وكورت نفسى فى زاوية مضجعى ، وحدقت الى الكؤوس الفارغة على الطاولة . وتذكرت شيئا قاله لى آستر عندما كنا نشرب البيرة التى كانت معهم : "عند المعجر سترى وطنك الام . والعودة الى الوطن الام مناسبة تستحق التهئة . لا تقلق ، فالسلطة السياسية الشيوعية من اكثر السلطات

تحضروا على الارض ، والحزب الشيوعي الصيني والشعب الصيني على درجة عظيمة من الكرم .“

فقلت في نفسى : “كذاب“ . وانا انظر الى آستر الذى كان حينذاك يشخر . ” ان كلماتك وبيرتك وحلوك - كلها خداع . ان حياتى لن تستمر اكثر من هذا الندى العالق بزجاج النافذة من الخارج . ولكنك نائم هناك كجذع شجرة .“

لم اصدق ان الشيوعيين يمكن ان يكونوا ”متحضرين“ . كانوا مزالون فى نظرى ”فيضانات مدمرة وحرشا مفترسة“ كما اخبرونى بذلك عندما كنت اعيش فى بكين وتيانجين وتشانغتشون . وعزوت المعاملة الانسانية التى لقيتها من الاتحاد السوفياتى ، الدولة الشيوعية ، الى حقيقة انه بلد من البلدان المتحالفة التزم بالاتفاقيات الدولية . ورأيت ان الصين ستكون مختلفة تماما . فالشيوعيون هناك قد اطاحوا بتشانغ كاي شيك ، وانهم ليكرهونى كراهية شديدة تزيد عن كراهيته لى مائة مرة . وظننت اننى بمجرد وقوعى فى قبضة هؤلاء الرجال القساة فلن يبقى لدى امل حتى بميتة مريحة .

وامضيت الليل افكر بمثل هذه الافكار المرعبة . وعندما طلب منى الكابتن آستر فى الصباح التالى ان اذهب معه لرؤية ممثل الحكومة الصينية ، لم اكن افكر الا فيما ان كانت لدى الشجاعة التى تمكنتنى من ان اهتف ”عاش الامبراطور تاى تسو“ قبل ان اموت .

وتبع آستر بذهن مضطرب الى مقصورة اخرى كان يجلس فيها صينيان ، احدهما يرتدى ثيابا مدنية زرقاء والثانى بزة عسكرية خالية من اية رتبة ، سوى رقعة على صدره كتب عليها ”جيش التحرير الشعبى الصينى“ . فنهضا وتبادلا بضع كلمات مع آستر ، ثم نظر الى صاحب الملابس المدنية من الاعلى الى الاسفل وقال : ”لقد جئت لاستلامك بأمر من رئيس مجلس الدولة شو ان لاي . لقد عدت الآن الى وطنك الام .“

فخفضت رأسي منتظرا من العسكري ان يقيدني . ولكنه جلس ساكنا ،  
مكتفيا بالنظر الى .

وقلت في نفسي وانا اخرج من القطار واخطو على رصيف المحطة  
بعد ساعة تقريبا : ” انه يعرف انني لا استطيع ان اهرب . “ وكان هناك  
صفتان من الجنود المسلحين احدهما من القوات السوفياتية والثاني من القوات  
الصينية وعلى صدورهم نفس الرقعة التي رأيتها على صدر الضابط في القطار .  
ومشيت بين هذين الصفتين وصعدت القطار المقابل . وتذكرت ان قوات  
تشانغ كاي شيك المسلحة البالغ عددها ثمانية ملايين جندي قد ابادها  
رجال يضعون على صدورهم هذه الرقعة ، وقدرت انني لا بد ان اكون في  
اعينهم اقل شأنًا من دودة .

وفي القطار رأيت مجموعة من موظفي ” امبراطورية منشوريا “ السابقين  
وافراد اسرتي . كانوا جميعا مستقيمين في جلستهم ، لا احد منهم مكبل .  
واخذت الى مقعد في نهاية العربة تقريبا ، ووضع جندي حقيبتى في موضع  
الامتعة . وحاولت النظر من النافذة ، ولكنني وجدت انها مغطاة بالورق .  
ورأيت عند طرف كل عربة جنديا يحمل رشاشة . فهبط قلبى . هذا يعنى  
بالتأكيد اننا مرسلون الى ساحة الاعدام . وكانت وجوه جميع المجرمين من  
حولى شاحبة شحوب الموت .

وبعد فترة قصيرة مشى رجل غير مسلح الى منتصف العربة ، بدا كأنه  
ضابط ، وقال وهو يجيل بصره فيما بيننا : ” حسنا ، لقد عدتم الآن الى  
وطنكم الام . ان الحكومة الشعبية المركزية قد اعدت لكم الترتيبات اللازمة ،  
فليس هناك ما تقلقون عليه . وهناك طقم طبي في القطار ، فاذا كان اى  
منكم مريضا ، يمكنه ان يطلب رؤية الطبيب . “

ماذا يمكن ان يكون قد عنى بكلامه هذا ؟ من المحتمل انه يحاول  
ان يطمئنتنا ثانية ويمنع حدوث اى شىء غير ملائم خلال الرحلة . وبعدها

دخل بضعة جنود واعطوا كالا منا عودى اكل وطاسا ، وطلبوا منا ان نعتنى بهما جيدا لأن من غير الممكن ان نعطي بديلا منهما فى الرحلة . فظننت ان هذا يعنى ان الرحلة الى ساحة الاعدام لا بد ان تكون طويلة .

تألف الفطور من خضار مخلل وبيض مملح وعصيدة الارز . واثارت رائحة هذا الطعام ، طعام بلادنا ، بعد سنوات طويلة من الغياب فى الخارج ، شهيتنا جميعا ، وسرعان ما انهينا وعاء كبيرا من عصيدة الارز . وعندما رأى الجنود ذلك اعطونا وعاء العصيدة الذى كانوا سيأكلونه هم . فلم استطع فهم هذا التصرف وعرفت انه لعدم وجود تسهيلات طبخ فى القطار لا بد ان ينتظروا حتى نصل المحطة التالية فسيطبخوا مزيدا من العصيدة . وتوصلت الى نفس النتيجة : لا بد ان لديهم بعض النوايا السيئة تجاهنا .

وبعد انتهاء الفطور لم يبد كثير من القلق تقريبا على بعض الوجوه : وعندما تناقش اصحابى حول ذلك فيما بعد قالوا ان كرم الجنود اظهر انهم مدربون ومنضبطون على نحو جيد وانهم لن يسيئوا معاملتنا خلال الرحلة . ولكن وجهات نظرى كانت مختلفة تماما . لقد ظننت ان الحزب الشيوعى يكرهنى كراهية مرة ، وانه ربما يقتلنى خلال الرحلة بدافع الانتقام . حقا انهم سيفعلون ذلك حتما ، ومن المؤكد تقريبا ان ذلك سيتم هذا النهار او هذه الليلة . وغلب النعاس بعضنا بعد الفطور ، ولكننى كنت فى غاية القلق وبحاجة الى شخص اتحدث اليه . لقد اردت ان اجعل حرسى يعرفون اننى يجب ألا اقتل .

كان يجلس مقابلى جندى امن شاب ، وبدا لى انه من اكثر الاشخاص ملاءمة للمحادثة . فنظرت اليه بعناية ، ثم وجدت موضوعا للحديث فى تلك الرقعة المثبتة على صدره وقلت : ” انكم جندى فى جيش التحرير الشعبى الصينى (كانت هذه المرة الاولى التى استخدمت فيها صيغة الاحترام ’ انكم ‘ ) ، ومعنى كلمة ’ تحرير ‘ جيدا جدا . اننى بوذى ، والنصوص البوذية مشتملة



على فكرة التحرير . ان معبودنا بوذا رحيم ، وقد اخذ على نفسه تحرير جميع الكائنات الحية . . . “

حاق الجندى الشاب الى بعينين مفتوحتين ، مصغيا دون ان يتفوه بكلمة وانا اثرثر . وعندما قلت اننى لم اقتل ابدا اى كائن حى ولم اقتل حتى الذباب ، بدت تعابير وجهه غير مفهومة بالنسبة لى . ثم هبطت معنوياتى وتوقفت عن الكلام . ومن اين لى ان اعرف حينذاك ان هذا الجندى الشاب قد وجدنى صعبا على الفهم كما وجدته ؟

واصبح بأسى الآن اشد من السابق . وجعلنى هدير العجلات وهى تجرى على السكة اشعر بأن الموت يقترب . ونهضت من مقعدى وتنجوات على طول الممر بين المقاعد الى الطرف الآخر من العربة . وبعد ان وقفت خارج باب المرحاض رجعت ادراجى . وعند منتصف الطريق فى الممر سمعت ابن شقيقى شيو الصغير يتحدث مع شخص ما بصوت خافت . ولدى سماعى كلمة ”ديمقراطية“ و” ملكية“ وقفت وصحت بهما قائلا :  
- ما زلتما تتحدثان عن الملكية فى هذه الايام ؟ كل من يعتقد بأن الديمقراطية سيئة سأقاتله .

فذهل كل فرد لهذا الاندفاع المفاجئ ، ولكننى واصلت الصياح على نحو هستيرى :

- لماذا تنظرون الى جميعا هكذا ؟ لا تقلقوا ، انهم لن يفعلوا اكثر من اطلاق النار على .

فجاء جندى وسحبى الى مقعدى ، ونصحنى بأن لا اثور . فتعلقت به كأنما كنت مسحورا وهمست فى اذنه : ” ذلك الشخص ابن شقيقى . ان افكاره سيئة جدا ، فهو ضد الديمقراطية . والشخص الآخر يدعى تشاو وكان ضابطا وقد قال كثيرا من الاشياء السيئة فى الاتحاد السوفياتى . “  
وتابعت على هذا النحو بعد عودتى الى مقعدى . وعندما طلب منى

الجندي ان اضطلع لم أجد امامي خيارا آخر ، ولكنني واصلت الحديث وانا مضطجع على المقعد وعيناي مغمضتان . واخيرا اخذني النعاس ، ربما لأنني لم انم منذ عدة ليالى .

وعندما استيقظت كان ذلك فى الصباح التالى . وازدت ان اعرف مصير الشخصين اللذين بلغت عنهما . فنهضت لأنظر ، فرأيتهما كليهما يجاسان فى مكانيهما السابقين . كانت تعابير وجه شيو الصغير طبيعية ، اما تشاو فقد بدا غريبا بعض الشيء . وعندما دققت النظر اليه وجدت انه قد بدا مكتئبا ، وكان يحرق الى يديه بدقة . فاستنتجت انه عرف بأنه على وشك ان يموت فكان يرثى احواله . وحينذاك تذكرت القصص عن الاشباح المتقدمة ، وذعرت من ان يأتى شبحه ليصفى الحسابات معى بعد موته . فتقدمت منه وسجدت امامه . وبتجنبي الكارثة على هذا النحو. عدت الى مقعدى اتمتم بتعويدة تقمص لأرواح الموتى .

ابطأ القطار فى اندفاعه الى ان توقف . وتمتم احدهم قائلا : ” تشانغتشون“ . فقفزت كالنابض وبحثت عبثا عن شق فى النوافذ المغطاة بالورق لأنظر منه واستطعت ان اسمع جمعا من الناس يغنون فى الجوار . فظننت ان هذا يجب ان يكون المكان الذى سأموت فيه حيث كنت امبراطورا هنا . كل شخص هنا كان ينتظر محكمتى العلنية . بينما كنت فى الاتحاد السوفياتى قرأت عن الصراع ضد الطغاة المحليين وعرفت ما يتعاق باجراءات المحاكم : قبل كل شىء يأخذ رجال الميليشيا المتهم الى المنصة . وعندها تماما دخل جنديان باب العربية ، فأفزعتنى ذلك فزعا شديدا . ولكنهما فى الواقع قد جلبا عسيمة الارز من اجل الفطور ، وبعد وصولهما بدأ القطار فى تحركه ثانية . وعندما وصل القطار الى شينانغ اقتنعت بأننى سأموت هنا فى المكان الذى ظهر فيه اسلافى . وبعد توقف القطار مباشرة دخل العربية شخص غريب وبيده قطعة ورق ، واعلن قائلا : ” نظرا الى ان هذا اليوم شديد

الحر فليتبعني الكبار منكم للاستراحة . ” وبدأ يقرأ أسماء من القائمة التي في يده . وبدأ غربيا بالنسبة لى ان القائمة لم تشملنى فقط ، انا الذى يمكن ان اعتبر كبيرا حيث اننى فى الرابعة والاربعين من عمرى ، بل ابن شقيقى شيو الصغير ايضا الذى كان فى الثلاثين من عمره . من الواضح ان هذه خدعة . لقد كنت امبراطورا ، وكان الآخرون وزراء ، وشيو الصغير قاد بلغت انا عنه . وصعدنا جميعا سيارة كبيرة بمرافقة جنود يحملون رشاشات . فقلت لشيو الصغير : ” هذه هى النهاية . سأخذك لمقابلة اسلافنا . ” وشحب وجهه فجأة . فضحك صاحب القائمة وقال : ” مم انت خائف ؟ ألم اقل لك انك قادم للاستراحة ؟ ” فلم اهتم بكلامه ، وظللت اقول لنفسى ان هذه خدعة .

توقفت السيارة امام مبنى كبير على بابه المزيد من الجنود المسلحين . وتقدم منا جندى لا يحمل اى سلاح وحيانا ، ثم قادنا الى الداخل قائلا : ” الى الاعلى . ” واصبحت لدى الآن شجاعة اليأس فقررت انه من الافضل ، اذا كنت سأموت ، ان اموت بسرعة . وطويت معطفى على شكل صرة ، ووضعته تحت ذراعى ، وصعدت . وانطلقت بسرعة كبيرة بحيث تجاوزت الجندى الذى يقودنا فى الطريق فجعلته يسرع ليصبح امامى مرة ثانية . ثم ادخلنى الى قاعة كبيرة مفروشة بالكراسى والطاولات التى مدت عليها الفاكهة والسجائر والكعك . فألقيت معطفى على طاولة ، وتناولت تفاحة وبدأت آكلها ، مقتنعا ان هذه هى المأدبة التى تقام دائما للمحكومين بالاعدام ، واننى كلما اسرعت فى اكلها سينتهى كل شىء بسرعة . ولكن القاعة امتلأت بالقادمين قبل ان اتم نصف التفاحة .

وبدأ رجل بملابس مدنية يتكلم بقربى ، ولكننى كنت منشغلا بتفاحتى فلم التف الى ما كان يقول . وعندما انتهيت من التفاحة نهضت وقاطعته قائلا :

- كفى كلاما . هيا بنا :

فضحك بعضهم من ذوى الملابس المدنية ، وقال المتحدث بابتسامة :  
- انك مستعجل جدا . لا تقلق ، عندما تصل الى فوشون ستحصل

على استراحة جيدة ، وعندها تقوم بدراسة جيدة .

فأصبت بدهول . ألن يقوم بقتلى ؟ ماذا يعنى هذا ؟ اندفعت الى الرجل  
الذى جلبنا الى هنا وانتزعت من يده قائمة الاسماء . ومع ان هذا اضحك  
الناس ، الا اننى تأكدت الآن ان القائمة لم تكن امرا بالاعدام او اى شىء  
من هذا القبيل . ودخل تشانغ الصغير ابن تشانغ جينغ هوى . كان قد عاد  
الى الصين مبكرا مع مجموعة اخرى من مجرمى الحرب ، واخبرنا عن احوالهم  
هناك ؛ كما اورد بعض الاخبار العائلية . وعندما سمعنا ان افراد تلك المجموعة  
كلهم احياء وان عوائلنا جميعها على ما يرام وان الأولاد يدرسون او يعملون ،  
اشرفت وجوهنا جميعا . ونفرت الدموع الى عيني .

واستمرت طمأينتى طوال ساعة او نحو ذلك فقط ، انتقلنا خلالها  
من شنيانغ الى فوشون ، ولكن ذلك انقذنى من الجنون ، حيث لم اكن  
افكر الا فى الموت طوال الايام الخمسة التى مضت على مغادرتنا لخباروفسك .

## الوصول الى فوشون

قبل وصول قطارنا الى فوشون كانت مختلف التقديرات المتفائلة تسمع  
على طوال الطريق . فالجو اختلف اختلافا تاما ، والمحادثات نشطت فيما  
كنا ندخن السجائر التى جلبناها معنا من شنيانغ . وقال بعضنا اننا قد نوضع  
فى ناد مزود بوسائل الترفيه يعرفه هناك ؛ والبعض الآخر قال انه سيسمح لنا  
بالعودة الى بيوتنا بعد الاستراحة هناك وقراءة الكتب الشيوعية لبضعة ايام ؛  
ومنا من قال انهم سيبرقون الى عوائلهم لترتيب الامور استعدادا لعودتهم ؛ وآخرين

ظنوا ان من الممكن لنا ان نسيح في يتابع فوشون الساخنة قبل ان نغادر :  
وتكلمنا عن الخوف الذى انتابنا فى السابق واشتركنا فيه جميعا ثم انفجرنا  
بالضحك . ولكن عندما خرجنا من القطار ورأينا انفسنا محاطين بحرس  
مسلحين ، لم تعد تظهر اية ابتسامة على وجوهنا .

واخذنا تحت حراسة الجنود الى شاحنات كبيرة . واصبت بما يشبه  
الذهول . وكان الشيء التالى الذى تذكرته هو اننى وجدت نفسى فى مكان ما  
محاطا بسور من الآجر قاتم شاهق يمتد عليه من الاعلى سلك شائك وعليه  
ابراج مراقبة عند الزوايا . فتبعت الآخرين الى ان توقفنا امام صف من المباني  
ذات الطابق الواحد . وكانت جميع النوافذ مغطاة بقضبان حديدية . فأدركت  
ان هذا سجن .

وقادنا الجنود فى ممر ضيق الى قاعة كبيرة تم فيها تفتيشنا . ومن ثم  
قادنا جنود غير مسلحين . وتبعت انا وبضعة آخرون احد الجنود فى طريق  
على طول الممر الى ان وصلنا زنزانة . وقبل ان القى نظرة على الغرفة صلك اذنى  
صوت مزلاج حديدى ثقيل ارتجح فى الخارج . كانت الزنزانة تشتمل على سرير  
خشبي طويل ومنضدة طويلة ومقعدين . ولم اكن اعرف ضباط ” امبراطورية  
منشوريا “ السابقين الذين شاركونى هذه الزنزانة معرفة جيدة . ولم اتحدث  
اليهم ، لذلك لم اعرف ان كانوا هم ايضا خائفين او مكبوتين بوجودى .  
فقد وقفوا فى جانب من الزنزانة ناكسى الرؤوس ، ولم يتحدثوا اذنى صوت .  
ثم سمعت المزلاج يسحب . وفتح الباب ، فدخل حارس ليأخذنى الى زنزانة  
اخرى ، حيث دهشت حين لقيت هناك ابناء اشقائى الثلاثة وشقيقى بوجيه  
ونسيبى رونج يوان . وهكذا سمح لنا بالاقامة معا . وكان قد وزع عليهم  
قبل قليل الحفة وحشايا ومجموعات ادوات غسيل جديدة ، وكانوا قد جلبوا  
معهم طقما لى .

وطمأننى رونج يوان بما قاله لى :

— هذا سجن عسكري وكل واحد هنا يلبس بزة عسكرية . ولا يبدو  
اننا . . . في خطر حاليا ، والا لما اعطونا مناشف وفرش اسنان . وعندما  
فتشنا قبل لحظة احتفظوا بأشياءنا القيمة ، ولكنهم اعطونا وصلا بها ، هذا  
لا يشبه المعاملة تجاه . . . بل التي يعامل بها المجرمون العاديون . والطعام  
ليس رديئا .

وقال ابن شقيقى قو الصغير دون تردد :

— ربما الطعام الجيد هو مادة الاعدام .

— لا . تلك الوجبة تشتمل على خمر ، ولم يكن هنا اى خمر . فلننتظر  
ان كانت الوجبة التالية جيدة ايضا . واذا كانت كذلك ، فنعرف حينذاك  
ان الامر ليس كما تظن : اننى لم اسمع بانسان محكوم بالاعدام تقدم  
له عدة مآذب .

وبدأت اصدق نسيبى فى اليوم التالى ، لا لأن الطعام ما يزال جيدا ،  
بل لأن بعض الاطباء العسكريين اجرى لى فحصا . لقد كانوا فى غاية الدقة ،  
وسألونى عن كل مرض اصبت به من قبل ، وعما آكله عادة ، وعما لا  
استطيع اكله . واعطونى بنظاوين اسودين جديدين ومعظفا وألبسة داخلية  
بيضاء ، والاعجب من هذا انهم اعطونى سجائر ، فهذه بالتأكيد ليست  
الطريقة التي يعامل بها المحكومون بالاعدام .

وبعد بضعة ايام جاء الى ززاننا رجل ممتلئ الجسم قصير فى الاربعين  
من عمره تقريبا . وسأل كلا منا عن اسمه ، وعن الكتب التي قرأناها فى  
الاتحاد السوفياتى ، وعن راحتنا خلال الليالى القليلة الماضية . وعندما سمع  
اجابتنا هز رأسه وقال : ” جيد ، ستقدم لكم حالا كتب وصحف لتقوموا  
ببعض الدراسات الجادة . “ واستلمنا بعد بضع ساعات كتبا وصحفا وكذلك  
شطرنجات مختلف الاشكال واوراق لعب . ومنذ ذلك اليوم بدأنا نستمع الى  
المندياع مرتين فى اليوم ، مرة الى الاخبار واخرى الى الموسيقى . وسمح لنا

بالمشى فى الفناء لمدة ساعة ونصف ساعة كل يوم بعد الظهر : وفى المرة الاولى التى خرجنا فيها للتمشى اخبرنا قو الصغير بأنه سمع ان الرجل الذى طلب منا ان " نقوم ببعض الدراسات الجادة " هو مدير هذا السجن الخاص بمجرى الحرب . وعلمنا فيما بعد ان الرجل الذى جلب لنا الكتب هو رئيس قسم يدعى لى .

فى تلك الايام كنا ندعو جميع موظفى السجن بكلمة " سيد " حيث لم نكن نعرف طريقة اخرى لمخاطبتهم . لقد جلب لنا السيد لى ثلاثة كتب هى « حول الديمقراطية الجديدة » و« تاريخ الصين الحديث » و« تاريخ الثورة الديمقراطية الجديدة » . وقال انه نظرا لعدم وجود كتب كافية حاليا فاننا سنضطر اما الى قراءتها بالتناوب واما ان نقرأ علينا بصوت عال لسمعها كل واحد منا . وكانت كثير من المصطلحات المستخدمة فى هذه الكتب غريبة بالنسبة لى ، ولكن الأغرب من هذا كله هو مطالبتهم ايانا ، نحن السجناء ، قراءة الكتب .

وكان اول من اهتم بهذه الكتب منا قو الصغير . فقد قرأها اسرع من اى شخص آخر ، وطلب منا على الفور مساعدته فى حل مشكلاته . وعندما لم نستطع مساعدته ، طلبها من موظفى السجن . فسخر رونج يوان منه قائلا :  
— لا تظن ان هذه مدرسة — انه سجن .

فقال قو الصغير :

— أ لم يطلب منا مدير السجن ان ندرس ؟

فأجاب رونج يوان :

— انه سجن سواء درست ام لم تدرس . لقد كان دائما سجنا ، وما

يزال سجنا ، توفرت فيه كتب ام لم تتوفر .

فقال بو جيه انه سمع عن سجناء يعطون كتباً للقراءة فى السجون اليابانية ، ولكنه لم يسمع بعد ان فى الصين " سجناء متحضرا " مثل هذا . فهز رونج

يوان رأسه قائلا :

— السجن سجن سواء كان متحضرا ام غير متحضر ، ان من الخير لك ان تتاول النصرة البوذية بدلا من تعلم هذه المواد .  
فهم قو الصغير بمناقشته ولكن رونغ يوان اغمض عينيه وبدأ يرتل النصوص البوذية بصوت خافت .

عندما عدنا من رياضتنا بعد ظهر ذلك اليوم نقل الينا قو الصغير قطعة من الاخبار كان قد سمعها . هناك شخص ما قد حاول اعطاء سجانه ساعة يد ، فوبخ على ذلك . فجعل هذا بعض الشباب يتحدث . وقال شيو الصغير :  
أ لم يجلب السجناء الماء الساخن لاستحمامنا في المرة السابقة ؟ اننى لم اسمع مطلقا بسجانين يحملون الماء للمساجين .

وقال روى الصغير ان السجناء هنا مختلفون تمام الاختلاف عن السجناء التقليديين : انهم لا يشتموننا او يضرهونا . فتمتم رونغ يوان الذى كان قد انتهى من صلاته استعدادا للعشاء قائلا :

— انكم ايها الشباب ما تزالون اغرارا تماما ؛ تثيرون ضجة كبيرة حول لا شىء . ان الشخص الذى حاول اعطاء الساعة ربما فعل ذلك حينما كان شخص آخر ينظر . فكيف يمكن للسجان ان يقبلها ؟ أ لمجرد انهم لا يشتمونكم ولا يضرهونكم تتخيلون انهم لا يكرهوننا ؟ انتظروا سنأكل جزءا نا اخيرا .

فرد عليه قو الصغير قائلا :

— هل حمل الماء لاستحمامنا يعتبر عقوبة ؟

فتمتم رونغ يوان قائلا :

— قل ما تشاء . ان الشيوعيين لا يمكن ان يحبونا ؛

وتحسس جيبه ، وقال مترعجا :

— لقد تركت سجائرى على حافة النافذة فى الخارج . يا للأسف !



انها العلبة الاخيرة التي جلبتها من شنيانغ :  
وفتح علبة سجائر من الصنف الزهيد وقال :  
- ان السجانين هنا يدخلون جميعهم تقريبا . لقد جعلت لهم تلك  
العابة هدية مقابل لا شيء .  
وعندما انتهى من كلامه فتح باب الزنازة ودخل سجان يدعى وانغ ويده  
شيء ما ، وقال :

- هل فقد احد سجائره في هذه الغرفة ؟  
ورأينا جميعا ان ما يحمله هو علبة سجائر رونغ يون التي جلبها من  
شنيانغ .

فأخذ رونغ يون العلبة وشكره شكرا جزيلاً . وعندما غادر السجان اشعل  
سيجارة منها . وبعد فترة من تدخينه السيجارة في صمت صفح فحذه  
بشدة كأنما اكتشف الحقيقة فجأة ، وقال : " هؤلاء السجانون لا بد انهم  
قد انتخبوا انتخاباً . بوسعهم طبعاً ان يختاروا بعض السجانين المتحضرين  
نسيباً لبيارتنا حيلة ودهاء . "

وكنا جميعاً صامتين رهبة من حكم رونغ يون القائم على الخبرة .  
وبعد بضعة ايام اخذ شرح رونغ يون يبدو بعيداً كل البعد عن الاقناع .  
كان بوجه متعجلاً لرؤية الصحيفة اليومية بعد ان عدنا من الرياضة بعد  
ظهور احد الايام . واخبرنا في اhtياج بأنه سمع ان هناك مقالة فيها تبين لماذا  
تريدنا الصين الجديدة ان ندرس . فتحلقنا حوله متشوقين لرؤية المقالة .  
فقرأها علينا ، وكان فيها مقطع يقول انه نظراً الى ان الصين الجديدة بحاجة الى  
كافة المواهب فان من الضروري تدريب واختيار اعداد كبيرة من الكوادر  
الجديدة . وسمع انه في رأى الزنانات الاخرى ان الحكومة قد تركتنا ندرس  
وهيات لنا معاملة مفضلة لأنها تنوى استخدامنا للمساعدة في سد العجز في  
الكفاءات في الصين الجديدة . ومن المضحك كما يتبين اليوم اننا كنا جميعاً

مقتنعين تقريبا بهذه الفكرة ، الا رونغ يوان الذى عبر عن شكوكه .  
وبدأنا ندرس بجدية . كنا فى السابق قد وجدنا جميعا هذه الكتب غير  
مسلية باستثناء قو الصغير ، ولم نقرأها الا من اجل السجانيين فى الممر . ولكن  
دراستنا حتى الآن كانت لم تزد عن تعلم المصطلحات الجديدة . ورونغ  
يوان بالطبع لم يشترك طبعا ، وانما استمر يقرأ نصوصه البوذية بعينين مغمضتين  
بينما بقيتنا يدرسون .  
لم يدم تفاؤلى العشوائى هذا طويلا على اى حال . فبعد ذلك بوقت قصير  
اعادت سلطات السجن تنظيم الزنانات ، وفصلتني عن افراد اسرتي :

## مفصولا عن اسرتي

لماذا فصلت عن اسرتي ؟ استغرقت وقتا طويلا حتى ادركت ان هذه  
خطوة هامة جدا فى اعادة بناء نفسى . فى البداية ظننت انها كانت بسبب  
عداوة الحزب الشيوعى لى ، وقدرت انهم ارادوا ان يسألوا افراد اسرتي عن  
نشاطاتي الماضية ليتمكنوا بذلك من ادانتى فيما بعد .  
عندما كنت فى الاتحاد السوفياتى قلت ان جميع نشاطاتي الخيانية قد تمت  
تحت الضغط ، مخفيا تماما تعاونى مع الامبرياليين اليابانيين ومحاولا كسب  
عطفهم . وقد ساعدنى اقربائى فى ذلك وغطوا على تصرفاتى . اما الآن ، وقد  
عدنا الى الصين ، فقد اردتهم ان يحتفظوا بأسرارى اكثر من السابق . وشعرت  
اننى مضطر الى الانتباه الدائم اليهم والتأكد من انهم لا يفتلون اية كلمة وكان  
على ان اتبته الى شيو الصغير خاصة .

خلال اليوم الاول من وجودنا فى فوشون لاحظت ان موقف شيو الصغير  
قد تغير نتيجة للحادثة التى تمت فى القطار . وشعرت كأن حشرة تدب على  
رقبتي ، فطلبت منه ان ينظر اليها . لو حدث ذلك فى الماضى لأتني على الفور ،

ولكنه في هذه المرة تظاهر بعدم السماع ولم يتحرك . واكثر من هذا انه ،  
 عندما جاء روى الصغير واخرج اليسروع من رقبتى والقاه على الارض ،  
 شخر شيو الصغير وقال : " انه ما يزال يرحم الحيوان . . ينقذ حياة تلك  
 الحشرة بينما هي تقدم على ايداء انسان آخر . " فشعرت بالضعف والفتور .  
 وعندما كان روى الصغير يتلبنى لى فراشى بعد بضعة ايام ، طلبت منه  
 ان ينفص لى لحافى . وكان هذا تصرفا غير مرغوب فيه ، لأنه يجعل جو  
 الزنزانة غير مريح . فأمسك شيو الصغير اللحاف والقاه على سريرى قائلا :  
 - انكما لستما الوحيدين فى هذه الغرفة . ان عدم تقديركما للآخرين  
 لا يصح مطلقا .

فسألته :

- ماذا تقصد بكلمة " انتما " و " نحن " ؟ أليس عندك احساس

باللياقة ؟

فانصرف بنظرة عنى دون ان يجيب ، وجلس على الطاولة وبدأ يكتب  
 وشفثناه مزموثمان . وتقدمت منه لأنظر ، ولكنه نهى الورق بعيدا ومزقها ،  
 تاركا لى وقتنا ارى فيه كلمتين فقط وهما " سوف نرى . "

وندمت اشد الندم على ما فعلته فى القطار . ومنذ ذلك الحين وانا ابذل  
 اقصى جهدى لكسب صداقته ، بل وضحت له اننى لم اقصد ايداءه  
 بكلامى واننى احبه دائما . وانتهزت كل فرصة لأوضح لأبناء اشقائى الثلاثة  
 ان المبادئ التى تحكم العلاقات الانسانية لا يمكن نبذها جانبا ، وان من  
 الضرورى ان نكون اوفياء لبعضنا ونقف متساندين فى الاوقات الحرجة . وعندما  
 لم يكن شيو حاضرا حدثت الآخرين لكى يكونوا حذرين جدا ازاءه ، وان  
 يتأكدوا من عدم قيامه بتصرف سيئ ، وان يحاولوا جهدهم ليكسبوه الى  
 جانبهم .

ونتيجة لجهودنا لم يقدم شيو الصغير على اى تصرف خطر ، وشعرت

في النهاية انه ليس فيه ما يسوء . ولكن في اللحظة التي لم اعد افاق فيها ازاءه طلب منى سجان ان انتقل الى زنزانه اخرى .  
فحزم الآخرون لي امتعتي ونقلوا لي فراشي وحقيبتى الى الزنزانه الاخرى ، وبعد ان انصرفوا بقيت وحدى وسط حشد من الغرباء . وشعرت بحرج شديد لم اعرف معه أ اجلس ام اقف ، وبدا واضحا ان الاشخاص الثمانية الذين كانوا قبلى في الزنزانه قد كتبوا بوصولى فلم يتلفظوا بكلمة . وبعد فترة ، ربما نتيجة لاتفاق ما ، وضع فراشى على سرير بجانب الجدار . وفيما بعد ادركت ان هذا مكان جيد لقربه من التدفئة في الشتاء ، ولكونه بارد في الصيف لأنه بجانب النافذة . ولكننى كنت في ذلك الوقت في غاية القلق بخصوص مخاطر فصلى عن اسرتى ، فلم انتبه لهذه التصرفات الموحية بالاحترام . وجلست ، ولكن السرير الخشبى بدا قاسيا اكثر من المعتاد ، لذلك نهضت وشرعت اخطو جيئة وذهابا . وعندها خطرت في ذهنى فكرة ، فذهبت وطرقت باب الزنزانه ، فرد السجان القصير الممتلى :  
- من هذا ؟

- هل لي ان اسألك يا سيد ان كان بوسعى ان اتحدث مع مدير السجن ؟

- حول ماذا ؟

- اريد ان اوضح له اننى لم افصل عن اقربائى قبل ذلك قط ، واننى

غير معتاد على ذلك مطلقا .

فهبز رأسه وطلب منى ان انتظر وبعدها بقليل عاد ليخبرنى بأن مدير السجن قد سمح لي بالعودة الى زنزانتى السابقة . فسررت بذلك ، وجمعت فراشى بينما حمل لي السجان حقيبة ملابسى . وفى الممشى قابلت المدير ، فقال :  
- انطلاقا من تقديركم معشر كبار السن قررت السلطات ان تقدم لكم طعاما من مستوى اعلى . لقد رأينا انك اذا اقمت مع اقربائك وتناولت طعاما مختلفا ، فان هذا سيرك اثرا سيئا عليهم ، لذلك . . .

وعرفت ماذا يفكر فيه فقاطعته دون ان انتظر حتى ينهى كلامه ، فقلت :  
— هذا لا يهم . اننى استطيع ان اضمن ان هذا لن يترك عليهم اى  
اثر سيئ .

وكنت على وشيك ان اقول : ” انهم قد اعتادوا على ذلك . “  
فابتسم المدير قائلا :

— ان افكارك بسيطة جدا . أ لم تفكر ابدا بأن عليك ان تتعلم العناية  
بنفسك ؟

— بلى ، بلى . ولكن يجب ان اتعلم تدريجيا وخطوة خطوة :  
فقال المدير مع هزة من رأسه :  
— حسن جدا ، ابدأ فى التعلم اذن .

وعندما عدت الى ززائتى السابقة شعرت اننى قد فارقتها منذ سنة . وسروا  
جميعا برؤيتى . واخبرتهم بما قاله المدير بشأن تعلمى الاعتناء بنفسى .  
فابتهج كل واحد منهم حيث استنتج من هذا ان الحكومة ليست مستعجلة  
فى محاسبتنا .

لكنهم لم يتركونى اتدرب على الاعتناء بنفسى ، كما لم يكن عندى  
ميل مطلقا الى فعل ذلك . وانشغلت بالمعنى المتضمن فى حديث المدير  
بأننا سننفضل فيما بعد ، واخذت افكر فى طريقة ما لمنع حدوث ذلك .  
ولكن بعد عشرة ايام ، قبل ان اجد حلا لهذه المشكلة ، طلب منى السجنان  
ان احزم امتعتى .

وبينما جمع روى الصغير اشيائى انتهزت الفرصة لاصدار بعض التعليمات  
لأقربائى . ولم استطع ان افعل ذلك بالكلام خوفا من ان يسمعى السجنان ،  
فكتبت مذكرة الى بوجيه ليمررها على الآخرين . ونظرا الى ان هناك غريبين فى  
الزنازة وهما موظفان سابقان فى حكومة وانغ جينغ وى العميلة فقد اضطرت  
الى ان اجعل المعلومات غامضة نوعا ما . فكتبت اننا قد انسجمنا مع بعضنا

انسجاما جيدا بحيث يجب ان نستمر اوفياء مساندين لبعضنا بعضا بعد ان اغادر ، واننى اشعر باهتمام شديد بكل منهم . ورجوت ان يفهموا ان ما قصدته حقا ضرورة مراقبتهم لكلماتهم .

وحمل ابناء اشقائى امتعتى واخذونى الى الزنزانة التى انتقلت اليها فى المرة السابقة . وهناك قدم لى نفس السرير الجيد ، ومرة اخرى لم استطع ان اجلس ساكنا . فأخذت اخطو جيئة وذهابا ، ثم طرقت الباب ثانية . ففتح لى نفس السجن الممتلىء الجسم . وعرفت عندها انه يدعى ليو ، وشعرت نحوه بمودة لأنه جلب لنا المزيد من الباتسى ( اكر من العجين المطبوخ على البخار محشوة باللحم المفروم ) عندما رأى مدى استمتاعنا بهذا الطعام لدى تناولنا اياه اول مرة منذ بضعة ايام .

— يا سيد ليو عندى مسألة .

— هل تريد رؤية المدير ؟

— اريد ان اناقشك بالامر اولا . اننى ... اننى ...

فقال ضاحكا :

— أ لم تعتد ذلك بعد ؟

وخيل الى اننى اسمع الآخرين خلفى يضحكون . فاحمر وجهى خجلا ، وحاولت ان اشرح له :

— ليس الامر اننى اريد ان اعود الى زنزانتى السابقة ، بل اتساءل ان كان يسمح لى برؤية افراد اسرتى مرة فى اليوم . اننى سأشعر بمزيد من السرور اذا استطعت تحقيق ذلك .

— أ لن تكون قادرا على رؤيتهم عندما تخرج للرياضة فى الفناء ؟ ليست هناك مشكلة .

— افضل ان اكون قادرا على التحدث اليهم . فهل يسمح المدير بذلك ؟ وكان هناك نظام لا يسمح لتزلاء الزنزانات المختلفة بمحادثة بعضهم

بعضاً .

- سأسأل لك .

ومنحت هذا الأذن ، ومنذ ذلك الحين أصبحت قادراً على التكلم مع افراد اسرتى كل يوم . واخبرنى بعض ابناء اشقائى بما حدث فى زفزانتهم وبما قالته السلطات لهم . وظل قو الصغير يبدو غير قلق ، اما شيو الصغير فظل كسابق عهده ، واستمر روى الصغير فى غسل ملابسى واصلاح جواربى . وبرزت لى مشكلات جديدة بعد حل مشكلتى المقلقة السابقة . خلال السنوات الاربعين الماضية ، اننى لم اطو لحافى مطلقاً ولم ارتب سريرى او اصب الماء الذى اغسل به ولم اغسل قدمى او اربط حذائى قط . كما لم ألمس مغرفة الارز او السكين او المقصى او الابرة او الخيط ، لذلك أصبحت الآن ، وقد تعين على ان اعتنى بنفسى ، فى وضع حرج جدا . فعندما يكون الآخرون قد غسلوا انفسهم فى الصباح كنت انا قد لبست ثيابى فقط . وعندما انتهى لأن اغسل يذكرنى شخص ما بأننى يجب ان اطوى لحافى اولاً ؛ وفى الوقت الذى اكون قد طويت لحافى على شكل صرة غير مرتبة يكون كل شخص قد انتهى من الغسيل . وعندما اضع فرشاة الاسنان فى فمى اكتشف انها خالية من المسحوق ، وبعد ان انتهى من تنظيف اسنانى يكون الآخرون قد شرعوا او اوشكوا على انتهاء فطورهم . وهكذا كانت الامور تمضى طوال اليوم .

ان كونى ابطأ من الآخريين لم يكن اسوأ من ضحك الناس من ورائى . فزملائى فى الزنانة كانوا جميعاً من ضباط ” امبراطورية منشوريا “ السابقين الذين لم يجرؤوا ابداً على رفع رؤوسهم امامى فى الايام السابقة ؛ وعندما جئت الى الزنانة فى البداية ، لم يغامروا فى مخاطبتى بكلمة ” انت “ ، فكانوا اما ان ينادونى بكلمة ” سيد “ او ان يتجنبوا استخدام كلمات الخطاب لدى تحدثهم معى . ولكننى وجدت الآن ان من الصعب تحمل ضحكهم

المكبوت :

ولكن هذا لم يكن اسوأ ما فى الامر . ففى يومنا الاول فى فوشون وضع جدول الخدمات لكل ززائة لتؤديها بالتناوب وهى تكنيس الارض ومسح الطاولة وتفريغ المبولة . وانا لم افعل ايا من هذه الواجبات عندما كنت فى ززائتى السابقة ، ولكن المشكلة التى واجهتنى الآن هى ماذا افعل عندما يأتى دورى . هل سأفرغ مبولة الآخرين ؟ وشعرت بأن هذا الامر اتعس من تلك الاتفاقية السرية بين ” امبراطورية منشوريا “ واليابان : ورأيت اننى سأحط من شأن اسلافى والحق الخزى بصغار عشيرتى . ومن حسن الحظ ان جاء احد المسؤولين فى السجن فى اليوم التالى وقال للجميع اننى مريض ولا أستطيع ان اقوم بدورى كالبقية . وسررت كثيرا كأننى انقذت من موت مؤكد ، وشعرت بالامتنان للمرة الاولى فى حياتى .

ومع زوال هذا الخطر ظهر خطر آخر . كان المدير يظهر عادة عندما نكون فى رياضتنا بعد الظهر فى الباحة . وكان دائما ما يتحدث مع احدنا ونحن نقوم بالرياضة ، وهذه المرة بدا انه قد اختارنى ، فقد نظر الى من الاعلى الى الاسفل ، ولا بد انه رأى ذعرى . فنادى :

- بو يى !

لم يسبق لى ان نوديت باسمى الشخصى قط قبل عودتى الى الصين ، لذلك كنت ما ازال غير معتاد سماعه . وفضلت ان ينادينى الناس برقمى ( ٩٨١ ) كما كان يفعل السجنانون فى بداية وصولنا الى فوشون . وقلت وانا اتقدم نحوه :

- نعم ايها المدير .

فقال بصوت هادئ ودود :

- لقد وزعت عليك ملابس مثل ملابس الآخرين ، فلماذا لا تبدو

مثلهم ؟

ف نظرت الى ثيابى ثم الى الآخرين . كانت ثيابهم نظيفة مرتبة بينما



ثيابى مجعده وسخة : وكان احد جيوبى نصف مهترئ ؛ وكان هناك زر مقطوع فى سترتى ؛ وبقعة حبر على ركبتى ؛ وبدت ساقا بنطاونى مختلفتين فى الطول ؛ وحذائى ليس فيه الا رباط ونصف . فتمتتم قائلا :

— سأرتب نفسى . عندما اعود سأصلح جيوبى واخيط زرا جديدا لسترتى .  
فسألنى وعلى وجهه طيف ابتسامة :

— كيف تجعدت ملابسك هكذا ؟ عليك ان تنتبه الى الآخرين وهم يقومون بأعمالهم . اذا كنت قادرا على تعلم الاشياء الجيدة من الآخرين فستستطيع ان تحرز تقدما .

ومع ان المدير قد كلمنى بلطف الا اننى غضبت غضبا شديدا . فهذه هى المرة الاولى التى تكشف فيها عدم كفاءتى علنا ، وانها المرة الاولى التى اظهر فيها امام اعين الناس ليس كصورة للمهابة بل كـ ” نفاية “ . واستدرت متجنبنا تحديق ” وزرائى “ و ” ضباطى “ السابقين ، متمنيا ان يخيم الظلام . وقلت فى نفسى بتعاسة : ” انهم يريدون ان يستخدمونى عينة لكل فرد فى الدراسة . “ ونظرت الى السور الرمادى العالى . ان حياتى كلها قد امضيتها محاطا بأسوار ، ولكننى فى الماضى كنت اعامل باحترام واتمتع بين الآخرين بمركز خاص داخلها ، حتى فى تشانغتشون . ولكن داخل هذه الاسوار كل شىء قد تغير . لقد عوملت تماما كأى شخص آخر ، بل واجهت صعوبة فى العيش . اننى لست تعيسا بسبب عدم كفاءتى ولكن بسبب ان الآخرين اعتبرونى غير كفء ، وكذلك بسبب فقدى لحقى الطبيعى فى ان يخدمنى الآخرون . والامتنان الذى شعرت به لاعفائى من خدمات الزناتة قد تلاشى نهائيا .

وفى تلك الليلة اكتشفت انه عندما يخلع الآخرون ثيابهم للنوم فانهم يطوونها على نحو مرتب ويضعونها تحت وسائدهم ، بينما كنت اكومها تحت قدمى حين اخلعها . وبدا لى ان فى ملاحظات المدير شيئا من الرجاحة .

لو عرفت كيف اتعلم الاشياء الجيدة من الآخرين لما كنت في وضع تعيس  
كما انا فيه الآن . لماذا لم يخبرنى زملائي السجناء بهذا من قبل ؟ اية خيانة  
هذه !

كان اولئك الضباط العملاء ما يزالون في الواقع مكبوتين بتصرفى المتعجرف ،  
لذلك لم يسيروا الى بشىء من هذا .  
امضينا شهرين في فوشون ، وفي نهاية اكتوبر نقلنا جميعا الى هاربين .

## الانتقال الى هاربين

احب بضعة شبان بيننا الثرثرة في القطار الى هاربين ، كما رغبوا في لعب  
الورق مع السجنائين ، بينما لم يتكلم بقيتنا الا القليل وبمتهى الهدوء . وكان  
الجو في العربة كثيبا معظم الوقت ولم يكن قليلا بيننا من لم يستطع النوم  
ليلا او الاكل نهارا . ومع اننى لم اكن مدعورا كما كنت عند عودتى في  
البداية الى الصين ، الا اننى كنت قلقا اكثر من اى شخص آخر . كان ذلك  
بعد وقت قصير من اقتراب قوات الولايات المتحدة الامريكية من نهر يالو  
ودخول متطوعى الشعب الصينى الى كوريا . وذات ليلة لم استطع انا وبو  
جيه ان ننام ، فسألته بهدوء عن رأيه في الوضع العسكرى . فأجاب بصوت  
فاتر : " ان دخول الحرب طلب للمتعاب . سننتهى في لمح البصر . "  
ففهمت من ذلك ان الصين ستهزم وان القوات الامريكية ستحتل الشمال الشرقى  
على الاقل ، وان الشيوعيين ايضا يمكن ان يجهزوا على جماعتنا ليمنعونا من  
الوقوع في ايديهم . واكتشفت فيما بعد ان هذا هو ما كنا ن فكر فيه نحن السجناء  
جميعا حينذاك .

واشدد بأسى عندما رأيت السجن في هاربين . لقد كان سجننا سابقا  
لحكومة " امبراطورية منشوريا " . وجعلنى مرآه ادرك ما المقصود من ان

يعامل المرء كما يعامل غيره . لقد خصصه اليابانيون لسجن الناس الذين ارتكبوا ذنب القيام بـ ” النشاطات المعادية لامبراطورية منشوريا وليابانيين “ . كان مؤلفا من طابقيين على شكل مروحة وفيه صفوف من الزنزانات وبرج مراقبة في الوسط . وكانت هناك مصبغة من القضبان الحديدية بقطر انش امام الزنزانات وحلقها ، وكانت الزنزانات مفصولة عن بعضها بجدران من الخرسانة ، وتوسع كل واحدة منها لسبعة او ثمانية افراد . ولم تكن زنزانتى مزدحمة نسبيا ، فليس فيها الا نحن الخمسة ، ولكن نظرا الى انها صممت وفقا للاسلوب الياباني ، فقد اضطررنا الى النوم على حصر مفروشة على الارض . وقد امضيت في هذا المكان ستين تقريبا ، وسمعت انه هدم فيما بعد . ومع اننى لم اعرف ، عند اول اقامتى هنا ، ان قلة من الذين كانوا محتجزين هنا خلال فترة ” امبراطورية منشوريا “ قد بقوا على قيد الحياة ، الا ان صوت فتح او اغلاق البوابات الحديدية كان كافيا لأتحمله . لقد جعلتنى هذه الضجة افكر دائما فى التعذيب وفى زمرة مطلقى الرصاص على المحكومين بالاعدام . وعوملنا هنا كما كنا نعامل فى فوشون . فالسجانون لطفاء ، والطعام جيد ،

والصحف والاستماع الى المذياع والاستجمام استمرت كالسابق . واراخى هذا الى حد كبير ، ولكنه لم يستطع ان يهدئنى تماما . واذكر كيف كان صوت صفارة الانذار التدريبية الحزين ينفذ الى اعماق رأسى ذات ليلة وظل كذلك وقتا طويلا بعد توقفه حقا . وقبل ان اصدق ان القوات الشعبية الصينية والكورية ماضية حقا فى كسب الانتصارات فى كوريا ، اقتنعت بأنه حتى اذا لم يقتلنى الصينيون فاننى سأموت فى غارة جوية امريكية . وكنت متأكدا من ان الصين ستهزم مهما حدث واننى سأموت .

واذكر بوضوح انه لم يصدق احد منا اخبار الصحيفة عن الانتصار الاول الذى احرزه متطوعو الشعب الصينى على الجبهة الكورية ؛ واننا كنا متشككين جدا فى الاخبار التى تقول ان القوات الشعبية الصينية والكورية

قد صدت الامريكانيان في الحملة الناجحة الثانية الى القرب من الخط ٣٨ ٥  
وبعد فترة من الوقت تلت عيد رأس السنة لعام ١٩٥١ قرأ علينا احد الكوادر  
الاداريين بيانا بأن القوات الصينية والكورية قد استولت على سيئول ، فدوى  
التصفيق في كافة الزنانات . وعندها فقط صدقت نصف تصديق . وعندما  
اعلنت في الصحف ” انظمة معاقبة المعادين للثورة “ في فبراير ذلك العام ،  
اوقفنا سلطات السجن عن قراءة الصحف خوفا من ان نصاب بالذعر ،  
ولكننا لم نعرف ذلك ، بل ظننا ان السبب لا بد ان يكون الهزائم في كوريا .  
واصبحنا اكثر شكا من السابق في الانتصارات الاولى ، وايقنت ان هلاكى  
قد اصبح وشيكاً .

استيقظت مرة في منتصف الليل على صوت البوابات الحديد ، ورأيت  
بضعة رجال يخرجون احد السجناء من الزنانة المجاورة . فبدأت ارتجف كليا ،  
مقتنعا بأن القوات الأمريكية تقترب من هاربين وان الشيوعيين سيتخلصون  
منا اخيرا . وبعد قضاء ليلة مضنية وجدت في الصباح اننى كنت محطئا تماما ،  
فما حدث هو ان احد الرجال في الزنانة المجاورة قد تعب كثيرا من فتح اصابه ،  
فأبلغ السجن المدير بذلك ، فعجب طبيبا عسكريا وممرضات لفحص المريض .  
ورأيتهم يأخذونه الى المستشفى ، ولكننى كنت مرعوبا بحيث لم اشاهد الا  
سراويلاتهم العسكرية ولم افلح في ملاحظة مآزرهم البيضاء .

على ان هذا لم يجلب لى كثيرا من الطمأنينة . فقد ظلت اظن مع كل  
عربة اسمها قادمة انها جاءت لتأخذنى الى محكمة علنية . وبقيت طوال  
النهار اراقب واصغى لكل شىء يمر خارج القضبان الحديد ، وغالبا ما كنت  
ارى احلاما مروعة في الليل . ولم يكن زملائى في الزنانة احسن حالا منى  
بكثير فشبهتهم للطعام كان تتضائل كشهيتى ومعنوياتهم تهبط . وكلما كنا  
سمعنا ضجة على السلم ندير رؤوسنا للنظر ، واذا ظهر غريب يخيم الصمت  
على الزنانات كأنما نواجه جميعا حكمننا الاخير . ولكن عندما اصبحنا جميعا

في ذروة اليأس منحنا املا جديدا من خلال حديث ادلى به الينا مسؤول في الامن نيابة عن الحكومة .

وقف مسؤول الامن امام برج المراقبة وخاطب جميع الزنانات مدة ساعة تقريبا . فأخبرنا بأن الحكومة لا تقصد قتلنا ، بل تريدنا ان نختبر انفسنا وندرس ، وبذلك نعيد بناء انفسنا . وقال ان الحزب الشيوعي والحكومة الشعبية تعتقدان بأن اكثرية المجرمين يستطيعون تحت السلاطة السياسية الشعبية ان يعيدوا بناء انفسهم ويتحولوا الى اناس جدد . وقال ان المثل الاعلى للشيوعية هو اعادة صياغة العالم ، وانه من اجل تحقيق هذا الهدف فان من الضروري في البداية اعادة بناء البشرية . وعندما انتهى من حديثه تكلم مدير السجن . واذكر ان خطابه قد اشتمل على مقطع ورد على هذا النحو تقريبا :

” انكم لا تفكرون الا في الموت ، وتتخيلون ان كل شيء هو جزء من الاستعدادات لموتكم . لماذا لا تسألون انفسكم هذا السؤال : لماذا تطلب منكم الحكومة الشعبية ان تدرسوا اذا كانت تخطط لموتكم ؟

” ان لديكم كثيرا من الافكار الغريبة عن الحرب الكورية : ربما يظن بعضكم ان متطوعي الشعب لا يستطيعون ضرب القوات الامريكية وان الامريكيين سيغزون الشمال الشرقي لا محالة ، لذلك تخشون ان يقتلكم الشيوعيون اولا . وقد يكون لدى بعضكم اعتقاد اعمى بقوة الولايات المتحدة الامريكية ويعتقد بأنها لا تقهر . فلا تؤكد لكم بأن الشغبين الصينى والكورى قادران حتما على هزيمة الامبريالية الامريكية ، وان سياسة الحزب الشيوعي الصينى في اعادة بناء المجرمين سوف تمنجح بلا ريب . وقد اثبتت الحقائق ان الحزب الشيوعي لا يصدر ادعاءات فارغة .

” ربما تقولون اننا اذا كنا لن نقتلكم فان من الخير ان ندعكم تغادرون . لا ، ان هذا لا يستقيم . اذا نحن اطلقنا سراحكم قبل ان يعاد بناؤكم ، فانكم قد ترتكبون جرائم اخرى وعلى اية حال فان الشعب لن يوافق ولن

يصفح عنكم عندما يراكم . لذلك يجب ان تدرسوا على نحو جاد وتعيدوا بناء انفسكم . ”

وعلى الرغم من اننى لم افهم او لم اصدق كل هذا الكلام ، الا اننى رأيت ان هناك مسوغات تبرر ان الحكومة لا تريد قتلنا . وهذا كان التفسير الممكن الوحيد للدافع وراء توسيعهم حمامنا فى فوشون وانقاذهم حياة المريض ، وتقديمهم طعاما خاصا لكبار السن منا .

وفيما بعد اكتشفت ان اشياء كهذه لم تكن غير اعتيادية فى سجون الصين الجديدة ، ولكنها فى ذلك الوقت بدت غريبة جدا بالنسبة الينا ، واعتبرناها علامات للتقدير الخاص . لذلك عندما سمعنا موظفى الحكومة هؤلاء يخبروننا رسميا بأن الحكومة لا تريد ابادتنا ، شعرنا حالا بالمزيد من الطمأنينة .

لم يتبه اى منا الى الاشارات الخاصة بالدراسة واعادة بناء انفسنا ، وظننت اننا قد اعطينا كتبنا وصحفا لشمضية وقتنا ولابعادنا عن الافكار السيئة .

وبدا مضحكا بالنسبة لى ان قراءة بضعة كتب يمكن ان تغير تفكير المرء . بل وكنت على اقل استعداد للاعتقاد بأن القوات المسلحة الامريكية يمكن ان تهزم . وقد اجمع الضباط السابقون الاربعة فى زنانتى ، والذين اعتبروا انفسهم خبراء عسكريين ، على ان امريكا ما تزال قادرة على السيطرة على الكرة الارضية بأسلحتها التقليدية حتى وان لم تكن لها الجرأة على ان تهزأ بالرأى العام العالمى وتستخدم القنابل الذرية ، ان قوتها لا تضاهى ، وان من السخافة القول بأنها يمكن ان تهزم . لكننا ادركنا فيما بعد ان الشيوعيين ليسوا من النمط الذى يتكلم كلاما سخيفا ، وقبل ان يمضى وقت طويل بدأنا نلاحظ ان الاخبار بخصوص كوريا لم تكن مزيفة . واخبرنى زملائى العسكريون فى الزنائة انه بينما عدد الاصابات يمكن ان يخترع اختراعا من الجانبين ، الا ان من الصعب جدا الاستمرار فى الكذب بخصوص الاراضى التى تكسب او تفقد . كما ان الخبر الذى يفيد بأن القائد العام الامريكى يرغب

في اجراء محادثات كان اصعب من ان يخترع اختراعا . فاذا كانت القوات  
الامريكية راغبة في التباحث بشأن وقف اطلاق النار ، فكيف يمكن ان  
تكون متصفة بأنها لا تفهر ؟ لقد كان الضباط السابقون في حيرة من امرهم ،  
وكذلك كنت انا .

ان تطور الحرب الكورية قد بين مدى خطأ توقعاتنا السابقة واثبت ان  
امريكا لم تكن نمرا حقيقيا بل نمرا من ورق. وشعرت الآن بمزيد من الطمأنينة ،  
لأنه اذا لم يكن الشيوعيون مهزومين ، فانهم لن يكون متعجلين كثيرا في  
التخلص منا .

واصبحت الآن دراساتنا التي كانت في السابق تجري كيفما اتفق يديرها  
كادر من سلطات السجن . وقد القى علينا حديثا حول المجتمع الاقطاعي ،  
ثم تركنا نناقش هذا الموضوع . واضطررنا جميعا الى كتابة ملاحظات .  
وذات يوم قال لنا هذا الكادر : " لقد سبق ان قلت انكم حتى تتمكنوا  
من اصلاح تفكيركم ، عليكم ان تفهموا اى نوع من الايديولوجية كانت  
لديكم . ان ايديولوجيتكم لا تنفصل عن خلفيتكم وتاريخكم الشخصيين ،  
لذلك يجب ان تبدأوا بفحصهما . ومن اجل اصلاح تفكيركم ينبغي لكل  
منكم ان يكتب سيرته الذاتية . "

وبدا هذا الامر بالنسبة لى كأنه حيلة لجعلى اكتب اعترافا . ترى هل  
سيقدم الشيوعيون على الاجهاز علينا بعد ان استقر الوضع العسكري ؟

## كتابة سيرتى الذاتية وتقديم اختتامى

لقد اعتبرت كتابتى لسيرتى الذاتية مقدمة لمحاكمتى ، وصممت على ان  
اكرس معظم هذه الفرصة لانقاذ حياتى ، وعرفت اى خط سأسلك . عندما  
نزلنا من الشاحنات واصبحنا على وشك دخول سجن هارين همس قو الصغير

في اذني : ” اذا سألونا اى سؤال فستمسك بنفس القصة التى استخدمناها في الاتحاد السوفياتى . “ فهزرت رأسى موافقا .

وقد غطت هذه القصة تعاونى مع العدو وصورتى كوطنى برىء جيد . وادركت اننى يجب ان اكون اكثر حذرا هنا مما كنت عليه في الاتحاد السوفياتى وألا اترك ولو ثغرة .

وتكلم قو الصغير نيابة عن جميع ابناء اشقائى ومرافقى الشخصى لى الكبير . وهذا يعنى انهم كانوا مستعدين لمساعدتى واوفياء لى كالسابق . ولكن الولاء لن يكفى لمنع حدوث ثغرات ؛ فأعطيهم المزيد من التعليمات ولاسيما لى الكبير ، وكان الشاهد على القسم الرئيسى من قصتى - كيف ذهب من تيانجين الى الشمال الشرقى .

لم استطع التكلم مع لى الكبير الا في فترات الراحة عندما كان مسموحا لى برؤية افراد اسرتى . اما المجرمون الاصغر سنا ، ومن بينهم جميع افراد اسرتى ( عدا رونج يوان الذى كان قد مات و ” طبيبى الامبراطورى “ الدكتور هونغ الذى كان مريضا ) فقد بدأوا الآن القيام بأعمال كتنقل الماء وتقديم الطعام والمساعدة فى اعمال المطبخ . ولم يكن من السهل جدا على ان اراهم جميعا على ما هم عليه . ولكن هذا التطور الجديد كان له فوائده ، اذ مكنتهم ذلك من التحرك بحرية نوعا ما وتسريب الرسائل لى . وارسلت فى طلب لى الكبير وذكرته بالأ يقول شيئا عن كيفية مغادرتى لتيانجين ، وأنه لم يزد على ان حزم امتعتى بناء على تعليمات هو سى يوان بعد ان غادرت . فهز لى الكبير رأسه ليرينى انه فهم ، ثم انصرف .

وفى اليوم التالى سرب روى الصغير رسالة الى من لى الكبير . البارحة مساء كان يتحدث مع جيا ، احد كوادر السجن ، واخبره اننى فى الشمال الشرقى قد عاملت المرؤوسين عندى بلطف كبير ولم اشمتم او اضرب ايا منهم ؛ واننى عندما كنت فى ليويشون اغلقت بابى ورفضت رؤية



اليابانيين . فذعرت من هذا الكلام : لماذا ذكر ليويشون ؟ وطلبت من روى الصغير ان يخبره بالألا يقول الكثير ، وان يتظاهر بأنه لا يعرف شيئا عما حدث فى ليويشون .

وبعد ان طمأنت نفسى بوفاء لى الكبير واصدرت تعليمات لأبناء اشقائى ، بدأت اكتب سيرتى الذاتية . فوصفت خلفية اسرتى وطفولتى فى المدينة المحرمة . وقلت اننى قد اجبرت على الذهاب الى المفوضية اليابانية ، واصررت على اننى بقيت بعيدا عن المعترك السياسى وانا فى تيانجين ؛ وتمسكت بالقصة التى تقول اننى اختطفت وعشت حياة تعيسة فى تشانغشون وانتهيت الى القول :

عندما رأيت معاناة الشعب ولم استطع ان افعل شيئا لمساعدته استبد بى الحزن . وتمنيت ان تشق القوات الصينية طريقها الى الشمال الشرقى واشتقت الى حدوث بعض التطورات الدولية التى تمكن الشمال الشرقى من تحقيق تحرره ، وقد تحقق هذا الامل اخيرا عام ١٩٤٥ .

وبعد ان راجعت ما كتبت مراجعة دقيقة كتبت نسخة اخرى نظيفة وسلمتها . واعتقدت بأنها ستقنع اى قارئ اننى تبت توبة كاملة . بعد ان سلمت سيرتى الذاتية حاولت التفكير فى طريقة اخرى لاقناع الحكومة بـ ” اخلاصى ” و” تقدمى ” . وون الواضح انه لم يكن كافيا ان اجعل لى الكبير والآخرين يمتدحوننى ، فقد احتجت الى بعض الانجازات العملية . ولكن منجزاتى منذ بدأت آخذ دورى فى خدمات الزنزانة لم ترضينى ، ناهيك عن ارضاء سلطات السجن .

وبعد سماع خطابات مسؤول الامن ومدير السجن اخذنا جميعنا نفكر فى طريقة لاطهار كىفية رفعا ” وعينا السياسى ” آملين ان نستطيع بهذه الطريقة انقاذ حياتنا . ويبدو الامر مضحكا الآن ، ولكننا ظننا حينذاك ان

التفاق الفعال سوف يخدع الحكومة . وما كان يحزنني جدا في ذلك الوقت الذى كنت فيه نهبا لهذا الوهم ، هو عجزى عن تأدية عرض جيد كالآخرين . وحاولنا جميعا كسب ثقة سلطات السجن من خلال الدراسة وقيامنا بأداء خدماتنا ومن خلال حياتنا اليومية . وكان عضو مجموعتنا الذى كانت " منجزاته " فى الدراسة من ابرز المنجزات هو رئيس مجموعتنا ، لاو وانغ ، وهو لواء سابق فى " امبراطورية منشوريا " . كان قد درس القانون فى بكين بضع سنوات . لقد حفظ بوصفه اكثرنا ثقافة المصطلحات الايدولوجية الجديدة بسرعة . اما الضباط الثلاثة الآخرون فقد وجدوا مثلى ان من الصعب تمييز الفرق بين " الداتى " و " الموضوعى " ، ولكنهم احرزوا " تقدما " اكثر منى . فقد كان لديهم دائما ما يقولونه فى المناقشات . واسوأ ما فى الامر ان كلا منا كان ملزما بكتابة مقالة يشرح فيها بأسلوبه ما تعلمه من طبيعة المجتمع الاقطاعى . واستطعت ان اهيى الامر لقبول شىء فى المناقشات ، ولكن الكتابة كانت اكثر صعوبة . ولم ار اهمية كبيرة فى الدراسة ، واخافتنى شروح الاقطاعية التى قرأتها فى الكتب . فمثلا اذا كان الامبراطور كبير ملاك الاراضى فلا بد من الحكم على بسبب ذلك وكذلك بسبب خيانتى للوطن . وقد اربعبتى هذه الفكرة كثيرا بحيث وجدت صعوبة فى كتابة ولو كلمة واحدة . وعندما جمعت اخيرا بعض الاجزاء الى بعضها عن طريق انتحال مقاطع من هنا وهناك رأيت انها ليست جيدة كتلك التى لدى الآخرين . وبدا واضحا ان منجزاتى فى الدراسة لن ترضى السلطات . وكان الدليل الوحيد الذى اظهرته لتقدمى هو ان آخذ دورى فى خدمات الزنزانة بعد الانتقال الى هاربين . وهذا كان اسهل بسبب وجود مراحيض فى زوايا الزنزانات ، لذلك لم تكن هناك مشكلة فى تفرغ المبال . وكان العمل خفيفا بما فيه الكفاية ، يتألف فقط من تلقى الوجبات الثلاث والماء الساخن الذى كان يرسل الينا كل يوم ومسح الحصران . وكانت هذه هى

المرة الاولى التي خدمت فيها الآخرين ، وقد اضطرت الامور عندما سكبت شيئاً من حساء الخضار على رأس احد الموجودين . ومن ذلك الحين بدأ يساعدني شخص عندما يأتي دوري ، مدفوعاً باللطف نوعاً ما ولتجنب انسكاب الحساء مرة اخرى .

كانت ثيابي ملهبطة كالسابق واستمر روى الصغير في غسلها واصلاحها لى . وقد اربكني هذا ، ولكن عندما حاولت ان اقوم بغسل ثيابي بنفسى بعد ان تكلم معى مدير السجن في فوشون بلت نفسى بالماء دون ان اجيد من استخدام الصابون وخشبة الغسيل . وبعد تسليمى سيرتى الذاتية بوقت قصير قررت ان اقوم بمحاولة ثانية لأقوم بغسل ثيابي بنفسى كى امنع السلطات من ان يئسوا منى . وغسلت قميصا ابيض ، ولكن عندما نشف بدا شكله اقرب الى رسم مائى من اى شىء آخر ، فأخذه روى الصغير هامسا الى بأن هذا ليس بالعمل الذى يقوم به الـ ” فوق “ . فوافقتة فى الرأى قادحا زناد فكرى لايجاد طريقة اخرى اترك بها انطبعا حسنا لدى السلطات .

وفيما كنت اخطو ذهابا وايابا سمعت احد زوجى شقيقتى وهو لاو وان ، وبعض زملائه فى زنزانته يتحدثون عن التبرعات التى تقوم بها كافة قطاعات الشعب الصينى لشراء طائرات ومدافع ثقيلة للحرب الكورية . ولم يكن مسموحا لنا بالتحدث مع السجناء فى زنزانات اخرى ، ولكن لم يكن هناك ما يوقفنا عن الاستماع الى حديثهم . وكان احدهم وزيرا سابقا فى ” امبراطورية منشوريا “ ، وقد تبرأ منه ابنه الذى كان حينذاك ، بحسب اعتقاده ، يقاتل فى كوريا . وقد قال انه سيتبرع بممتلكاته للحرب الكورية اذا لم تكن قد صودرت . فضحك الآخرون منه لتفكيره فى انه يمكن ان تكون ممتلكاته ما تزال لديه او ان ابنه يمكن ان يكون قد سمح له بأن يقاتل ؛ ثم قال احدهم بأن الوحيدين بيننا اللذين تستأثر ممتلكاتهما بالاهتمام هما الامبراطور ورئيس الوزراء السابق .

فبهني هذا الامر . حقيقة كان لدى من المجوهرات اكثر من الآخرين  
بكثير . فعندى ، سوى الاشياء المخبوة فى اسفل حقيبة ملابسى ، بعض  
الاشياء البالغة القيمة مما لم اخفيه . ومن بين ذلك طقم من ثلاثة اختام  
لا تقدر قيمتها منقوشة بكل عناية من ثلاث قطع مترابطة ، كان قد صنع  
للامبراطور تشيان لونغ بعد ان تقاعد عن العرش . فقررت ان اسلم هذه  
الاشياء برهانا على ”وعىى السياسى“ .

وحاول بعض السجناء الانضمام الى متطوعى الشعب الصينى للقتال فى  
كوريا . وعندما رفضت طلباتهم احسست بالغيرة لهذه الطريقة التى ابدوا  
منها ”وعيمهم السياسى“ دون اية خطورة جدية لحقت بهم . وقررت ألا اتخلف  
هذه المرة . ومن حسن الحظ ان موظفا حكوميا جاء فى جولة تفتيشية فى  
ذلك اليوم . وعندما رأيته قادما عرفت انه الرجل الذى طلب منى الا اقاتى  
ونحن فى شينانغ . واستطعت ان ابين من سلوك مدير السجن الذى كان  
يرافقه ان هذا الرجل اعلى منه مركزا . ورأيت انه سيكون اكثر فاعلية ان  
اقدم اشياى الى هذا الموظف الكبير . وعندما دخل ززانتنا انحنيت انحناءة  
شديدة وقلت :

— اود ان اعلن يا سيدى اننى ارجب فى تقديم هذا الشىء الى الحكومة  
الشعبية .

فلم يأخذ بل هز رأسه وقال :

— أ لست بو يى ؟ من الافضل ان تناقش هذا الامر مع سلطات  
السجن .

ثم سألتنى بضعة اسئلة اخرى وانصرف . وقلت فى نفسى لو انه التى نظرة  
جيدة على اختامى لما بدا غير مبالى بها الى هذا الحد . وعندئذ كتبت رسالة  
الى سلطات السجن وسلمتها الى السجناء ليو سويا مع الاختام .  
وبقيت عدة ايام لم اسمع خلالها شيئا عن الاختام ، وبدأت اشك

فى ان يكون السجنان قد سرقتها . وذات مساء ، عندما كان الآخرون يلعبون الشطرنج او الورق ، كنت مكثبا بخصوص الاختتام ومتمنعا بأن شكوكى فى محلها . وفى تلك اللحظة تماما وقف السجنان الممتائى الجسم خارج الزنزانة وسألنى لماذا لا ألعب الورق كالأخرين . وعندما اخبرته بأننى لا استطيع ، وهذه حقيقة ، انطلق فأحضر ورق لعب ، ثم جلس فى الجانب الآخر من القضبان الحديدية وخلط الورق . وكنت فى تلك الاثناء اكرهه . وقال وهو يخالطها :

— اننى متأكد من انك ستستطيع تعلم اللعب . فأنت عندما تصبح انسانا جديدا وتبدأ حياة جديدة لن تجد الكثير من التسلية اذا انت لم تمتع نفسك .

فذهلت لنفاهه . وعندما جاء سجان آخر مدخن غليونا واعطى احد زملائى فى الزنزانة شيئا من تبغه لكى يلف منه سيجارة ، اقتنعت بأن جميع السجنان يحاولون ان يخدعونا . ولكننى لن اخدع .

ولكن الذى كان يحاول خداع الآخرين فى الواقع هو انا . فبعد ذلك بوقت قصير قال لى المدير وانا فى فناء السجن :

— لقد رأيت رسالتك واختامك . وقد حصلنا كذلك على الاشياء التى قدمتها فى الاتحاد السوفياتى ، ولكن المهم بالنسبة للشعب الرجال ، الرجال الذين اعدوا بناء انفسهم .

## تغييرات فى اسرتى

ولم افهم مضمون ما قاله مدير السجن الا بعد سنوات طويلة . ففى ذلك الوقت نظرت الى الامر على انه اثبات على اننى لن اتعرض لخطر فى تلك اللحظة اذا كانوا يريدونى ان اصلح نفسى . ولكن الخطر جاء يوم لم

اكن اتوقعه :

فذات يوم انحلت يد نظارتى ، فطلبت من السجن ان يأخذها الى لى الكبير ليعيد تركيبها . وكان حاذقا فى اصلاح الاشياء الدقيقة كالنظارات والساعات واقلام الحبر . وغالبا ما اصلىح هذه الاشياء للناس ، وكان يصلح نظارتى قبل ذلك على الدوام . ولكن الامر اختلف هذه المرة .

يمكن للمرء داخل السجن ان يسمع فى الطابق العلوى ما يجرى فى الطابق السفلى والعكس بالعكس ، فبعد ان غادر السجن مباشرة استطعت ان اسمع لى الكبير يدمدم على نحو غير واضح تعبيرا عن عدم رضاه . وبعد لحظة عاد السجن وسألنى ان كنت استطيع ايجاد طريقة لاصلاحها بنفسى حيث ان لى الكبير قال انه لا يستطيع اصلاحها . فغضبت غضبا شديدا من وقاحته ، وقلت للسجان : ” لو كنت استطيع اصلاحها بنفسى لما طلبت منه ذلك . ارجوك ان تكلمه ثانية يا سيد جيانغ . “ كان السجن جيانغ شابا نحيفا صامتا ، وجميع زملائى فى الزنزانة قالوا انه شخص مهذب . ولا بد انه كذلك لأنه فعلا كما طلبت منه ونزل ثانية .

وهذه المرة لم يرفض لى الكبير بل اصلاحها ، ولكنه لم يحسن اصلاحها بل اكتفى بربط اليد الى النظارة بخيط . والمسمار الصغير الاصلى قد اختفى على ما يبدو .

وفكرت فى المسألة مليا وتوصلت الى ان لى الكبير قد تغير . وتذكرت اننى ارسلت منذ بضعة ايام روى الصغير ليحضره حيث لم اراه منذ فترة من الوقت . فعاد روى ليقول لى : ” ان لى الكبير يقول انه مشغول وليس لديه وقت . “ وبوسعى ان اتخيل الآن انه لا بد ان يكون قد قال شيئا كهذا : ” انا ليس لدى وقت لأكون دائما رهن اشارته وطلبه . “

وبعد موضوع النظارة بوقت قصير حل عيد رأس السنة لعام ١٩٥٢ . فسمح لنا باقامة حفلة بهذه المناسبة . وقمنا بأداء عرض صغير مستخدمين

الملاعب الفلارغ امام برج المراقبة مسرحا وقد حدث حينئذ ما ينذر بحصول  
نكبة .

كتب شيو الصغير وقو الصغير ولى الكبير مقطوعة هجائية فى صيغة  
حوار ، وجاء جميع نزلاء زنازتهم باستثناء روى الصغير لأداء هذا الحوار .  
وآثاروا الضحك من تصرف بعض السجناء مثل وزير العدل السابق فى  
” امبراطورية مشوريا “ تشانغ هوان شيانغ المعروف بلقب ” الفم الكبير “ .  
وكان له طبع خشن . فكان يزعج جميع جيرانه عندما يختصم مع شخص ما ،  
وعندما قالوا له مرة انه اسقط الارز على الارض تعتمد ان يسقط المزيد .  
ثم وجه الهجاؤون بعد ذلك نارهم الى السجناء الذين كانوا يقرأون بأعلى  
اصواتهم عندما يرون سجانا يمر بهم .

ووجدت هذه الامور مضحكة مثل بقية المستمعين ، ولكن بعد ذلك  
جاء دور التهكم على السجناء المؤمنين بالخرافات . وحرف مؤدو هذا العرض  
الامور بحيث اظهروا هؤلاء المؤمنين بالخرافة بأنهم لا يدركون ان عرافتهم  
وصلاتهم لم تقلدهم من قبل ، فاستمروا يصلون سرا . ومن الواضح ان هذا  
الهجوم قد شملنى ، لأننى كنت ما ازال اتلو التعويذات واصلى احيانا .  
وبينما كنت مستعدا للاعتراف بأن هناك صدقا فى ادعائهم بأن الصلاة  
لم تنفعنى شيئا ، لم يكن من المحتمل ابدا ان اتعرض لهذا الهجاء علنا .  
وكان هذا عدم احترام فاضح .

ولم ينته الامر عند هذا الحد . وكانت الضحية التى تلت نموذجا لرجل  
ادخل سجانا عرف فيه الامور الصحيحة وعاملته الحكومة على انه انسان ،  
ولكنه ” ما يزال يتصرف على انه عبد لشخص آخر . “ ان خدمة ذلك ” الشخص  
الآخر “ عن طواعية لن تساعد على اصلاح نفسه بل ستجعل الآخر يمتضى  
فى تصرفه على انه السيد . وبدا واضحا لى بما فيه الكفاية من الذى يهاجم  
ومن هو ” الشخص الآخر “ وفهمت الآن لماذا لم يشترك روى الصغير

في الأداء ؛ وشعرت بالأسى له وخشيت ألا يقوى على الصمود ؛  
والواقع ان روى الصغير قد تغير ايضا . واحتجب لى الكبير وشيو الصغير  
وقو الصغير بعض الوقت فلم يظهر او في الفناء ، ونادرا ما كنت ارى روى  
الصغير ، لذلك تكدست ثيابى الوسخة اياما . وبعد انتهاء حفلة عيد رأس  
السنة لم يأت لغسل ثيابى مطلقا .

ولم يمض وقت طويل حتى حدث تطور كبير آخر ؛  
ذات يوم وقد حل دورى للقيام بخدمات الزنانة كنت مقرفصا عند  
القضبان الحديدية انتظر وصول الطعام . فاذا بروى الصغير يجلبه . وعندما  
سلمنى اياه وضع فى يدى كرة ورقية صغيرة . فذهلت ، ولكنى اخفيتها  
بسرعة واستدرت لأسلم الطعام ، مجهدا نفسى فى التصرف على نحو طبيعى .  
وبعد انتهاء الوجبة ذهبت الى المرحاض الذى كان خلف جدار منخفض  
فى زاوية الزنانة ، وفتحت المذكورة :

اننا جميعا مذنبون ويجب ان نعترف للحكومة بكل شىء . هل بلغت  
عن الاشياء التى خبأتها لك فى اسفل حقيبتك ؟ اذا اخذت زمام المبادرة وسلمتها  
الى الحكومة فمن المؤكد انها ستعاملك باللين .

فالتهب الغضب فى نفسى ، ولكن بعد لحظة تحول هذا الغضب الى  
الادراك بأن اتباعى قد تمردوا وان اسرتى قد هجرتنى . والقيت تلك المذكورة  
فى المرحاض وقدرت ان هؤلاء الشباب قد تغيروا . وكان هذا الامر فوق  
قدرتى على الفهم .

كان والد لى الكبير خادما عند الامبراطورية الارملة تسمى شى فى القصر  
الصفى ، وبسبب ذلك تمكن لى الكبير من الحصول على العمل غلاما فى  
المدينة المحرمة بعد طرد الخصيان . وكان وقتها فى الرابعة عشرة من عمره .  
وقد تبعنى الى تيانجين ، حيث درس مع بعض الغلمان الآخرين الذين كانوا



عندى على مدرس اللغة الصينية . وجعل مرافقا شخصيا لى ، واعتبرته واحدا من خدمى الاكثر ثقة . واخترته ليصاحبنى عندما تركت داليتسوقو لى محاولتى الهرب الى اليابان عام ١٩٤٥ . وعندما كنا فى الاتحاد السوفياتى لكم يابانيا بشدة لعدم ابتعاده من طريقى . وكان على الدوام يحترمنى ويطيعنى طاعة تامة ، كما كان يطبق تعاليماتى بأمانة فى اتلاف بعض مجوهراتى دون ان يترك اثرا لذلك . فلم استطع ان افهم لماذا ينبغي لشخص كهذا ان يتغير ويفقد احترامه لـ ” ليه “ .

وكان قو الصغير ابن بو وى ، الامير قونغ الثانى . وقد سمحت له بوصفى ” امبراطور اسرة تشينغ العظمى “ ان يخلف والده فى القلب ، ونشأته ليكون واحدا من دعائم اعادة الملكية فى المستقبل . وفى الاتحاد السوفياتى نظم قصائد عبر فيها عن ولاءه لى . وقد جعلته تشينى له منقطعا للبودية ، وفى مرحلة واحدة امضى الايام بكاملها مستغرقا فى ” تأمل العظم الابيض “ امام صورة هيكىل عظمى . وظل يظهر ولاءه لى حتى بعد وصولنا الى هاربين . وعندما يكتب شخص كهذا هجوما على فهذا يدل بكل وضوح انه قد انهى ولاءه لى .

وكان اكثر التغيرات ادهاشا ذلك الذى حدث لروى الصغير : لقد انحدر من اسرة اميرية متداعية ، وقد استدعيته الى تشانغتشون عندما كان فى التاسعة عشرة من عمره ليدرس مع ابناء عوائل نبيلة متدهورة ايضا واعتبرته من اكثر طلاب البلاط طاعة وامانة . وبدا لى اقل موهبة من الآخرين ولكنه خدمنى افضل من رفاقه الاذكى منه . واطهر ولاءه لى خلال ستواتنا الخمس فى الاتحاد السوفياتى . وقد اختبرته ذات مرة بأن سألته اذا كانت لديه فكرة بالتخلى عنى ، فاعترف بأنه شعر مرة بأنه قد عومل معاملة خاطئة عندما جعلته يركع على الارض مدة ساعة معاقبة له . وعندما قلت له اننى اصفح عنه سجد لى ، وظهر سعيدا كأنما قد غادر الجحيم الى الفردوس . وقيل

عودتى الى الصين رشحته ليكون " خلفا " لى فى حالة موتى ، وفرحته بذلك لم يكن ممكنا تخيلها . ومنذ ذلك الحين وهو يفعل كل شىء لى . ولكنه الآن من بين جميع الناس يحاول ان يعلمنى اننى مذنب .

لو اننى كنت اكثر دقة فى الملاحظة لانتبهت لبعض الاشارات المنذرة بهذه التغييرات التى لا يمكن تصورها . فى حفلة رأس السنة نلا قو الصغير قصيدة بمصاحبة الصفاقات يصف الطريقة التى تغير بها تفكيرهم . وقد وصف فيها كيف انشئوا منذ طفولتهم فى " امبراطورية منشوريا " ملقنين بالدعاية الرجعية . وانهم علموا ان يعتقدوا بأن اليابان من اكثر البلاد قوة على سطح الارض ؛ وان الشعب الصينى عاجز وبهاجة الى ان يكون محكوما ؛ وان من الطبيعى ان يكون الناس مقسمين الى درجات ، وما الى ذلك . وان عودتهم الى الصين قد بينت لهم ان كل ذلك كان مجرد كذب . وانهم ذهلوا فى اليوم الاول من عودتهم لاكتشاف ان سائق قطارهم صينى ، وان اكتشافات كهذا كانت تتبع يوميا تقريبا . وان اكثر ما ادهشهم هو موقف سلطات السجن والانتصارات فى الحرب الكورية .

وفى ذلك الوقت رأيت ان هذه القصيدة ليست اكثر من رافعة ستار ولم اعرها انتباها . وعجزت عن فهم ان قو الصغير كان يشرح سبب تمردهم : انهم قد رأوا الآن اننى كنت اخدعهم .

ان الذى ما فهمته على وجه خاص انهم فى احتكاكاتهم بموظفى السجن منذ فصلهم عنى قد تأثروا جميعا تأثرا شديدا بالتغير فى منزلتهم . فمع انهم كانوا سجناء ، الا انهم عوملوا بوصفهم افرادا لهم شخصياتهم المستقلة ، بينما كانوا فى السابق نبلاء اسميا وعبيدا فى الواقع . لقد سمعوا الآن عن نوعيات من الشباب تختلف عنهم - سمعوا عن تشاو قوى لان التى فقدت يدها لتتخذ مصنعا ، وعن مآثر متطوعى الشعب فى كوريا . وبدأوا يسألون انفسهم لماذا لم يسمعوا عن اناس كهؤلاء فى الماضى ؟ ولماذا لم يتعلموا الا كيف

يتوسلون ويسجدون ؟ ولماذا كان ينتظر منهم ان يكونوا متشكرين على الشتم والضرب بينما الآخرون كسوا انفسهم بالعظمة ؟ ولماذا كانوا جاهلين كل هذا الجهل بينما الآخرون حققوا الشيء الكثير ؟

ان افكارا كهذه جعلتهم يتغيرون ويبدأون بالدراسة الجادة ويخبرون سلطات السجن بكل شيء عن ماضيهم .

وبعد ان اتلفت المذكرة جلست بجانب الجدار مكتئبا افكر في ان الشيوعيين خطرون حقا اذا هم استطاعوا تغيير ابناء اشقائي ولي الكبير على هذا النحو . وكان عزائي الوحيد هو ان اخي وزوجي شقيقتي كانوا ما يزالون يتصرفون على نحو طبيعي . ولكنني بقيت في قلق شديد : هل سيبلغ روى الصغير السلطات عنى ؟

ولم اعرف ماذا افعل . كان عندي كمية من المجوهرات يصل مجموعها الى ٤٦٨ قطعة مخبوءة في اسفل حقيبتى : بلاتين وذهب وماس ولؤلؤ واصناف اخرى من الاحجار الكريمة التى اخترتها بعناية لتكفينى بقية حياتى . وكنت متأكدا اننى من دونها لن اكون قادرا على اعالة نفسى اذا ما اطلق سراحي ، ذلك لأن فكرة كسب معيشى بنفسى لم تخطر فى ذهنى . اذا كنت سأسلمها بعد اخفائها هذه المدة الطويلة ، فان ذلك سيثبت اننى كنت اخدع السلطات . ولكن اذا انا لم اسلمها ، فان روى الصغير ليس الوحيد الذى يعلم امرها ، واحتمال ان يتخلى عنى الآخرون اكبر بكثير من احتمال تخليه هو . واذا ما حدث هذا فسأقع فى ورطة حقا .

” اذا اخذت زمام المبادرة وسلمتها الى الحكومة فمن المؤكد انها ستعاملك باللين . “ عامت هذه الجملة فى ذهنى ثم اخذت تدريجيا . وظننت ان كلمتى ” الشيوعيين “ و” اللين “ متضاربتان ، على الرغم من الطريقة التى عوملت بها فى السجن . والروايات التى قرأتها فى الصحف عن المعاملة اللينة للمذنبين الذين كشفوا فى حركة المكافحات الخمس وحركة المكافحات

الثلاث (١٣) . فبعد بدء هاتين الحركتين بوقت قصير قرأت عن اعدامات بعض الفاسدين الذين ارتكبوا افضع الجرائم . وفيما بعد رأيت تقارير عن جرائم الرأسماليين الذين سرقوا ممتلكات الدولة والاسرار الاقتصادية وعن الابتزاز والتهریب وعن التخلص من الضرائب ، وقارنت ذلك بسجلى . وكان لى تفسيرى الخاص لشعار ” قادة الفتنة دائما ما يعاقبون ؛ والذين اجبروا على التعاون لن يعاقبوا ؛ واولئك الذين يؤدون الاعمال التى تستحق التقدير يكافأون . “ ورأيت انه حتى اذا كانت روايات اللين صحيحة فانها لا يمكن ان تنطبق على : فقد كنت قائد فتنة ولذلك سأعاقب لا محالة .

وابتسمت قائلا لنفسى فى مرارة : ” اذا اعترفت فانك ستعامل باللين . “ كنت مقتنعا بأننى حالما اخبر مدير السجن بالمجوهرات سيفضب غضبا شديدا لأننى خدعته ويعاقبنى . وربما يسعى الى اكتشاف ان كنت اخذعه بأنواع اخرى من الخداع . وهذه هى الطريقة التى كنت اعامل بها من هم دونى فى تلك الايام الماضية .

لا ، اننى لا يمكن ان اعترف . من المؤكد ان روى الصغير والآخريين لن يكونوا قساة على نحو يجعلهم يبلغون عنى . وتركت المسألة جانبا . بعد اسبوع حان دور روى ثانية فى جلب الطعام الى ززانتنا . ورأيت تعابير وجهه جدية جدا ، ولم يكن ينظر الى اطلاقا . وحقق الى حقيبتى لحظة ثم انسل عائدا . فأصبت بالقلق . ماذا يعترزم ان يفعل ؟ وبعد اقل من ساعتين ظهر فجأة فى بداية فترة دراستنا . وتوقف خارج الزنزانة لحظة ، ونظر الى حقيبتى ، وغادر ثانية .

وايقنت انه ذهب لرؤية مدير السجن . فقررت ، وانا فى حمى القلق ، ان اسلم المجوهرات طائعا مختارا قبل ان يبلغ عنى . فأخذت يد لاو وانغ ، رئيس مجموعتنا واخبرته ان لدى شيئا سأعترف به للحكومة .

## اعتراف ولين

” اننى لست جيدا . لقد عاملتني الحكومة بمنتهى الانسانية ، ولكننى خبأت كل هذه الاشياء مخالفا لوائح السجن ، لا بل قانون البلاد . ان هذه الاشياء ليست لى حقا ، انها للشعب ؛ لقد فهمت هذا اخيرا ، ومن اجل ذلك اعترفت وسلمتها . “

كنت واقفا فى مكتب مدير السجن ناكس الرأس امامه . ومجوهراتى البالغة ٦٨ ؛ قطعة موضوعة على طاولة بجانب النافذة تلمع . وقلت فى نفسى : ” دعها تشع اذا كنت استطيع انقاذ نفسى بتسليمها ، واذا طبقت بحقى سياسة اللين . “

نظر المدير الى بتمعن ، وهز رأسه قائلا :

- اجلس .

وجعلتنى نبرة صوته اشعر ان هناك مجالا للأمل :

- هل خضت صراعا ذهنيا كبيرا حول هذه ؟

فتجنبت ذكر مذكرة روى الصغير ، وقلت :

- كنت اخشى ، اذا اعترفت ، ألا اعامل باللين ؟

فسألنى المدير وعلى شفثيه ابتسامة :

- لماذا ؟ لأنك كنت امبراطورا ؟

فأجبت بعد لحظة تردد :

- نعم .

- لا غرابة فى ذلك . ما دام لك تاريخ خاص فبدهى ان تكون عندك

بعض الافكار الخاصة . دعنى اكرر اذن ان الحزب الشيوعى والحكومة

الشعبية يعيان ما يقولانه . انهما لينين مع اولئك الذين يعترفون ، وانهما يخففان

عقوبات اولئك الذين يصلحون انفسهم ، ويكافئان اولئك الذين يؤدون اعمالا

تستحق التقدير بصرف النظر عن منزلتهم الاجتماعية . ان الامر كله يعتمد على سلوكك . لقد خالفت لوائح السجن باخفاك في تسليم هذه الاشياء حالا وبخفائها هذه المدة الطويلة ، ولكن ما دمت الآن قد اعترفت بذنبك ، فهذا يعنى انك تبت . ولهذا السبب لن نعاقبك .

وطلب من السجناء خارج الباب ان يحضروا امين المستودع لحفظ الاشياء القيمة . وعندما جاء طلب منه المدير ان يأخذ تلك الكومة من المجوهرات ويعطيني وصلا بها .

فدهشت . ثم وثبت ناهضا لأقول معترضاً :

— لا ، لا اريد وصلا . اذا كانت الحكومة لا تريد ان تصادرها ،

فانى سأتبرع بها .

فنهض المدير وقال وقد هم بالمغادرة :

— لا ، اننا سنحفظها لك . فهل تتفضل بفحصها ؟ لقد اخبرتك

من قبل ان الناس المعاد بناؤهم اكثر قيمة بالنسبة لنا .

وعدت الى زنزاتي بالوصل . كان نزلاء زنزاتي يتناقشون في كتاب :

« كيف اصبحت الصين مستعمرة وشبه مستعمرة » الذى كنا ندرسه في ذلك الوقت ، ولكن عندما دخلت توقفوا عن مناقشة ذلك ورحبوا بى ترحيبا حارا

لم يظهره من قبل وهنأونى على تقدمى قائلين :

” يا لآو بو (١٤) ، اننا معجبون بك . “

كانوا قد توقفوا من زمانه عن مناداتى بعبارة ” السيد بو “ وغيرها الى

هذه الطريقة غير الرسمية فى المخاطبة . وكنت عندما سمعت عبارة ” لآو

بو “ للمرة الاولى لم استسغها فى البداية ، ولكنها اليوم جعلتنى اشعر انها

جيدة .

” لآو بو ، ان تصرفك قد بين لى الطريق . “

” يا لآو بو ، اننى لم اكن ادرك انك تتمتع بشجاعة الى هذا الحد . “

” يا لاو بو ، يجب ان اشكرك لأنك اعطيتني المزيد من الثقة في سياسة اللين ازاء اولئك الذين يعترفون . “

وهنا يجب ان اضيف الى ان هيتي اصبحت اكثر اهمالا من السابق ، فقد كنت اغسل ملابسى واصلاحها بنفسى . وكان احترام نزلاء زنزانتي لى قد انخفض الى النصف على الاقل بعد تغيير عبارة الخطاب الى ” السيد بو “ . بل ان بعضهم اخذ يدعونى ” سوق الخرق “ من خلف ظهري ، وكانوا غالباما يضحكون منى لعدم صلاحيتى فى الدراسة . ولهذا كله فان مديحهم المحالى قد ابهجنى .

فى فترة الراحة فى ذلك اليوم سمعت لاو يوان ، سفير ” امبراطورية منشوريا “ السابق لدى اليابان يتحدث عما فعلت . كان لاو يوان شديد الذكاء يستطيع ان يفكر فى لحظة فى ما لا يستطيعه الآخرون فى يوم . وما قاله جعلنى افكر بعض الوقت :

” ان لاو بو رجل عاقل ، ليس غيبا مطلقا . لقد كان مصيبا تماما فى اخذه زمام المبادرة واعترافه بأن لديه تلك المجوهرات . انه بالطبع لا يستطيع ان يخدع الحكومة ، لأن الحكومة لديها معلومات عنا اكثر مما تتخيلون . تذكروا تقارير الصحيفة عن حركة المكافحات الثلاث وحركة المكافحات الخمس . ان ملايين الناس قدموا المعلومات الى الحكومة . فالحكومة تعرف حتى الاشياء التى نسيتموها منذ سنوات . “

لقد ادركت اننى لا استطيع تغطية الكذب الذى ذكرته فى سيرتى الذاتية . اذا كان على ان اعترف لهم ، فهل يمكن ان اسلم كما سلمت عند تسلم المجوهرات ؟ هذه ستكون مسألة سياسية لا اقتصادية ، ولا اعرف ان كانت ستعالج بنفس الطريقة . ان مدير السجن لم يقل شيئا عن ذلك . ولكن الجرائم الاقتصادية كالجرائم السياسية ، والمبادئ التى تكلم عنها مدير السجن يجب ان تطبق عليها ايضا .

ولم استطع اتخاذ القرار . وبدأت انظر بمزيد من الاهتمام الى امثلة اللين الواردة في الصحف . كانت حركة المكافحات الثلاث وحركة المكافحات الخمس في طريقيهما الى الانتهاء ، والكثير الكثير من الحالات كانت تعالج ، وجميعها باللين . وتفحصت هذه الحالات مع لاو وانغ ، القاضى السابق ، مقارنا ما قرأته من حالات مع سجلى ومتساثلا ان كانت سياسة اللين ستساعدنى . عندما كانت الحكومة تستعد لمعالجة قضايا مجرمى الحرب اليابانيين طلبت منا سلطات السجن ان نكتب ما نعرفه عن جرائم اليابانيين فى الشمال الشرقى . وسأل احد السجناء اذا كان مسموحا لنا بأن نكتب عن الآخرين بالاضافة الى اليابانيين . فقليل له ان هذا مسموح به طبعا ، ولكن يجب ان نركز على جرائم اليابانيين . فأقلقنى هذا الامر . من هم الآخرون الذين يريد هذا السجن ان يكتب عنهم ؟ ان كلمة ” الآخريين ” قد اشارت بكل وضوح الى الصينيين ، واكبر المجرمين الصينيين انا دون شك . فهل سيكتب اى من افراد اسرتى عن ” الآخريين ” ؟

وكتب مجرمو الحرب التابعون لـ ” امبراطورية منشوريا ” عن جرائم اليابانيين بتحمس كبير . وكتبت مجموعتنا بضعة عشر اتهاما فى اليوم الاول وحده ، وقال لاو وانغ فى رضى : ” اننا لم نتصرف على نحو سبى ، واننى متأكد من اننا نستطيع ان نكتب غدا بمقدار ما كتبناه اليوم . ” فتدخل احدهم قائلا : ” من يعرف كم سيكتب اهالى الشمال الشرقى اذا طلب منهم ذلك . ” فأجاب لاو وانغ : ” ان الحكومة ستقوم طبعا بالاستقصاءات بينهم . ما رأيك يا لاو بو ؟ ” فأجبتة : ” اننى متأكد من انها ستقوم بالاستقصاءات . ولكننى اتساءل ان كانت ستسأل عن الآخريين بالاضافة الى اليابانيين . ” فقال : ” بعض الناس سيكتب عنا لا محالة ، حتى وان لم يطلب منه ذلك . ان ابناء الشعب العاديين يكرهوننا كراهية مرة كما يكرهون اليابانيين تماما . ”



في ذلك المساء جلب لنا عشاعنا لى الكبير . وكان يبدو في مزاج سيئ للغاية ، فقد وضع الطعام على الأرض وانصرف عائدا دون ان ينتظرني حتى استلمته منه . وتذكرت حالا كيف ساعدني على الصعود الى خانة الامتعة في السيارة عندما غادرت ” الحديقة الهادئة ” في تيانجين .

امضيتا اليوم التالى ايضا نكتب عن اليابانيين . ونظرا الى اننى لم اعرف الكثير فلم استطع ان اكتب الا قليلا ، ولكن لا وانه كان ما يزال راضيا لأن الآخرين كتبوا الكثير . وقال : ” تصوروا ! كم من المعلومات سيكون ابناء الشمال الشرقى قادرين على تقديمها للحكومة . اننى بوصفى موظفا قانونيا سابقا استطع ان اخبركم انكم اذا كان لديكم دليل تستطيعون ان تجعلوا اى واحد يتحدث في النهاية . في الايام الماضية اعتدنا ان نفكر ان اصعب الامور هو الحصول على دليل ، ولكن الامور مختلفة تماما بالنسبة للحكومة الشعبية حيث الشعب العادى بكامله يقدم المعلومات . ” فهبط قلبى . وفكرت في القضية التى قرأتها عن الرجل الذى اعلم شيوعيا قياديا عام ١٩٣٥ ثم قبضت عليه سلطات الامن مؤخرا في مخبئه في اعماق الجبال . ربما كان الشيوعيون يحتفظون له باضبارة منذ عام ١٩٣٥ .

وفي اليوم الثالث ، عندما كنت اكتب تقريرى الاخير عن اليابانيين ، سمعت صوتا على السلم . فالتفت لأنظر فرأيت شخصا غربيا بالقرب من برج المراقبة متبوعا بالمدير . فخمنت انه قد يكون موظفا من جهاز اعلى جاء للتفتيش . ونظر الى كل زنزانة تباعا ، ولم يظهر اى اهتمام فيما كان المدير يخبره باسم كل سجين . ومع انه لم يكن مرتديا بزة عسكرية ، الا اننى حررت من تعابير وجهه الصارمة انه لا بد ان يكون رجلا عسكريا . وكان يبدو دون الخمسين من عمره .

وسألنى عندما نظر الى داخل زنزانتنا :

— ماذا تفعل ؟

ودهشت بالاعتدال في صوته وبطيف الابتسامة التي ارتسمت على وجهه . ونهضت واخبرته بأننى اكتب عن جرائم اليابانيين . فقال باهتمام :

— اية جرائم تعرف ؟

فأخبرته بمذبحة العمال في مشروع البناء ، تلك القصة التي رواها لي تونغ جى شيوى . ولعلى كنت اتخيل ، الا ان الابتسامة بدت تختفى من وجهه كما اصبحت ملامحه صارمة جدا . ولم اتوقع ان الخبر سيثير في نفسه ردة الفعل الشديدة هذه .

— لقد صدمت بتلك الحادثة في ذلك الوقت حيث لم اكن ادرك ان اليابانيين كانوا بهذه القسوة .

— لماذا لم تقدم لهم احتجاجا ؟

— انا . . . انا لم اجرؤ .

— لأنك كنت خائفا ؟

ودون ان ينتظر جوابى مضى يقول بلهجة هادئة مرة ثانية :

— آه ! ما اقرف الاشياء التي يمكن ان يسببها الخوف للانسان .

فقلت بصوت خافت :

— هذا كله كان ذنبى : يجب ان اعترف بذنبى للشعب ؛ اننى

لا استطيع التكفير عنها حتى ولو مت عشرة آلاف مرة .

— لا تضع اللوم كله على نفسك . يجب ان تتحمل نصيبك فقط

من المسؤولية وتحفظ بالحقائق . انك لا تستطيع ان تتهرب من ذنبك ، ويجب ألا تتحمل مسؤولية جرائم الآخرين .

ومضيت اقول اننى تأثرت بالطريقة التي عاملتنى بها الحكومة ، وبأننى

اعترفت بذنبى الكبير وصممت على اصلاح نفسى . ولا ادري ان كان هذا الموظف كان يصغى الى عندما تفحص الزنزانة وطلب من سجين آخر ان

يجلب له كوز الاسنان ليفتشه . وعندما انتهيت هز رأسه وقال :

— يجب ان تشبث بالوقائع . اذا اعترفت بذنبك حثما واطهرت الندم فانك ستعامل باللين بكل تأكيد . ان ما يقوله الحزب الشيوعي معتمد ، وانه ليعلق اهمية كبيرة على الوقائع . وان الحكومة الشعبية مسؤولة عن الشعب . يجب ان تظهر انك تعزز تقدما بما تفعله ، ليس فقط بما تقوله . حاول بجهد .

ونظر الى ما كنت اكتبه ثم ذهب الى باب الزنزانة الاخرى .

كان قلبي ثقيلًا جدا . وفيما تصفحت مجموعة المواد التي كتبتها بدا لي انني اليوم فقط ادركت مدى خطورة الاحداث التي وصفتها في كتابتي هذه . ومنذ ذلك الحين كانت عيناه الصارمتان تلازمانني وصدى كلماته يتردد في نفسي . وادركت انني اواجه قوة لا تقاوم ، قوة لن تكلم او تستكين قبل ان تكتشف كل شيء . لقد امسكت هذه القوة جلاذ عام ١٩٣٥ مع انه كان مخفيا في اعماق الجبال ، وادركت انها ستقدم وصفا كاملا لجرائم اليابانيين في الشمال الشرقي ، وان جرائم العملاء الكبار والصغار في ” امبراطورية منشوريا “ لن تقوى على الافلات منها .

كان اليوم احد ، وكنت اعلق غسيلي في فناء السجن كي يجف عندما رأيت لي الكبير وروى الصغير وأحد كوادر السجن يقتربون من بعيد . وبعد ان وقف ثلاثتهم عند المظاهر فترة افترقوا وتقدم روى الصغير في اتجاهي ، ولكن عندما هممت بتحيته مرق من جانبي فورا دون ان يلقي نظرة الى ناحيتي . فشككت في انه قد فعل شيئا لا يمكن تغييره .

وعدت الى زنزاتي ثم اعدت فحص المواد المتعلقة بحركة المكافحات الثلاث وحركة المكافحات الخمس في الصحف القديمة . فجاءني لاد وانغ وقال :

— ماذا تفعل ؟ أ تدرس حركة المكافحات الخمس ؟

فوضعت الصحف من يدي واعلنت قراري :

- لا . كنت افكر في بعض احداث الماضي : في السابق لم ار طبيعتها الحقيقية ، ولكننى الآن ارى انها جرائم . هل تظن ان من الصواب ان اضمنها في مقالتي الدراسية ؟  
فخففص صوته وقال :

- طبعاً . ان الحكومة على اية حال قد جمعت عنا كثيرا جدا من المواد ، لذلك سيكون من الافضل بكثير الافصاح عنها .  
فتناولت قلمي . وكان الهيكل العام لمقالتي هو ان الاقطاعيين والكمبرادور كانوا شيئا لا غنى عنه للامبريالية في عدوانها على الصين ، واننى انا كنت مثلا نموذجيا . لقد استخدمتني القوى الاقطاعية لافثة لها من اجل تحقيق احلامها في اعادة الملكية وتعاونت مع الامبرياليين اليابانيين ، بينما استخدمتني اليابانيون لافثة لهم ايضا عندما حاولوا الشمال الشرقى الى مستعمرة لهم . وكتبت تفاصيل نشاطاتى في تيانجين وتفاصيل علاقاتى وعلاقات زمرتى باليابانيين ، بما فى ذلك لقائى مع دويهارا .

وبعد يومين اخبرنى لآو وانغ بأن سلطات السجن قد قرأت مقالتي ورأت اننى احرزت تقدما كبيرا ينبغى لمجموعتى ان تمتدحنى عليه . وقال لآو وانغ ، القاضى السابق :

- ان دليلا حقيقيا واحدا يساوى اكثر من عشرة آلاف كلمة فارغة .

## صنع الصناديق

فى نهاية عام ١٩٥٢ انتقلنا من المبنى المحاط بالقضبان الحديدية الى مبنى جديد فسيح ، وكانت فيه اسرة جديدة وطاولات ومقاعد ونوافذ كذلك تدخل قدرا كبيرا من الضوء . ونظرا الى ان ما قاله مدير السجن عن " الاصلاح " بدا حقيقيا ، ونظرا الى اننى مدحت على كتابتى ذلك الجزء

من تاريخى الشخصى بدلا من ان اعاقب ، بدأت ادرس بجدية . ورأيت فى تلك الايام انه لم يكن هناك اكثر من القراءة ليقوم المرء باعادة بناء نفسه ، وتصورت اننى بمجرد تمكنى من الافكار الواردة فى الكتب تكتمل اعادة بناء نفسى . ولم يخطر فى ذهنى قط ان القراءة غير كافية ، او ان القراءة وحدها لن تمكنى من فهم معنى مضمون الكتب . فى اواخر عام ١٩٥٠ واولائل عام ١٩٥١ مثلا كنت قد قرأت كتاب « ما هو المجتمع الاقطاعى ؟ » ، ولكن لم افهم ماذا تعنى الاقطاعية حقا الا فى ربيع ١٩٥٣ حيث علمتني ذلك فترة العمل حينذاك ، صنع الصناديق .

لقد اتفقت سلطات السجن مع مصنع اقلام الرصاص فى هارلين على ان تقوم نحن السجناء بصنع الصناديق الكرتونية التى تمزم فيها اقلام الرصاص . ومن ذلك الحين ونحن نمضى اربع ساعات كل يوم فى الدراسة واربع ساعات فى العمل . وقال لنا كوادر السجن ان هذا سيغير من روتين حياتنا ، حيث سيكون قليل من العمل اليدوى نافعا لنا لأننا لم نقم . قبل ذلك بأى عمل . ولم ادرك حينذاك ما المغزى الخاص فى تلك الكلمات بالنسبة لى .

وطبعا لم اقم قبل ذلك قط خلال حياتى كلها بالصاق اجزاء صندوق لأقلام الرصاص الى بعضها ، كما انه لم يسبق لى ابدا ان برت قلم رصاص . وكل ما عرفته عن اقلام الرصاص هو اننى استطعت ان اتذكر العلامة التجارية المكتوبة عليها - اقلام فينوس وكانت مطبوعة عليها مع صورة امرأة مكسورة الذراع ، وكانت هناك اقلام رصاص المانية عليها صورة ديك . ولم اذكر مطلقا الصناديق التى كانت هذه الاقلام تأتى محرومة فى داخلها ، كما لم تكن عندى فكرة عن ان صنع الصناديق متعب الى هذا الحد . وعلى اى حال لم يمض على وقت طويل حتى زال شعورى بهذه الاشياء الجديدة ، وبدا لى كما لو ان عقلى ملتصق بعجينة ، بليدا مشوشا . فبينما كان الآخرون قد اتموا عددا من الصناديق لم اكن قد انهيت صندوقى الاول بعد ، كما

انه لم يظهر بشكل صندوق او لآى شىء يصلح . فسألنى لاو شيان وهو مدير مستشفى عسكري سابق فى "امبراطورية منشوريا" ، آخذاً بيده هذا الشىء الذى صنعته :

- كيف صنعته يا ترى ؟ لماذا لا يفتح ؟ ما هذا الشىء العجيب ؟  
لقد نشأ لاو شيان فى اليابان حيث درس الطب ، وهو شقيق العميلة السيئة السمعة جين بى هوى (التي كان اسمها اليابانى كاواشيما يوشيكو) وابن للامير سو ، اى انه منحدر من اسرة خونة قياديين . وكان رجلاً سيئ الطبع ، وقد احب ان يصب جام غضبه على اذ كنت من الجبن بحيث لا اقوى معها على الصمود امامه .

كانت مشاعرى مزيجاً من الغيرة وخيبة الامل والخوف من ان اكون مثار سخرية ، وقد لفت هذا الفضولى شيان انتباه الآخرين الى . فاحتشدا حول صندوقى وراحوا يضحكون على نحو غير مريح . فانتزعت الصندوق من لاو شيان والقيته على كومة الفضلات . فقال محملاً فى وجهى :

- ماذا ؟ أتعتمد القاء ؟

فتمتمت قائلاً وانا ارفع الصندوق من كومة الفضلات واضعه على كومة الصناديق الجاهزة :

- كلا . انه ليس شيئاً جدياً بحيث لا ينفع نهائياً :

ولكن هذا كان خطأ واضحاً .

- الاشياء المنبوذة هى الاشياء المنبوذة اينما وضعت ؟

فأغضبتنى هذه الاهانة المزدوجة المعانى اشد الغضب : فرددت عليه وانا ارتجف تقريبا ولا استطيع السيطرة على نفسى :

- انت تتعفرت على . انت تتنمر على الضعيف وتخاف من القوى :

فاحمر وجهه وصاح :

- على من انتمر ؟ وممن اخاف ؟ انت تظن انك ما تزال امبراطوراً

وان كل واحد عليه ان يخدمك ، أليس كذلك ؟  
ومن حسن الحظ ان الآخرين تجاهلوه ، وجاء رئيس المجموعة واسكنته .  
ولكن المسألة لم تنته عند هذا الحد . فـلاو شيان لم يكن على استعداد للتخلي  
عن هذه المشكلة بسهولة . وفي اليوم التالي اختار مكان جلوسه بجانبى من  
اجل الصاق الصناديق . واستمر ينظر الى عملى نظرات انتقادية ، لذلك  
استدرت واوليته ظهري .

ومع اننى لم احسن عملى كالآخرين ، الا اننى احزرت بعض التقدم  
فى ذلك اليوم . وفى المساء جلبت لنا سلطات السجن بعض الحاوى المشترية  
بالتقود التى كسبناها من عملنا فى اليوم السابق . وكانت هذه هى المرة  
الاولى التى تمتعت فيها بشمار جهدى الشخصى . ومع ان جهودى كانت  
من اقل الجهود نجاحا الا ان حصتى من الحاوى كانت اطيب مذاقا من  
اية حلوى اكلتها من قبل . وقال لاو شيان :

— يا بو يى ، انك لم تعمل على نحو سيبى جدا هذا اليوم ، أليس  
كذلك ؟

فقلت رادا على هجومه :

— لا ، لم تكن هناك اشياء منبوذة اليوم .

فأجاب مبتسما ابتساماة باردة :

— يحسن بك ان تكون اكثر تواضعا :

— واى تكبير فى قولى بأنه ليست لدى صناديق منبوذة ؟

وغضبت ، ولم اعد اشعر بلذة فى الحلوى التى فى يدى . كان من  
اكثر الاشياء كراهية فى تصرفاته هو براعته فى اختيار اللحظة التى اكون  
فيها شاعرا بالسعادة لبيداً فى تتبع الثغرات . وقلت له :

— اذا نبتت اية صناديق اخرى ، فبوسعك ان تلقبنى كما تشاء .  
ثم تجاهلته ، ولكنه ذهب والتقط احد الصناديق التى صنعتها وعرضه

امام الجميع قائلا :

– انظروا !

فرفعت نظري ، وكادت الحلاوى تمخنتنى . كنت قد ألصقت رقعة الورق رأسا على عقب . فتميزت غيظا ، ووددت لو التقي الصندوق في وجهه الكريه . ولكننى كبحت هذه الرغبة الجامعة وتمتمت قائلا :

– فكر كما تشاء .

فرفع صوته قائلا :

– ما هذا الطبع السيئ ! ما تزال تمثل دور الامبراطور التن . لقد انتقدتكم من اجل صالحكم ، ليس الا ، ولكنك لا تدرك ذلك .  
وسمع صوت سجان يأتي نحو الزنانة ، فرفع صوته اكثر فأكثر :  
– انك ما تزال تحلم في ان تكون امبراطورا ثانية .  
فرددت عليه في غضب :

– كلامك هذا هراء . انا اغبى منك ، ولست ماهرا مثلك في التكلم او القيام بالاعمال ، ولقد ولدت على هذا النحو ، هل يكفيك ذلك ؟  
وجاء الآخرون ليوقفوا هذا الشجار . وكانت زنانتنا غرفة كبيرة ، وكان عددنا فيها ثمانية عشر شخصا . فباستثنائي كان هناك ثلاثة من الوزراء العملاء السابقين واربعة عشر ضابطا سابقا . وكان احد هؤلاء الوزراء الثلاثة السابقين تشانغ جينغ هوى الذى اصبح في هذا الوقت خرفا ، ولم يكن عادة يدرس او يعمل ، بل ظل صامتا تماما . وفي ذلك المساء اجرينا جميعا ما عدا تشانغ جينغ هوى مناقشة حول ” مسألة الصناديق “ . فقال بعضهم انه ليست هناك حاجة الى ان يرفع لاهو شيان صوته حتى وان كان حسن النية في نقده لى ، وقال آخرون اننى كنت مخطئا في عدم اعترافى بأننى صنعت الصناديق على نحو سيئ . وقال العجوز المنغولى قوه انه ليس من الغريب ان اخرج عن طورى وقد وقف منى لاهو شيان ذلك الموقف ، واعترض



قائد فوج سابق كان صديقاً لشيان على ان العجوز قوه ينظر من خلف نظارة معتمة . وظهر رأى آخر يقول ان هذه المسألة يجب ان تناقش في اجتماع النقد يوم السبت . وشرح كل واحد يتحدث فوراً . ثم رأيت قائد الفوج يشد معطف شيان الذى كان يصيح بحدة بحيث غطى الزبد شدقيه . وصمت كل واحد ، والتفت فاذا بموظف فى السجن يدعى لى ، وكان مسؤولاً عن الدراسة ، قد دخل . فسأل رئيس المجموعة عما كنا نتشاجر بشأنه ، فقال لا وى :

— ابلاغك يا سيدى ان هذا الشجار قد ثار حول صندوق كرتونى منبوذ .

فتناول هذا الموظف الصندوق الذى لصقت فيه الرقعة رأساً على عقب وقال :

— لماذا تتشاجرون حول امر تافه كهذا ؟ لماذا لا تكتفون بالصاق رقعة اخرى على نحو صحيح ؟  
فأصبنا بالذهول . ولكن المشكلة لم تنته بعد . فبعد بضعة ايام اخبرنا روى الصغير عندما جاب لنا مواد عملنا بأن بعض المجموعات الاخرى تجرى مباراة ، واراد ان يعرف ان كنا سنشارك ام لا . فقلنا اننا سنشارك . ثم اخبرنا روى الصغير حينذاك ان قو الصغير فى مجموعتهم قد ابتدع طريقة للصق الصناديق لها ضعفا سرعة الطريقة القديمة . فأدركنا ان علينا ان نرفع من فعالية عملنا اذا كنا سنشارك فى المباراة . فاستخرجنا خلاصة من اخبار الابتكارات الفنية التى قرأنا عنها فى الصحافة ، وبدأنا خط انتاج متسلسل ، كان لكل منا فيه عملية . وقد استهوتنى هذه الفكرة لأنها ستجعل عملى اسهل ، وظننت انها قد تغطى عدم قدرتى . ولكن لم يمض وقت طويل حتى حدث تكدرس فى مرحلتى ضمن خط الانتاج ، وكان لاو شيان هو الذى لاحظ ذلك . فتظاهر بتعابير الارتباك ، وقال : ” ان عيوب فرد واحد يؤثر فى عمل

المجموعة . فماذا يجب ان نفعل بخصوص ذلك ؟“  
فلم اجادله هذه المرة ، ووقفت مواجها كومة الصناديق نصف الجاهزة ،  
تماما مثل الناس الذين اعتادوا ان يقفوا خارج بوابة قصر تهذيب العقل في  
الايام الماضية منتظرين استدعاءهم لمقابلتي . وعندما اشار الرجل الذى  
يلينى فى عملية الانتاج الى ان عملى ليس فى المستوى المطاوب واننى بذلك  
قد رفعت معدل الصناديق المنبوذة لدى المجموعة كلها ، ادركت انه لا  
احد مهما كان عادلا سيدحض النقد اللاذع الذى وجهه لى لاو شيان .  
وتركت خط الانتاج وعدت لأعمل بمفردى .

ومرة ثانية عرفت شقاء الوحدة . وبعد ان نبذتنى المجموعة شعرت ان  
الفرق بينى وبينهم كبير جدا كأنما كنت اقف امامهم عاريا . واوشكت  
ان انفجر بالغضب عندما تنحج لاو شيان متعمدا وهو يمر بى ، ووجهه  
ذو الندوب يكشف عن سروره بسوء حظى . واحتجت الى شخص عطوف  
اتحدث اليه ، ولكن الآخرين كانوا منهمكين فى العمل . وعندها اصبت  
بانفلونزا شعرت بأننى فى غاية التعاسة .

وحلمت تلك الليلة بأن وجه لاو شيان فوق وجهى مباشرة ، يقول لى  
بفظاظة : ” انك منبوذ . انك لست قادرا الا على ان تصبح متسولا . “  
ورأيت نفسى فى حلمى اقرص عند احد الجسور مثل واحد من ” القردة  
التي تحرس الجسر “ والتي حدثنى عنها الخصيان عندما كنت صبيا . وشعرت  
بيد تضغط على رأسى فاستيقظت مجفلا . ورأيت شخصا غير واضح المعالم  
يلبس ثوبا ابيض واقفا امامى ليتحسس جبهتى . ” ان حرارتك مرتفعة حيث  
ان نوبة الانفلونزا ازدادت سوءا . لا داعى الى القلق . دعنى افحصك . “  
كان رأسى يؤلمنى ، وصدغى ينبض بشدة ، وعندما تماسكت عرفت  
ما كان يجرى . لقد سمعنى السجان اهذى فى نومى ، وعندما لم يستطع  
ايقاظى استدعى طبيبا . فقاس الطبيب درجة حرارتى ، واعطتنى المبرضة

حقنة ، وعدت للنوم .

وبقيت مريضا مدة اسبوعين ، واخذت اتحسن تدريجيا تحت عناية الطبيب والممرضة . وقد امضيت معظم ذلك الوقت في سريري ، لا اقوم بالعمل ولا بالدراسة . وفكرت في هذين الاسبوعين اكثر من سنواتي القليلة الماضية . تسلسلت افكارى من الصناديق الكرتونية الى الوجه المرعب للامبراطورة الامله تسمى شى كما رأيتہ وانا طفل .

ان ذكراها الغامضة لم تبد لى فى الماضى الامخيفة ، اما الآن فاننى اكرهها . لماذا اختارتنى انا لأكون امبراطورا ؟ لقد كنت طفلا جاهلا وبريئا ، لا يقل موهبة فى اية ناحية عن بوجيه على اقل تقدير ، ولكن لأننى وقع على الاختيار لأصبح امبراطورا ، فقد عشت حياة محاصرة تماما . اننى لم اتعلم حتى اكثر المعارف العملية ضرورة ، فنتج من ذلك اننى لا اعرف الآن شيئا بل عاجز تماما . ان معرفتى ومهاراتى اقل مما لدى الطفل ناهيك عما لدى بوجيه . لقد سخر منى لاول شيان وامثاله وظلمونى ، ولو سمح لى بأن اعيش بمفردى ، لما عرفت كيف استمر فى العيش . أليست حالتى الراهنة هى بسبب غلطة الامبراطورة الامله تسمى شى والامراء ووزراء اسرة تشينغ ؟

كنت سابقا امتلئ غيظا وحقدا كلما انتقدنى احد او ضحك منى عدم مقدرتى كما كنت احقد على الحكومة الشعبية التى تحتجزنى . ولكننى الآن رأيت ان هذا خطأ منى . لقد كنت حقاً مثيرا للضحك وعاجزا وجاهلا . لقد استأنت فى السابق من عدم الاحترام الذى عاملنى به ابناء اشقائى ، ولكننى رأيت الآن انه ليس هناك سبب يلزمهم بأن يحترمونى . اننى لم استطع حتى ان اميز الكراث عندما اكلته ، واعترفت بالهة اجنبية على انها من اسلافى .

فما الذى كنت اتصف به بعد هذا كله من السمة السماوية ؟ لقد اخبرنى

لاو تشنغ المنغولى انه عندما تمرد والده بابوچاب فى السنوات الاولى من الجمهورية اقسمت الاسرة بكاملها ان تستعد للموت دعما لاعادة ملكيتى ؛ وان امه كانت تعبدنى كأننى لست اقل من اله . وقال ان من المؤسف جدا انها الآن ميتة ، والا ”لاستطعت ان اخبرها بأن الامبراطور شيوان تونغ ليس الا قمامة“ . هل استطيع ان الوم الناس على قول مثل هذا الكلام ؟ لقد لمت فقط الامبراطورة الارملة وبقية الامراء والوزراء ، وكرهت المدينة المحرمة كراهية جديدة . ورأيت انها عدو اشد خصومة من لاو شيان .

وعندما تحسنت حالى تقريبا ارسل مدير السجن فى طلبى . وبعد ان سألتنى عن صحتى مضى يستجوبنى عن الشجار بينى وبين لاو شيان ؛ وسألتنى ان كان هذا قد سبب لى صدمة . وبعد ان قدمت له وصفا موجزا للمسألة انتهيت الى القول :

— لقد صدمت صدمة شديدة فى ذلك الوقت ، ولكننى الآن لست غاضبا كثيرا . اننى لا اكره الا عدم كفاءتى وجميع الناس الذين كانوا فى القصر ببيكين .

— شىء جيد ان تعترف بعيوبك ؛ فهذا يدل على تقدم . لا حاجة الى ان تبتئس بخصوص عدم كفاءتك ، فبوسعك ان تتغلب على ذلك اذا كنت راغبا فى التعلم . والشىء الاهم من ذلك انك ادركت مصدر عدم صلاحيتك . عليك ان تسأل نفسك لماذا انشأك اولئك الامراء وموظفو البلاط على هذا النحو .

— انهم كانوا مهتمين فقط بمصالحهم ، فلم يعتنوا بى ، بل بأنفسهم فقط .

فأجاب مدير السجن بابتسامة :

— اخشى ألا تكون مصيبا تماما . هل تستطيع ان تقول ان تشن باو

تشن ووالدك قد عملا ضدك قاصدين ؟ هل تعمدنا محاولة ايدائك ؟  
لم استطع الاجابة .

— يجب ان تعطى هذه المسألة اهتماما شديدا . اذا تمكنت من ايجاد  
الجواب فان مرضك سيكون نافعا .

وواصلت التفكير في هذه المسألة بعد عودتي من مكتب مدير السجن ،  
واسترجعت حياتي الماضية مرات كثيرة قبل اجتماع النقد الذى اشتركت فيه  
بعد مرضى . وجعاني اخفاقي في العثور على جواب ازداد غضبا على غضب .  
وفي اجتماع النقد هذا انتقد احدهم لاو شيان على ضغينته قائلا انه  
كان دائما يتعمد مهاجمتى . ومعظم الآخرين عبروا عن آراء مشابهة ، بل  
ان بعضهم حمل لاو شيان مسؤولية مرضى و اشار الى انه كان قد ترك تأثيرا  
سيئا في اعادة بناء انفسنا . فشحب وجه لاو شيان من شدة التوتر وقام بنقد  
ذاتى متلعثما . ولم اقل شيئا طوال الاجتماع مع اننى كنت التهب حقدا .  
وعندما اقترح احدهم ان اتكلم ازداد وجه لاو شيان شحوبا . فقامت بصوت  
خافت :

— ليس عندى ما اقوله . اننى لا اكره الا عدم صلاحيتى .

فدهش كل واحد فيهم ، وارتخى فك لاو شيان . وبدأت اصيح :

— اننى اكره القصر الذى نشأت فيه ، اكره النظام الشرير . ما الاقطاعية ؟

الاقطاعية تعنى تدمير الناس منذ طفولتهم .

واحسست بغصة في حلقى فام استطع المتابعة . واخذ الآخرون يتمتمون

بشىء ما ، ولكننى لم استطع سماع ذلك الشىء .

## وصول المحققين

مع نهاية عام ١٩٥٣ درسنا كتاب « حول الامبريالية » لمدة ثلاثة اشهر ،

وبعد ذلك عدنا الى فوشون في آذار ١٩٥٤ . ولم يمض وقت طويل حتى وصلت مجموعة العمل التابعة لهيئة التحقيق ، وبدأت تستجوب السجناء . واكتشفنا فيما بعد ان الحكومة قد قامت باستعدادات في غاية الدقة لاستقصاء جرائم مجرمي الحرب من اليابانيين ومن " امبراطورية منشوريا " ، وقد جندت قوى كبيرة للقيام بهذه المهمة . ونقلت دفعة من مجرمي الحرب اليابانيين الى فوشون . وكان الحكومة قد بدأت في جمع المواد منذ عدة سنوات ، وحشد مائتا محقق تقريبا تلقوا تدريباً فنياً وسياسياً خصوصيين . وبدأ التحقيق مع مجرمي الحرب من " امبراطورية منشوريا " باجتماع كبير عقد في نهاية مارس . وبقدراً ما كان يعينا نحن السجناء فان التحقيقات شملت ابلاغات عن جرائم الآخرين واعترافات بجرائمنا ، وقد انتهت في نهاية ذلك العام .

واخبرنا رئيس مجموعة المحققين في الاجتماع انه بعد دراستنا وفحصنا الذاتي خلال السنوات القليلة الماضية حان الوقت لأن نعرف بذنوبنا . ان الحكومة يتعين عليها ان تفحص جرائمنا ، واننا نلتزم بالادراك الصحيح لماضينا والاقرار بجرائمنا ، والابلاغ عن جرائم الامبرياليين اليابانيين وغيرهم من الخونة الصينيين . وعلينا ان نكون امناء سواء في الاعتراف بجرائمنا او الابلاغ عن جرائم الآخرين ، فلا نبالغ ولا نقلل . والقرار الذي ستتخذه الحكومة اخيراً حول كيفية معاملتنا سيعتمد على جرائمنا وموقفنا ، وسياستها هي التي من يعترف والشدة على من يرفض الاعتراف .

وفي الاجتماع اعلان مدير السجن بعض اللوائح الجديدة . فمئنا من تبادل المعلومات في قضاياها ومن ارسال المذكرات الى الزنانات الاخرى ، وما الى ذلك . ومنذ ذلك اليوم بدأت كل مجموعة تخرج الى الرياضة بالتناوب ، وبذلك تعذر لقاء السجناء من الزنانات المختلفة .

وبعد انتهاء هذا الاجتماع عادت كل مجموعة الى زنانتها للنقاش .

وقال كل واحد انه سيقدم اعترافات كاملة وابلاغات تامة ، وانه اعترم  
بالاعتراف بذنبه كى يحصل على معاملة لينة ؛ ولكن بعضنا ، مثل لاول  
شيان ، كان قلقا بخصوص ذلك .

وقد لاحظت تخوفه ، فتلاشى ايماني بسياسة اللين مرة اخرى وحلت  
محلله الشكوك . اذا كان مدير مستشفى سابق عنده ما يدعوا الى الخوف ،  
فمن المؤكد ان يكون عندي انا ، الامبراطور السابق ، المزيد من الاسباب  
التي تدعو الى الخوف .

ونظرا الى اننى قد اعترفت قبل ذلك بجرائمى الرئيسية فان قلقى الكبير  
قد انحصر فى كيفية اقناعى المحققين باننى كنت صادقا . لذلك قررت  
ان اكتب تاريخ حياتى فى مزيد من التفصيل ، بينما اكتب كل ما عرفته  
من جرائم مجرمى الحرب اليابانيين . ووعدت نفسى بأن افعل هذا فى اجتماع  
مجموعتنا .

ولم يكن تنفيذ هذا الوعد سهلا . فلدى الكتابة عن نهاية فترة "امبراطورية  
منشوريا" وصلت الى اعلان الاتحاد السوفياتى الحرب على اليابان . لقد  
كنت مرعوبا من ان يشك اليابانيون فى ويركلونى جانبا فى تلك الازمة ، فعصرت  
ذهنى فى التوصل الى طريقة اكسب فيها ودهم . وفى الليل ، بعد سماعى  
الاعلان السوفياتى للحرب على اليابان ، ارسلت فى طلب تشانغ جينغ هوى  
وتاكيب (رئيس "مكتب الشؤون العامة لمجلس الدولة فى امبراطورية  
منشوريا") بمبادرة منى . واعطيتهما "مرسوما" شفويا آمرهما فيه بالتعبئة  
بسرعة والقيام بكل شىء ممكن لدعم اليابان ضد هجومات الجيش الاحمر  
السوفياتى . ماذا سأقول بخصوص ذلك الآن ؟ كنت مضطرا الى ذكر ذلك  
بسبب وجود امكانية معرفة الناس الآخرين لهذا المرسوم ؛ ولكن اذا ذكرته ،  
أفلا يجعل هذا التصرف الوحيد الذى اتخذته دون تحريض من اليابانيين ،  
أفلا يجعل المحققين يشكون فى اننى لم اكن اذن تحت سيطرة يوشوكا

تماما ؟ واذا هم شكوا في هذا الامر فان سيرة حياتي كلها ستصبح لاغية :  
وقررت ان لا اقول الكثير حول هذه المسألة . ولن يضيرني ان اكون  
كثوما بعض الشيء حول بعض الاشياء السيئة التي قمت بها . ووضعت  
اللوم بخصوص هذا المرسوم على يوشيوكا ، ثم دونت الاعتراف مرة اخرى  
ذاكرا بمزيد من التفصيل الاشياء التي تجرأت على ذكرها ، وكتبت الابلاغ  
بكل ما استطعت كتابته عن جرائم الآخرين . وسلمت هذا كله وانتظرت امر  
المحققين للمثول امام القضاء .

وتساءلت كيف سيكون الاستجواب . هل سيكون المستنطق كأى مخاوق  
عادية او مثل وحش ؟ هل سيستخدم معي التعذيب كما كنت اعذب  
الخدم والخصيان المذنبين في المدينة المحرمة وفي تشانغتشون ؟ وايقنت انه  
سيكون قاسيا . وكنت خائفا من التعذيب ، حتى ولو صفعة على الوجه ، اكثر  
من خوفي من ان اموت . لقد بقيت في سجن شيوعى مدة ثلاث سنوات ،  
فلم ار الناس يضربون او يشتمون بل كانوا يعاملون بالاحترام اللائق بهم .  
بوصفهم بشرا . وهذا كان كافيا لأن يريني ان مخاوق السابقة لم يكن لها  
اساس ، الا اننى اقتنعت بأن المستجوب لا بد ان يكون متشككا ويستخدم  
العنف مع من يستجوبه .

وامضيت عشرة ايام قلقة اعانى من وساوس كهذه . ثم جاءت اللحظة  
المخيفة عندما طلب منى سجان ان اذهب لرؤية المحققين .  
واخذت الى غرفة مساحتها عشرة امتار مربعة تقريبا . كان في وسطها  
مكتب كبير وامامه طاولة صغيرة عليها طاسات الشاي وابريق شاي ومنفضة  
سجائر . وخلف المكتب جالس رجلان ، احدهما كهل والآخر شاب .  
واشارا الى بالجالوس على كرسي بجانب الطاولة . فسألنى الرجل الاكبر سنا  
منهما عن اسمى وعمرى ومسقط رأسى والعرق الذى انتمى اليه ، ومضى  
قلم الشاب يحك قطعة من الورق فيما كان يسجل اجوبتى . وقال الكهل :



— لقد قرأنا اعترافك ، ونود ان نجرى معك حديثا . يمكنك ان تلدخن .  
وسألنى عن عدد من الاشياء بدءا من طفولتى الى الوقت الذى قبض  
على فيه . وهز رأسه وانا اجيب كأنما كان راضيا بجوابى :  
— حسن جدا ، سترك ذلك الآن . وقد يكون لدى المستنطق تشاو  
بعض الاسئلة الاخرى ليسألك اياها فيما بعد .

وانهى جو الاستجواب الذى جاء مباغتة تامة قلقي بخصوص التعذيب .  
واصببت بشيء من خيبة الامل لدى استجوابى التالى عندما لم اجد فى  
الغرفة الا تشاو . وتساءلت وانا اجلس امام هذا المستنطق الشاب ان كان  
كفوعا هو الآخر . وهل سيكون قادرا على تفهم اننى قلت الحقيقة ؟ هل  
سيكون له الطبع التزق الذى يكون لدى الشباب ؟ وكلام من سيصدق اذا  
كتب الآخرون عنى تقارير كاذبة ؟  
وقال مقاطعا سلسلة افكارى :

— هناك سؤال اود ان أسألك اياه :

لقد اراد ان يعرف عن الاجراءات الخاصة باصدار الاوامر والمراسيم  
الامبراطورية فى ” امبراطورية منشوريا “ ، فأجبتة بصدق . وعندما ذكر  
لى احد الاوامر ، سألتنى عن الوقت التى رأيتة فيه قبل اعلانه . ولم اكن متأكدا  
فأجبت :

— ربما قبل يوم او يومين ، ولكن قد يكون قبل ثلاثة او حتى اربعة .  
— لا داعى لأن تعطى جوابا فى الحال . يمكنك ان تخبرنى عندما  
تتذكر . دعنا ننتقل الى سؤال آخر الآن .

ولم استطع ايجاد جواب على السؤال الآخر ايضا . وارتبكت وتساءلت  
ان كان المستنطق سيظن اننى اتعمد اخفاء شيء ويخرج عن طوره . ولكنه  
قال بدلا من ذلك : ” لندع هذا السؤال جانبا ايضا . يمكنك ان تخبرنى  
عندما تتذكر . “ ثم اضطرت الى الاذعان لذلك الشاب فى النهاية .

ففى احدى الجلسات - لا اذكر ايها - اخرج بعض المواد التى كنت قد كتبتها ووضعها امامى وسألنى :

- لقد كتبت هنا ان الغزاة اليابانيين اخذوا ستة عشر مليون طن من الحبوب من الشمال الشرقى فى سنة واحدة ، تنفيذاً لخطة وضعها فورومى تاداوكى ، مجرم الحرب الذى كان نائباً لرئيس " مكتب الشؤون العامة لمجلس الدولة فى امبراطورية منشوريا " . فهذا غامض جداً . اية سنة كانت تلك ؟ كيف تعرف رقم ستة عشر مليون طن ؟ ارجو ان تعطينى مزيداً من التفاصيل .

كنت فى الواقع قد سمعت مصادفة اثنين من الوزراء العملاء السابقين فى ززائتى يتحدثان عن ذلك ، ولكن لم استطع الاعتراف بهذا ، لذلك قلت ان اليابانيين قد سلبوا من الشمال الشرقى جميع ثرواته ، واخذوا جميع الحبوب التى كانت مزروعة . فقاطعتنى المستنطق ثانية عند هذه النقطة :

- هل تعرف الانتاج السنوى للحبوب فى الشمال الشرقى ؟  
فلم استطع الاجابة بشئ .

- على اى اساس بنيت افادتك فيما كتبت ؟  
ورأيت اننى لا استطيع ان اجد لنفسى مخرجاً من هذا الوضع ، فاعترفت ان مستندى الوحيد كان القيل والقال .

- اذن أ انت تصدق ما كتبت ام لا ؟

- اننى . . . اننى لا ادرى .

فنظر الى المستنطق وقد جحظت عيناه ، وقال :

- حتى انت لا تصدق ذلك . اذن لماذا كتبتة ؟

ولم اعرف ماذا اقول . واغلق قلمه ورتب « حولىة امبراطورية منشوريا » و« تقرير الحكومة » السميكين على مكتبه . وبدا واضحاً انه لا يريد اى جواب آخر منى ، واقفل الاستجواب قائلاً :

— سواء كنت تشير الى نفسك او الى الآخرين عياك ان تتشبه دائما  
بالحقائق .

فنظرت اليه فى صمت ، معترفا لنفسى بحقيقة ما قال ، اذ خفت من  
ان يكذب الآخرون او يبالحوا فيما يقولونه عنى . وخرجت من الغرفة اتساءل  
ان كان جميع المحققين واعين مثل هذا الشاب . ماذا سيحدث لو ان  
شخصا غير كفوء قرأ عنى بعض الاشياء الكاذبة ؟

وسرعان ما حصلت على اجابة عن هذا السؤال عندما اخبرنا لائو يوان  
عن تجربته . لقد سجل رقما استنتجه لمقدار الحديد والفولاذ الذى اخذه  
اليابانيون من الشمال الشرقى . فلم يصدق المستنطق هذا الرقم واعطاه قلم  
رصاص ، وطلب منه ان يحسب كم من الخامات يلزم لانتاج هذا المقدار  
من الحديد والفولاذ ، وكم من الخامات كان يستخرج فعلا فى الشمال  
الشرقى كل سنة . وانتهى لائو يوان الى اخبارنا بأن المستنطق كانت لديه  
اضبارات للموارد الطبيعية فى الشمال الشرقى .

وفهمت الآن لماذا كان لدى المستنطق تشاؤم كل هذه الكتب الارشادية  
على مكتبه . وللتحقق من جميع الادلة المكتوبة امضى مئات المحققين اكثر  
من سنة يطوفون فى كافة انحاء البلاد ويقرأون الاضبارات بأعدادها الكبيرة  
والموزونة بالطن كما اكتشفت عندما وقعت على الاستنتاجات العامة التى  
كتبها عنى المحققون .

وسبب اصطدامى بهذا المحقق الشاب هو انه كان واعيا جدا فى بحثه  
عن الحقائق ، واننى كنت اخشى بغياء ان يظن اننى لست امينا . لذلك  
اسرعت فى كتابة نقد ذاتى وارسلته اليه . ومن ثم شعرت ان الوضع ليس  
بالغ الخطورة .

## معاونة وحقد الشعب فى الشمال الشرقى

لم اعرف ابدا ولم اهتم بمعرفة الكوارث التى انزلها اليابانيون بشعب الشمال الشرقى ، ولم افكر قط فى ان يكون لهذه الكوارث ما يعنيه بخصوصى . ولكن عندما حضرت اجتماع دراسة حول جرائم مجرمى الحرب اليابانيين فى الشمال الشرقى ادركت مدى خطورة هذه الجرائم . لقد ترك هذا الاجتماع الذى اشترك فيه مجرمو الحرب اليابانيون انطباعا عميقا جدا فى نفسى . وكانت اكثر الشهادات باعنا على الذهول اعترافات فوروى تاداىوكى ، نائب رئيس ” مكتب الشؤون العامة لمجلس الدولة فى امبراطورية منشوريا “ ، واعترافات قائد درك سابق فيها .

كان فوروى مفضلا لدى الجيش اليابانى ، وواحدا من حكام ” امبراطورية منشوريا “ الحقيقيين . وقد خطط هو ورئيسه تاكيب روكوزو ، عملا بأوامر جيش قواندونغ ، ونفذنا حكم الشمال الشرقى وسلبه . وقد تكلم بمزيد من التفصيل عن سياسة انتزاع الاراضى بالقوة من الفلاحين فى الشمال الشرقى لتوطين المهاجرين اليابانيين ؛ وعن ” الخطة الخمسية لتطوير الانتاج “ التى وضعت لسلب الموارد الطبيعية فى الشمال الشرقى ؛ وعن استخدام الافيون لتسميم الشعب ؛ وعن سياسات اخرى كثيرة ، بما فى ذلك انتزاع كل ما لدى الاهالى من الحبوب والمنتجات الاخرى كجزء من الاستعدادات لحرب الباسيفيك . كما تحدث عن بعض عواقب هذه السياسات ، وكان كل مثال ذكره نموذجا للوحشية . ففى عام ١٩٤٤ ، مثلا ، جند اكثر من خمسة عشر الف عامل من الشمال الشرقى كله تجنيدا الزاميا من اجل البناء العسكرى بوانغيمياو فى جبال شينغان . وكانت الظروف التى اجبروا على العمل خلالها سيئة للغاية بحيث مات منهم اكثر من ستة آلاف عامل .

وكان لدى فوروى ايضا الكثير مما يمكن قوله عن سياسة الافيون

اليابانية . لقد بدئ بهذه السياسة فى اوائل عام ١٩٣٣ عندما اصبح الجيش اليابانى يشكو من نقص فى الاعتمادات المالية قبل غزوه رخه . ونظرا الى انه لم يسيطر على انتاج الافيون فى الشمال الشرقى فى ذلك الحين ، فقد استورد اكثر من مليونى آونس من الافيون الاجنبى وبعثر المشورات بالطائرة فى كافة انحاء رخه لتشجيع زراعة خشخاش الافيون . وحوالى عام ١٩٣٦ وسع الجيش اليابانى الى حد كبير المساحة الخاضعة لزراعة الافيون فى "امبراطورية منشوريا" ، وفعل كل ما فى وسعه لتوسيع الانتاج ، وفيما بعد اعطى لنفسه الحق القانونى فى احتكار بيع الافيون . واسس اليابانيون "جمعيات لمنع تدخين الافيون" فى كل مكان ، واقاموا صالات للتدخين زودوها بـ "مضيفات" ، وبدلوا جهودا كبيرة لنشر الادمان بين الشباب . وفى عام ١٩٤٢ عقد "مجلس انعاش آسيا" مؤتمرًا حول احتياجات الافيون وانتاجه فى الصين" ، اتخذ قرارا ينص على ان "تغطى امبراطورية منشوريا ومناطق حدود منغوليا متطلبات الافيون لمنطقة الازدهار المشترك فى شرقى آسيا العظمى" ؛ وبعد ذلك زادت المساحة الخاضعة لزراعة الافيون فى الشمال الشرقى الى ٣ آلاف هكتار . ووفقا لحسابات فورومى فان "امبراطورية منشوريا" قد انتجت اكثر من ٣٠٠ مليون آونس من الافيون قبل انهيارها . بلغت ارباحها فى عام ١٩٣٨ سدس الدخل الاجمالى للحكومة العميلة ؛ وفى عام ١٩٤٤ وصل الى ٣٠٠ مليون يوان ، اكثر بمائة مرة عما كان عليه فى بداية "امبراطورية منشوريا" ، وبذلك تزودت اليابان بمصدر من اهم مصادر التمويل لحربها العدوانية . وكان فى رخه وحدها ما يقارب من ٣٠٠ الف مدمن افون ، وفى الشمال الشرقى عامة وصل معدل مدخنى الافيون الى واحد من كل عشرين نسمة .

وشهد ضابط درك بأن رجال الدرك غالبا ما كانوا يقومون بمذابح جماعية ، ويعشرون الناس بعدها لرؤية الجثث . فكانوا احيانا يقبضون على عدد من

الناس يعتبرونهم مريبين ، فيصفونهم صفا واحدا ويختارون واحدا منهم عشوائيا ، ثم يشقونه بسيف امام الجميع . ولقد قتل بنفسه اكثر من ثلاثين ضحية بهذه الطريقة . وكان المقيوض عليهم يخضعون لشتى الوان التعذيب : فكانوا يضربون ؛ ويصب في انوفهم الماء البارد وماء الفلفل الحارق والكبروسين ؛ وكانوا يحرقون بأعواد البخور او بالمساعر المحماة حتى الاحمرار ؛ وكانوا يعلقون بالمقابو . . .

والى جانب ما عاناه اهالى الشمال الشرقى على ايدى الغزاة اليابانيين مباشرة ، ليس من الصعب اظهار الحقائق والارقام بخصوص ما تعرضوا له من تعذيب على ايدى الحكومة العميلة والخونة الصينيين . فقد سلبت منهم عمليا من خلال الاوامر وسياسات الحبوب المتعددة ، ومن خلال نظام تزويد اليابان بالحبوب ، جميع الغلال التى كانوا ينتجونها كل سنة، وفى نهاية فترة "امبراطورية منشوريا" استطاعوا فقط ان يحافظوا على انفسهم احياء بواسطة اكلهم "الدقيق المركب" الذى يتكون من قشرة الذرة وحثالة فول الصويا بعد استخراج الزيت منه ودقيق البالوط . وكانت الحبوب التى تؤخذ منهم تحفظ للاستخدام العسكرى او ترسل الى اليابان . وقد ارتفع المقدار الذى يرسل الى اليابان سنويا الى ٣ ملايين طن عام ١٩٤٤ ؛ وبلغ مجموع ما ارسل فى السنوات الست الاخيرة من فترة "امبراطورية منشوريا" الى اكثر من ١١٠٠٠٠٠٠٠ طن . ونتيجة للقوانين التى كانت تحكم الحبوب والاقمشة القطنية والمعادن وغير ذلك من السلع وجد الاهالى انفسهم يتحاون الى "مجرمين اقتصاديين" . فكان الناس العاديون مثلا ممنوعين من اكل الارز ، ويمكن ان يعاقبوا بوصفهم "مجرمين اقتصاديين" اذا اكتشفت بقايا ارز فى قبضتهم . وفى عام ١٩٤٤ - ١٩٤٥ وحده عوقب ٣١٧٠٠٠ مواطن بصفة "مجرمين اقتصاديين" .

وعلاوة على الحبوب ، فقد الفلاحون اراضيهم . فى الستين الاخيرتين

من فترة "امبراطورية منشوريا" انتقل ٣٩٠ الف مهاجر يابانى الى الشمال الشرقى ، فأخذت الحكومة العميلة لاستعباد اهالى الشمال الشرقى من الارض من اهالى الشمال الشرقى لتقديمها لهؤلاء المهاجرين .

وعندما اراد اليابانيون سلب الموارد الطبيعية من الشمال الشرقى وتحويلها الى قاعدتهم الاقتصادية ، استخدموا الحكومة العميلة لاستعباد اهالى الشمال الشرقى من خلال شتى الحيل الماكرة . وبعد ان صدر باسمى "قانون ضبط العمل" عام ١٩٣٨ كان يساق سنويا ٢٥٠٠٠٠٠ رجل ( باستثناء اولئك الذين جندوا جنوب السور العظيم ) للعمل بالسخرة . ومعظمهم عمالوا فى التعدين والبناء العسكرى ، وقد ماتوا بأعداد كبيرة بسبب الظروف المخيفة التى اشتغلوا فيها . وفى مشروع واحد هو "مشروع منع الفيضان" فى مدينة لياويانغ سنة ١٩٤٤ مات ١٧٠ عامل شاب من اصل ٢٠٠٠ عامل سيقوا للسخرة هناك .

وكان جميع الفلاحين والعمال العاديين والطلبة والشباب غير الصالحين للخدمة العسكرية مضطرين الى الاشتراك فى هذا العمل الاستعبادى الذى كان يدعى رسميا "العمل الطوعى" .

والذين عانوا اسوأ المعاناة هم نزلاء "الاصلاحيات" . ففي نهاية عهد "امبراطورية منشوريا" وصلت وحشية الحكم اليابانى الى حد الجنون . فأعلن "قانون تقويم الفكر" و"قانون الامن والتقويم" عام ١٩٤٣ فى محاولة لحل مسألة النقص فى اليد العاملة وكبح تزايد مقاومة الشعب ، واقامت معسكرات الاعتقال فى كافة انحاء الشمال الشرقى تحت اسم "الاصلاحيات" . وقد القى فى هذه الاصلاحيات حشود من الممليين بتهمة التشرد ، وكذلك من الساخطين بتهمة "الافكار السيئة" واجبروا على القيام بالاعمال الشاقة . وكانت السلطات احيانا توقف المارة وتصنفهم كـ "متشردين" دون ان تزج نفسها بمجرد سؤالهم ، ومن ثم تلقى بهم الى احدى "الاصلاحيات" التى

لا يخرجون منها بعد ذلك ابدا :

والتراء الذين ظلوا احياء بعد انهيار "امبراطورية منشوريا" يخبرون الحكومة الشعبية الآن بكل مرارة وحقد عما فعله الحكام العملاء بهم . لقد قبض على فلاح من مدينة خقانغ عام ١٩٤٤ واخذ الى المقر الرئيسى للشرطة بتهمة قيامه بنشاطات معادية لامبراطورية منشوريا واليابانيين . وكان معه هناك سبعة عشر شخصا آخرون وبعد ان ضربوا ضربا عنيفا اخذوا الى اصلاحية خقانغ واجبروا على العمل فى استخراج الفحم من مناجم دونغشان . وكانوا ملازمين بالعمل اثنتى عشرة ساعة يوميا ، لا يعطون خلالها الا كتلة صغيرة من الذرة الرفيعة فى كل وجبة ، ولا يعطون ملابس او افرشة ، وكانوا يضربون بمنتهى الوحشية . قال هذا الفلاح :

سمعت امى اننى فى الاصلاحية ، فجاءت الى المكان الذى كنت اعمل فيه لترانى عبر السلك الشائك . وعندما رآها الشرطة قبضوا عليها من شعرها وظلوا يركلونها الى ان تكومت على الارض ولم تقدر على النهوض . وبعد ذلك ضربونى بالمجارف حتى اثخنونى بالجروح وغبت عن الوعى سبعة ايام . وذات مرة ، احتجنا الى خضار نأكله مع وجباتنا فاشترى سجين يدعى سونغ كاي تونغ بعض البصل من احد المارة ببعض النقود منى . فرآه رئيس القسم الخائن وانغ ، فاستدعانا كليتنا ، واخذ منى خمس يوانات وامر بضربنى ضربا مبرحا بحيث نزفت دما من فمى وانفى . ثم امرنى بالدخول فى كيس ودفنى فيه بالضرب على رأسى عندما رفضت ، ولما اصبحت داخل الكيس رفعوا الكيس واسقطوه ثلاث مرات ، وفى المرة الثالثة فقدت الوعى . وكان الناس هناك يموتون يوميا ، وكل ثلاثة او اربعة ايام يتم اخراج سبع او ثمانى جثث . ومات تسعة من السبعة عشر رجلا الذين قبض عليهم معى . وقد اصبت انا بالسل ، وما زلت غير قادر على العمل . واصيبت امى بالجنون ، واضطر اشقائى الثلاثة ، واكبرهم لم يتجاوز الحادية عشرة من العمر ، الى التسول لسد رمقهم .



ان القمع الذى كان الشعب يتعرض له فى الشمال الشرقى على يد الجيش والشرطة والمحاكم والسجون فى " امبراطورية منشوريا " ينطوى على فظائع دموية لا يحصى عددها . ولقد شهد الفلاح هوانغ يونغ هونغ البالغ من العمر واحدا وستين عاما والذى القى القبض عليه لأنه بعث برسالة الى الجيش المتحالف ضد اليابانيين ، شهد جريمة مذبحه جماعية وصفها كالتالى :

فى اليوم السادس والعشرين من الشهر الثانى وفقا للتقويم القمري ( الصينى ) اخذت الشرطة العميلة اكثر من ثلاثين سجيننا منا ليذهبوا ويحفرها حفرة خارج بوابة تشاويوان الغربية . وعدنا الى السجن بعد حلول الظلام . وفى اليوم السابع والعشرين اخذت انا ووانغ يا مين وقاو شو سان وليو تشنغ فا فى مجموعة واحدة واخذ عشرون آخرون فى مجموعة اخرى الى خارج البوابة الغربية ، حيث اطلق الرصاص على مجموعة العشرين كلها . ثم جاءوا بدفعة اخرى من اثنين وعشرين رجلا ورموهم بالرصاص ايضا . وبعد رميهم صب رجال الشرطة البنزين على جثثهم واشعلوا فيها النار ، وكان احدهم حيا ، وعندما ادركته النار حاول ان يهرب ولكن الشرطة اطلقوا عليه النار وقتلوه . وعندما احترقت هذه الجثث طلبوا منا ان ندفنها . وما يزال القبر هناك خارج بوابة تشاويوان الغربية ، وبوسعى ان اجد المكان ثانية .

هذا الجحيم الارضى كان يدعى " الفردوس على الطريقة الملكية " الذى حكمت فيه بصفة " رئيس تنفيذى " ثم بصفة " الامبراطور كائغ ده " .  
وجميع هذه الاعمال الوحشية قد نفذت باسمى . فلا عجب فى ان تنتهى جميع شهادات ضحايا نظام " امبراطورية منشوريا " بالعبارة التالية :  
" اننى اطالب الحكومة الشعبية بأن تنتقم لنا . اننا نريد من اليابانيين والخونة الصينيين ان يدفعوا ما فى اعناقهم من دين الدم . "  
" انتقموا لعوائلنا التى قتلت . عاقبوا اليابانيين والخونة . "

” انك لا تستطيع ابدا ان تنجو من عواقب خطاياك “

كانت المشكلة اكثر خطورة من ذلك :

لقد اثارنا نحن مجرمى الحرب ” المانشويين “ الاعترافات والافشاءات التي ادلى بها مجرمو الحرب اليابانيون واتهامات ابناء الشعب فى الشمال الشرقى . وكانت ردة الفعل بين الشباب منا قوية ، ولقد كسفتنى ابناء اشقائى وزوجا شقيقتى ولى الكبير . ووجدت نفسى محاطا بالكراهية حتى داخل اسرتى . فقد كنت كأنى اقف ضمن دائرة من المرايا ، فأينما نظرت رأيت صورتى الكريهة .

بعد حضورنا اجتماع الدراسة الخاص بمجرمى الحرب اليابانيين جمعنا وطلب منا ان نتحدث عن ذلك . وكان بعضنا ما يزال شديد الاثارة بحيث اقسام ان يعترف بجرائمه ويبلغ عن جرائم الآخرين . وكان الهدف الرئيسى للاتهامات تشانغ هوان شيانغ ، وزير العدل العميل الذى ذهب الى ابعد الحدود فى كسب الحظوة لنفسه لدى اليابانيين واصبح الآن غير مرغوب فيه حتى فى السجن تماما لأنه يعتمد اتلاف الطعام ، ويخرق لوائح السجن ، ويصرخ فى وجه السجنين وما الى ذلك . وقد حذره بعضنا من انه اذا لم يتصرف على نحو لائق فى المستقبل فان الحكومة لا يمكن ان تصفح عنه . ونظرا الى اننى خشيت من ان اعامل بهذه الطريقة ، فقد كنت قلقا اخاف ان يظن الآخرون اننى لا اتصرف على النحو اللائق . ولما لم يكن مسموحا لنا فى ذلك الوقت ان نخبر بعضنا بعضا عن اى شىء من الاعترافات التى ادلينا بها والمعلومات التى قدمناها ، فقد خفت ألا يعرف الآخرون اننى قد اعترفت ، لذلك قررت ان اتكلم فى الاجتماع . وعندما اخبرتهم فى الاجتماع بكل شىء اعترفت به ووصلت الى نهاية حديثى ، وثب قو الصغير على قدميه وسألنى : — لقد قلت الكثير ، أليس كذلك ؟ ولكن لماذا لم تذكر تلك المذكرة ؟

فقيت كالأبكم لحظة من الوقت . ثم نهض شيو الصغير أيضا وقال :  
– المذكرة ، مذكرة روى الصغير . لقد قلت الآن انك سلمت تلك  
المجهرات بمبادرة منك . لماذا لم تقل ان روى الصغير قد حثك على  
ذلك ؟

فسارعت الى سد هذه الثغرة في قصتي قائلا :  
– اجل ، اجل ، كنت سأذكر ذلك . لقد كان روى الصغير هو  
الذى نورني ...

ولكن النظرات المحملقة الى من شيو الصغير وقو الصغير دلت بكل وضوح  
على انهما غير راضيين بهذا . ومن حسن الحظ ان الاجتماع كان قد انتهى  
حينذاك .

وعندما عدت الى ززائتي كتبت نقدا ذاتيا وسلمته الى مسؤول السجن .  
لقد ايقنت ان مدير السجن سيغضب مني ، واستأثت اشد الاستياء من روى  
الصغير لاجبار الآخرين بأمر المذكرة . كان قو الصغير وشيو الصغير ،  
عضوى اسرتى ، قاسيين حقا بتصرفهما هذا اذائى . انهما لم يكونا وفيين لى  
حتى مثل لى الكبير . وقد رأيت بعد وقت غير طويل التقارير التى كتبها عنى  
وايقنت عندها ان التغيير الذى حدث داخل اسرتى كان اكثر اخافة مما تخيلت .  
كان هناك نظام ينص على ان يقرأ كل سجين التقرير الذى يتضمن اتهامات  
ضده ، فأحضر لى المستنطق تشاو رزمة من التقارير عنى ، وقال : ” عندما  
تتهى من قراءتها وقع على التى توافق عليها . واذا كنت لا توافق ، فقدم  
اعتراضاتك . “

وكانت التقارير الاولى التى رأيتها موجهة من بعض الوزراء العملاء السابقين ،  
ربما انها كانت لا تشير الا الى وقائع معروفة ، وقعت عليها كلها . ولكن  
عندما بدأت أقرأ التقارير التى كتبها افراد اسرتى سرعان ما تعرفت راحة يدى .  
وتضمن تقرير زوج شقيقتى لاو وان ، مقطعا يقول :

في مساء ٩ اغسطس ١٩٤٥ ذهبت الى القصر لأرى بو يسي . فوجدته يكتب شيئا ، وتشانغ جينغ هوى وتاكيب ينظران خارج غرفته لمقابلته . واطلعتى بو يسي على ما كتب ، وكان المضمون العام هو ان على جميع قوات "امبراطورية منشوريا" المسلحة ان تقاتل الى جانب الجيش اليابانى الامبراطورى وتحطم العدو الغازى (الجيش الاحمر السوفياتى) . وقال انه سيسلم هذا الامر الى تشانغ جينغ هوى وتاكيب ، واراد ان يعرف ان كان لدى اى اقتراح اقوله . فقلت ليس هناك من بديل .

وكانت هذه كارثة ، اذ اننى وضعت اللوم فى ذلك على يوشيوكا . وكانت شهادة لى الكبير اكثر اربعا . فقد وصف رحيلى من تيانجين ، وذكر كيف اتفقت معه على التشبث بالقصة القديمة قبل ان اكتب سيرتى الذاتية . ولم يكن هذا كل ما فى الامر . فقد كشف سلوكى اليومى بقدر كبير من التفصيل ، مينا كيف تصرفت مع اليابانيين وكيف عاملت افراد اسرتى . ولو كانت هناك حالة او حالتان من هذا النوع لهان الامر ، ولكن هناك قائمة هائلة من الاتهامات .  
فقد كتب لائ وان مثلا :

عندما كانت تعرض افلام فى القصر كنا ملزمين بالوقوف اذا ظهر الامبراطور اليابانى على الشاشة ، وبالتصفيق للمجنود اليابانيين اذا شنوا هجوما . وذلك لأن الذين يشغلون الفيلم كانوا يابانيين . وكانت هناك حملة للاقتصاد فى الفحم عام ١٩٤٤ ، فأصدر بو يسي اوامر بالألا تشعل المواقد بعد ذلك فى جيشيلو (مبنى فى القصر) لارضاء يوشيوكا ، ولكنه استخدم فى غرفته موقدا كهربائيا دون علم يوشيوكا .  
وعندما هرب بو يسي الى داليتسيقو وضع الالهة اليابانية بصورة ام هيروهيتر فى عربته فى القطار ، وكان يقوم بانحناءة مقدارها تسعون درجة كلما مر بالصورة وأمرنا ان نفعل مثله .

وتضمن تقرير روى الصغير مقطعا حول الايتام الذين استخدمتهم غلمانا وكشف عن المعاملة السيئة التي عوملوا بها والعقوبة القاسية الجائرة التي كنت انزلها بهم في غالب الاحيان . كما بلغ عن موت الغلام الذى حاول النجاة .

وصيغة الاتهامات التي وجهها ضدى لى الكبير لم تترك شيئا خفيا من احقاده :

لقد كان هذا الشخص ، بوىسى ، قاسيا وخائفا من الموت ، ومتشككا للغاية ؛ وكان كذلك شديد المكر كثير النفاق . وكانت معاملته لخدمه لا انسانية : يشتمهم ويضربهم لأنفه سبب . واذا شعر بالتعب او الضجر فان على الخدم ان يتحملوا مغبة ذلك ، وكانوا محظوظين اذا ما تعرضوا فقط للصفع والركل . ولكن عندما يكون مع غرباء فانه يتصرف كأنما هو ألطف انسان على وجه الارض .

وكانت عاداته في تيانجين ان يأمر بضرب الناس بعضى خشبية او بكرابيح الخيل . وفي عهد ” امبراطورية منشوريا “ اضيفت اشكال جديدة اخرى من التعذيب . . .

وجعل كل واحد يتصرف كأنه شريكه . فكان اذا اراد ان يضرب شخصا ما ، فهو يشك في كل من يرفض ان يقوم بالضرب تنفيذا لأمره او لا يضرب بقسوة كافية بأنه متواطئ مع المذنب . واذا ما حدث ذلك فان الذى كان من المفروض ان يتولى الضرب يضرب هو الآخر وعلى نحو اقسى عدة اضعاف . وكان جميع ابناء اشقائه واتباعه يجلدون له الناس ما بين حين وآخر . وضرب احد الغلمان ، واسمه تشو بوه رن ( يتيم ) في الثانية عشرة او الثالثة عشرة من عمره ، ذات مرة بوحشية بالغة بحيث اصيب بجروح بطول قدم في فخذه ، استغرقت شهرين او ثلاثة اشهر الى ان التأمت تحت اشراف الطبيب هوانغ . وفيما كان هذا الصبى يتحسن طلب منى بوىسى ان آخذ له لبنا واشياء اخرى واقول له : ” ما الطف صاحب الجلالة معك ! هل كنت تحصل على اشياء طيبة كهذه وانت في الميتم ؟ “

ولدى قراءتى هذا الاتهام الاخير بدأت اشك فى التبرير الذاتى الذى كنت الجأ اليه فى الماضى . لقد ظننت فى السابق ان كل شىء فعلته قد تم تبريره . فأنا لم اكن ازيد عن خضوعى لضغط اليابانيين فنفذت اوامره ، لأننى كنت مجبرا على ذلك ؛ اما معاملتى لأهل بيتى ، وتعذيبهم ، فكنت دائما ما ابدو فيه محقا . اما ان اتذلل للقوى واتنمر على الضعيف فهذا كان امرا طبيعيا ومعقولا بالنسبة لى ، وقد تخيلات ان كل واحد فى موضعى سيتصرف نفس الشىء . ولكننى الآن ادركت ان هذا ليس هو الوضع الطبيعى للناس ، وان تبريرى الذاتى باطل تماما .

ليس هناك ، برغم كل شىء ، اضعف من السجناء الذين يجردون من جميع حقوقهم ، ولكن الشيوعيين الذين اخذوا بزمام السطة لم يضربوهم او يشتموهم ، كما انهم لم يعتبروهم اقل شأنًا من البشر . اما القوة ، فان الجيوش الامريكىة بمعاداتها من الدرجة الاولى يمكن اعتبارها " قوية " ، ولكن القوات الشيوعية لم تخف منها على الرغم من رداة معاداتها ، بل تجرأت على مقاتلتها مدة ثلاث سنوات الى ان اجبرتها على توقيع هدنة .

ولقد رأيت مؤخرًا المزيد من الامثلة الجديدة . فمن الاتهامات الجماهيرية علمت ان كثيرا من ابناء الشعب العاديين لم يتبعوا عقيدتى ازاء العنف والاضطهاد . فكان هناك فلاح من محافظة بايان يدعى لى ديان قوى عانى من اضطهاد اليابانيين والخونة الصينيين كل المعاناة . وقد عاق آماله فى الخلاص على الجيش المتحالف ضد اليابانيين . ففى عيد رأس السنة الصينية عام ١٩٤١ ارسل الى المقاتلين المعادين لليابانيين دو واحد (١٥) من .الدخن ٤٧ كعكة مفتولة مقلية و ١٢٠ بيضة وعلبتين من السجائر . وفيما بعد اكتشفت الشرطة العميلة ذلك فألقت عليه القبض . فعاق وجلد ، ثم اعطى صدمات كهربائية . ووضعت بجانبه الجثث النازفة ، جثث الذين ماتوا تحت التعذيب ، لاختافته ، وكان ذلك لاجباره على كشف بعض الاسرار الهامة المتعلقة بالقوات المعادية

اليابانيين : واستمر تعذيبه الى ان حرر بعد استسلام اليابانيين .  
وفي عام ١٩٤٣ ، اخذ لي ينغ هوا من قرية جينشان ، وكان ما يزال طفلا ، بعض البيض الى المقاتلين ضد اليابان ، وعندما اكتشف جواسيس الشرطة ذلك اخذ الى المقر الرئيسي للشرطة . وفي البداية قدموا له الشاي والسجائر ودعوه لأكل جياو تسي قائلين : ” انك مجرد طفل ولا تدرك الامور ، لذلك اذا تكلمت فاننا سنتركك تذهب . “ ودخن لي ينغ هوا السجائر ، وشرب الشاي ، واكل جياو تسي . وفي النهاية قال : ” انني مجرد مزارع ولا اعرف شيئا . “ فعلقه العملاء رأسا على عقب وضربوه ، واعطوه صدمات كهربائية ، واحدثوا في جسمه حروقا ، وعروه من ثيابه ليضربوه بهراوات شائكة ، ولكنهم لم ينتزعوا منه اية معلومات .

لقد عرفت الآن انه ليس جميع الناس على هذه الارض ضعفاء . وكان التفسير الوحيد لتصرفاتي في الماضي هو أنني تنمرت على الضعيف ونخفت من القوي ، وانني خفت من الموت وطمعت في الحياة . وتسويغي الاساسي هو ان حياتي كانت في نظري اكثر من غيرها قيمة وانني كنت جديرا بأن اصان اكثر من اى شخص آخر . لقد تعلمت في السنوات القليلة الماضية شيئا من قيمى الحقيقية من محاولاتي غسل ملابسى وصنع الصناديق ، واصبح لدى الآن عن ذلك فكرة اكثر وضوحا من خلال اتهامات ابناء الشعب العاديين وافراد اسرتى ضدى .

وفي المرايا التى تحيطنى رأيت اننى رجل مذنب ، ومفتقر الى كل صفة من الصفات الحميدة ، وليس هناك اى تسويغ ممكن لسلكى .  
وهكذا وقعت على الاتهام الاخير ضدى ، وانطلقت فى الممشى وذهنى مفعم بالندم والاسى .

” انك لا تستطيع ابدا ان تنجو من عواقب خطاياك . “

الفصل التاسع

اقبل اعادة تكوين نفسى



## كيف اصبح انسانا ؟

” لقد بدأت سنة جديدة . فما برنامجك بخصوصها ؟ “ هذا كان السؤال الذى سألنى اياه مدير السجن فى عيد رأس السنة عام ١٩٥٥ . فقلت انه ليس امامى الا ان انتظر عقوبتى . فهز المدير رأسه وقال معترضا بشدة :

— لماذا انت متشائم جدا ؟ يجب ان تقف موقفا ايجابيا من اعادة بناء نفسك وتسعى جاهدا الى ان تصنع من نفسك انسانا جديدا . فهدأتنى هذه الكلمات ولو انها لم تستأصل تشاؤمى . وشعرت بأبنى واقع فى هاوية الاحتقار الذاتى الذى لعب الآن دورا اكبر فى تفكيرى من المخاوف التى كانت مسيطرة على بخصوص ادانتى .

وبينما كنا ذات يوم فى باحة السجن خلال فترة الاستجمام جاء مراسل صحفى ، معه آلة تصوير ليلتقط لنا صورة . ونظرا الى ان فترة الاتهام والاعتراف بذنوبنا قد انتهت ، فقد سمح لنا بأن نقضى فترة استجمامنا فى الفناء سويا ، واهضت الى الفترة نصف ساعة اخرى . كان الفناء يعج بالنشاط ، بعض الناس يلعب بالكرة الطائرة وكرة الطاولة وبعضهم يتحدثون وبعضهم يغنون . . . . وبعد ان صور المراسل كل هذه المشاهد جاء فى النهاية ليأخذ صورة لى . وكان يقف الى جانبى موظف سابق فى ” امبراطورية منشوريا “ يتفرج على اللعب ، فلاحظ ما سيفعله المراسل ، فابتعد عنى مسرعا وهو يقول : ” لن اتصور معه . “ وعلى الفور ابتعد عنى جميع الذين كانوا يقفون قريبا منى .

وخلال شهر مارس - آذار - جاءت مجموعة من قواد جيش التحرير لتفتيش السجون الخاصة بمجرى الحرب التي كانت تابعة لموقع شنباغ العسكري فاستدعاني مدير السجن انا وبو جيه لنذهب ونراهم . وعندما رأيت القاعة تغص بالكثفيات الذهبية ظننت لأول وهلة ان هذه لا بد ان تكون محكمة عسكرية ، ولكنني اكتشفت بعد ذلك ان الجزرالات يريدون ان يعرفوا دراستي . وكانوا ودودين جدا معي ، واطهروا اهتماما كبيرا في ما قلته ، وسألوني عن طفولتي وعن حياتي ايام "امبراطورية منشوريا" . واخيرا قال قائد ملتحي منهم : " ادرس جيدا واعد بناء نفسك . ستكون في المستقبل قادرا على رؤية بناء الاشتراكية بأمر عينيك . " ولدى عودتي الى ززانتي ظننت انه يجب ان يكون برتبة مشير ، فقال بو جيه انه لم يكن المشير الوحيد بينهم . فتأثرت تأثرا عميقا . ان الشيوعيين ، الذين لم اتوقع ان يظهروا لي ادنى تسامح ، قد عاملوني بالفعل على انني انسان ، سواء كانوا مشيرين او سجانين . ولكن زملائي المساجين لم يكونوا على استعداد حتى للوقوف الى جانبي ، كأنما انا شيء اقل من انسان .

وبعد ان عدت الى ززانتي اخبرت زملائي فيها بما قاله المشير . فقال لـ لاو يوان ، السفير السابق لـ "امبراطورية منشوريا" لدى اليابان واسرع رجل ادراكا في ززانتنا : " اهنتك يا لاو بو . اذا قال المشير انك ستكون قادرا على رؤية البناء الاشتراكي ، فهذا يعني انك في امان . "

وبعث هذا سرورا غامرا لدى الآخرين جميعا . اذا كان الخائن رقم ١ في امان ، فمن المؤكد انهم سيكونون على ما يرام .

بعد انتهاء فترة الاتهام والاعتراف بالذنوب اصبح الكثير منا يركزون اهتمامهم على المستقبل . فلاوشيان مثلا لم يبتسم ابتسامة واحدة منذ بداية هذه الفترة ، اما الآن فقد تهلل وجهه بابتسامة عريضة وربت على كتفي بحرارة وقال : " اهنتك يا لاو بو ، اهنتك . "

ورفع الآن الحظر عن التكلم مع بعضنا خلال فترة الاستراحة ، ولم تعد ززاناتنا تقفل خلال النهار . وصادف ان جاء شخص الى ززانتنا في تلك اللحظة ، فانتشرت على الفور الاخبار المفرحة في كافة انحاء السجن . وفكرت في ابناء اشقائي ولى الكبير الذين تجاهلوني منذ بدء فترة الاتهام والاعتراف بالذنوب ؛ وايقنت ان هذه الانباء ستجعلهم يبتهجون ، فتعلت بذلك لكي اذهب واتحدث معهم . ورأيت قو الصغير وشيو الصغير بجانب شجرة في ركن من الباحة . ولكن قبل ان اصلهما غادرا المكان .

وفي ابريل - نيسان - طلبت سلطات السجن منا ان ننتخب لجنة دراسة كما فعل مجرمو الحرب اليابانيون . وقد مكنتنا هذه اللجنة التي كانت خاضعة لاشرف السلطات من تنظيم دراستنا وحياتنا اليومية ؛ وكانت مسؤولة عن نقل اية مشكلة نثيرها الى مسؤولي السجن ، وعن كتابة تقارير باجتماعات النقاش والتقد . وكان بوسعها كذلك ان تبادر الى تقديم بعض الاقتراحات . وكانت تتألف من خمسة اعضاء انتخبوا انتخابا ووافقت عليهم سلطات السجن ؛ وفيهم رئيس ، واربعه اعضاء آخرين يتولى كل واحد منهم مسئولية احد النشاطات الاربعة : الدراسة والحياة اليومية والرياضة والاستجمام . وكان مسؤول الدراسة ومسؤول الحياة اليومية في كل ززانة ملزمين بتقديم التقرير الى العضو المعنى في اللجنة كل يوم . وحرك هذا الابتكار السجناء ، واعتبرناه دليلا على ثقة السلطات باعادة بناء انفسنا . وادرك بعض منا ادراكا اوضح من ذي قبل ان اعادة بناء النفس تتوقف علينا . وبرهنت الحقائق فيما بعد على ان هذه اللجنة قدمت الكثير من المساعدات في اعادة بناء انفسنا . ولكن مشاعري ازاء ذلك في البداية لم تكن كمشاعر الآخرين تماما . وهذا بسبب ان اثنين من الاعضاء الخمسة كانا من اقربائى الذين وجهوا ضدى اشد الاتهامات خطورة . احدهما لاو وان ، الرئيس ، والثاني روى الصغير ، العضو المسؤول عن الحياة اليومية .

وبعد ان انشئت هذه اللجنة بوقت غير طويل قررت ان نقيم ملعبا .  
كنا فى السابق نستخدم ملعبا بناه مجرمو الحرب اليابانيون ، اما الآن فسنقوم  
بتسوية قطعة من الارض لأنفسنا . وكان روى الصغير مسؤولا عن هذه  
المهمة ، فوبخنى امام الجميع عندما كنا على وشك ان نبدأ العمل فى يومنا  
الاول . لقد تأخرت عن الطابور لأمر تافه ، وفيما رحلت اجرى الى مكانى  
بين الصفوف وازرر ملابسى بسرعة سمعت اسمى ينادى . فأجبت مسرعا  
الى نهاية الصف :

- حاضر ، حاضر .

فصاح روى الصغير والتجهم باد على وجهه :

- انك تتأخر فى كل مرة نجتمع بها ، فتجعل البقية ينتظرونك . انك  
لا تملك ادنى اعتبار للآخرين . انظر الى نفسك ، ما اشد الاهمال فى مظهرك !  
ألا تستطيع حتى ان تزرر سترتك جيدا ؟  
وطأطأت رأسى فأريت ازرارى كلها فى غير عراها المناسبة . وحذقت  
فى الحاضرين وانا اتمس ازرارى فى عجز .

وخشيت الآن من انهم حفظوا تسجيلات اجتماعات النقء الاسبوعية ،  
فأضافوا اليها تفسيرات غير مؤاتية لتصرفاتى . وكانت اجتماعات النقء الاسبوعية  
فى مجموعتنا مختلفة عن ذى قبل ، حيث كنا نتصايح او نتبادل مجرد  
ملاحظات مؤدبة . اما الآن فاننا تحدثنا بمزيد من الوعى والمجدية . وهذا يرجع  
من جهة الى ان بعضنا قد تخلص من اعبائه الايدىولوجية او تعام شيئا حول  
اعادة بناء النفس ، وبذلك اتخذ المزيد من المواقف الايجابية ، ومن جهة  
اخرى الى ان الخطابات التى ليست لها علاقة بالموضوع والتى تعودنا ان  
نلقياها لم تعد تأخذ بها لجنة الدراسة . واحد الاسباب التى جعلتنى اشعر  
ان اجتماعات النقء الاسبوعية قد تغيرت هو انه عندما كان اناس آخرون  
بتكلمون عنى فانهم لم يعودوا يفعلون ذلك بتحفظ ، وسبب آخر اكثر اهمية

هو ان بين الاعضاء الجدد الذين انتقلوا الى مجموعتنا كان لى الكبير الذى خبرنى جيدا واصبح مسؤولا عن حياتنا اليومية . فعندما كان الآخرون يتكلمون عن نواقصى يبادر هو بتقديماته وتحاليه لمتابعة جذر المشكلة واصابنى فى المكان المرجح . وبإضافة توضيحات روى الصغير ولاو وان الى هذا كله ، كنت لا اكاد ابدو انسانا .

وكننت فى الماضى اذا احالنتنى صدمة خارجية الى اقصى بأسى التى اللوم احيانا على نفسى واعتبر ذلك عقوبة لى على تصرفاتى ، ولكن كنت اشعر فى احيان اخرى بالسخط على مصيرى وعلى الآخري لجعلهم الامور امامى صعبة عن عمد . وفى البداية اعتدت ايضا ان اغضب من الحزب الشيوعى والحكومة الشعبية وسلطات السجن . اما الآن فليس عندى ما يسوغ تدمرى ازاء هذه السلطات الثلاث ، وشعرت شعورا اقوى بأن كثيرا من الاشياء كانت خطأ منى ، ولكننى كنت ما زلت اميل الى لوم الآخريين على مشكلاتى . وعندما قرأت التقارير التى كتبت عنى ، ادركت ان جميع الاشياء التى اردت ان ابقيا سرا قد اصبحت الآن مكشوفة ، لذلك ظننت انه ما دامت الحكومة قد عرفت كل شىء فان من الطبيعى اما ان ينتقموا منى او يتخاوا على الاقل عن آمالهم فى إعادة بناء نفسى . ولكن المستنطقين ومدير السجن والمشير قالوا جميعا اننى يجب ان ادرس ، واعيد بناء نفسى ، واصبح انسانا جديدا . وجميع موظفى السجن شاركوا فى هذا الرأى ، وقد اظهروا ذلك بوسائل عملية كثيرة .

وبعد ان بنينا الملعب قررت لجنة الدراسة ان نجعل فناء السجن اجمل ، استعدادا لعيد العمال ، وذلك عن طريق غرس الازهار والاشجار وازالة الاعشاب الضارة وتسوية الارض . وانطلقنا جميعنا فى العمل متحمسين . واخذت فى البداية اساعد فى ردم حفرة كبيرة ، ولكن السجنان جيانغ قال ان هناك تخوفا من ان اقع فى الحفرة بسبب ضعف نظرى ، لذلك حولت الى

ازالة الاعشاب الضارة في حوض ازهار . وبعد ان مضت على فترة من العمل هناك  
جاءني لاد تشنغ المنغولى ، واختطف من يدي النباتات التي كنت قد  
اجتثتها وصاح :

— ما هذه التي تقتلعها ؟ ها ؟

— لقد طلب منى اقتلاع الاعشاب ، أليس كذلك ؟

— وهل تسمى هذه عشبة ؟ ألا نرى ان جميع ما اقتلعتة شتلات

ازهار ؟

وتحولت مرة ثانية الى مثار اهتمام حيث كنت اقرض هناك ، لا  
اجرؤ على رفع رأسى . وتمنيت لو تختفى جميع الازهار والاعشاب ،  
وتابع لاد تشنغ يصيح ممسكا النباتات في يده :

— انك حقا منبوذ .

فجاء السجان جيانغ واخذ النباتات من لاد تشنغ ، ونظر اليها ، ثم  
رماها على الارض قائلا :

— ما فائدة مهاجمته على هذا النحو ؟ يجب ان تساعدته بتعليمك اياه  
كيف يزيل الاعشاب على نحو ملائم بحيث لا يخطئ بذلك فى المرة  
القادمة .

فأجاب لاد تشنغ :

— لم اتخيل قط انه ما يزال هناك اناس لا يعرفون الفرق بين الازهار  
والاعشاب .

— وانا لم اتخيل ذلك مطلقا ، ولكن ما دمنا الآن قد عرفنا خلاف ذلك  
فعلينا ان نتوصل الى كيفية مساعدته .

كانت جملة ” لم اتخيل قط “ دائما ما تقترن فى ذهنى سابقا بملاحظات  
مرعجة مثل ” لم اتخيل قط ان بو يى بهذا الغباء — هو ميثوس منه “ ، او  
” لم اتخيل قط ان بو يى بهذا النفاق او التردى — انكم لا تستطيعون اعادة

بنائه“ ، او ” لم اتخيل قط ان بو يبي موضع كراهية هذا العدد الكبير من الناس — انه لا يمكن ان ينقذ“ . اما الآن فقد اصبحت جملة ” لم اتخيل قط“ تتبع حقا ب ” ولكن بما اننا عرفنا الآن فعالينا ان نتوصل الى كيفية مساعدته“ .

وذات يوم كسرت نظارتى مرة اخرى . وبعد شىء من التردد اضطررت الى طلب المساعدة من لى الكبير ثانية ، فقلت له بصوت خافت :  
— ارجوك ساعدنى . لقد حاولت ان اصلحها بنفسى عدة مرات ، ولكننى لم استطع . ولا احد آخر يمكن ان يصلحها ، لذلك دل يمكنك ان تصلحها لى ؟

فأجابنى محملا :

— ما تزال تريدنى ان اخدمك . أ ما كفتك تلك الخدمة الطويلة ؟  
وانتقل الى مكان آخر من الطاولة غاضبا . ووقفت مكانى يائسا ، اتمنى لو استطيع ان ادق رأسى فى الجدار . وبعد اقل من دقيقتين عاد لى الكبير واخذ النظارة منى وهو يشخر فى غضب :

— حسنا ، سأصلحها لك . ولكن دعنى اقل لك اننى لا افعل هذا الا لمساعدتك على اصلاح نفسك ، والا فليس عندى وقت .

وعندما حان موعد الاستراحة ذهبت الى قاعة المطالعة الجديدة لأريح نفسى ، فقابلت هناك بو جيه . فأخبرته بما فى ذهنى ، وذكرت له اننى امضى احيانا بعض الليالى دون نوم بسبب عداوة افراد اسرتى لى . فسألنى عن السبب فى عدم اخبار سلطات السجن بذلك . فسألته :

— لماذا ؟ لقد عانوا منى الكثير فى الايام الماضية ، فبدهى ان يكرهونى . فأجاب بو جيه بأنه سمع مسؤولى السجن يطلبون منهم ان ينسوا الضخائن الماضية ويساعدونى . وعندها فقط ادركت لماذا كتبت لى الكبير غيظه وعاد من الجانب الآخر للطاولة .

وكانت المساعدة التي تلقيتها على نوعين . احدهما عملي ، مثل اصلاح  
لى الكبير نظارتى ومساعدة الآخرين لى على خياطة لحافى وفرشتى بعد غسلهما ،  
فمن دون هذه المساعدة كنت امضى يوما كاملا فى هذا العمل معيقا بذلك  
النشاطات الجماعية . والنوع الثانى من المساعدة كان شفويا ، وهذا هو  
القسم الذى اضع فيه الانتقادات التى يوجهها لى الآخرون . كان مسؤولو  
السجن غالبا ما يقولون انه يجب ان نساعد بعضنا من خلال النقد والنقد الذاتى  
وتبادل الآراء . لكنى لم اقدم للآخرين الا التزر اليسير من هذه المساعدة ،  
ولم اكن مطلقا راغبا فى قبولها منهم ايضا . لذلك ومع ان لى الكبير اخبرنى  
بأن هدفه من اصلاح نظارتى هو مساعدتى على اعادة بناء نفسى ، ومع ان  
مدير السجن اخبرنى بأن النقد هو احد الطرق التى تساعدنا على اصلاح تفكيرنا ،  
الا اننى ما ازال غير قادر على رؤية اية علاقة بين اى من هذه المساعدات  
وبين اصلاح تفكيرى واعادة بناء نفسى . لقد رأيت ان المساعدة العملية التى  
يقدمها لى الآخرون لا تثبت الا عدم كفاءتى واحتقارهم اياى ؛ واعتبرت النقد  
ليس اكثر من طريقة لاعادة فتح جراحى واثارة اوجاعى وكنت افضل عدم  
المساعدة اطلاقا .

كلما تحدث موظفو الحكومة عن التحول الى انسان جديد ربطوا ذلك  
باصلاح المرء لفكره وتغييره لوجهة نظره . ولكن ما اقلقنى هو مسألة الكرامة .  
كنت اتساءل كيف سيعاملنى المجتمع واسرتى ، وهل سأكون منبوذا .  
وحتى اذا تعين ان يسمح لى الحزب الشيوعى والحكومة الشعبية بالعيش ،  
فقد لا يتسامح معى المجتمع ، وحتى اذا لم اضرب فاننى اخشى ان يشتمنى  
الناس ويصقوا على .

وكلما تحدثت سلطات السجن عن اصلاح الفكر اشارت الى ان تصرفات  
المرء يجب ان تكون مدعومة دائما بايديولوجيا ، لذلك كان من الضرورى  
تحليل الجذور الايديولوجية لجرائم المرء من اجل منعه من ارتكابها ثانية .



وكنت من جهة اخرى مقتنعا بأننى لن اكرر ابدا ما قد فعلت فى الماضى .  
اذا كان شعب الصين الجديدة مستعدا لمسامحتى فبوسعى ان اتعهد بذلك .  
فما الحاجة اذن الى معالجة تفكيرى ؟

ورأيت ان المفتاح لتحويلى الى انسان جديد لا يكمن فى نفسى بل فى  
الطريقة التى يعاملنى بها الآخرون . لقد قال مدير السجن اننا اذا اصلاحتنا  
انفسنا جيدا ، فان الشعب سيعاملنا باللين ، ولكنه ان يتسامح معنا عندما  
نرفض اعادة بناء انفسنا . وهذا فى الواقع يعتمد على . وبدأت افهم هذا  
لمجرد ان شيئا صغيرا حدث لى بعد كروب طوال .

### ذلك يعتمد على

كنت ذات احد اغسل ملابسى كالمعتاد . وعندما انتهيت من غسلها  
حان موعد الاستجمام ، وشعرت برغبة فى ان اذهب الى غرفة المطالعة لأقرأ  
وحدى . وما كدت اجلس حتى سمعت اصوات متحدثين فى الخارج :  
- ألا يستطيع اى منكم ان يلعب التنس ؟  
- انا لا استطيع ، ولكن بو يى يستطيع . يجب ان تسأله .  
- حتى اذا استطاع فلن يكون لديه وقت مطلقا للعب التنس . فالسمااء  
وحدها تعرف متى سينتهى من غسل ملابسيه .  
- انه الآن اسرع بكثير مما مضى .  
- لا اصدق ذلك .

فأعظمتى هذا اغاظة شديدة . لقد انتهيت غسل ملابسى دون شك ،  
واننى قمت بالكثير من الاعمال كالأخرين ، ولكن ما يزال هناك اناس لا  
يصدقون ، كأنما انا عاجز فى طبعى عن احراز اى تقدم . واحضرت مضربى  
وخرجت الى الفناء غير متحمس للعب بقدر تحمسى الى ان يرانى الآخرون  
وقد انتهيت من غسلى . وعندما وصلت الباحة كان اللذان سمعتهما يتحدثان

قبل لحظة قد غادرا فلعبت مع آخرين ممن ارادوا اللعب . وتجمع بعض المتفرجين لمشاهدة اللعبة ، ولعبت بحيوية كبيرة ، وتصيبت عرقا . وعندما ذهبت الى الحنفية لأغسل يدي لقيت مدير السجن الذى كان يمضى آحاده غالبا فى السجن .

– لقد احزرت تقدما هذا اليوم يا بوى .

فسررت لسماعى هذا الكلام وقالت :

– لم العب منذ وقت طويل .

فقال مشيرا الى غسيلي المنشور على الحبل :

– اننى احداثك عن ذلك . فما دمت تستطيع ان تنتهى غسيلك بنفس السرعة التى ينتهى بها البقية من غسيلهم ، فان بوسعك ان تتمتع بنفس القدر من الراحة والاستجمام كما هم يفعلون .

فهزرت رأسى ورحت اطوف معه حول الباحة .

– فى الايام الماضية كنت مشغولا جدا عن التمتع بالراحة والاستجمام كأى شخص آخر ، لذلك لم تكن متساويا معهم واستأنت . اما الآن وقد اصبحتم متساوين ، فانك تكون مرتاحا عندما يحين موعد الغسيل . انظر اذن ، لقد امسكت بمفتاح المشكلة بنفسك . لذلك لا داعى للقلق بخصوص كيفية معاملة الآخرين لك .

وبعد لحظة مضى يقول :

– لقد حولتك الحرب العالمية الثانية من امبراطور الى سجين . وفى الوقت الحاضر ، هناك معركة كبيرة تدور رحاها داخل عقلك ، معركة اتحويل امبراطور الى عامل عادى . لقد ادركت شيئا من ماهية الامبراطور ، ولكن هذه المعركة لم تنته بعد ، وانك ما تزال لا ترى فى نفسك انك مساو للآخرين . ولكن يجب ان تفهم نفسك على نحو افضل .

وفكرت فيما قاله وقتا طويلا . وبينما وافقت اننى امسكت مفتاح

المشكلة بنفسى ، لم استطع ان ارى اننى ما ازال اظهر كبرياء الامبراطور .  
ولكن مع مرور الوقت اخذت الحياة تعلمنى تدريجيا ان هذا صحيح .  
وعندما عادت مجموعتنا الى الزنزانة ذات يوم بعد ان قمنا بازالة الفضلات ،  
تقدنا عضو لجنة الدراسة الذى كان مسؤولا عن الحياة اليومية فقال :

— انكم لم تغسلوا الحنفية بعد ان غسلتم الايدي ، والماء ما يزال يجرى .  
هذا تصرف لا مسؤول ، ويجب ان اطلب منكم ألا تغسلوا هذا ثانية .  
وسألنى لى الكبير على الفور ان كنت انا آخر من غسل وعندما اعترفت  
اننى ربما نسيت ان اقفل الحنفية ، قال ان هذا مثال للطريقة التى كنت اتصرف  
بها وانا امبراطور ، ولكننى ظلت اتصرف على هذا النحو . واستطرد قائلا :  
— فى تلك الايام لم تكن تلمس حتى مقبض الباب حيث كان هناك  
دائما اناس آخرون يفتحون لك الابواب ويغلقونها . وانك حتى الآن تفتح  
الابواب ولا تغلقها خلفك مطلقا . انك لم تتوقف بعد عن التصرف كأمبراطور .  
وقال لـ او يوان :

— لقد تذكرت الآن ، انك غالبا ما تغطى مقبض الباب بصحيفة عندما  
تفتحه . لماذا تفعل ذلك ؟

وابتدرنى لى الكبير بالقول :

— ذلك لأنك تخشى ان يكون المقبض قذرا ، أليس كذلك ؟  
فأجبت قائلا :

— كل واحد يلمسه ، فطبعى ان يكون قذرا .  
واثار هذا حملة مفاجئة من الهجومات على :  
— لماذا تكون الوحيد الذى يهتم بذلك ؟  
— ماذا تكره ، قدارة الباب ام قدارة الناس ؟  
— ألا يدل هذا على انك تظن نفسك فوق الآخرين ؟ انك تظن اننا  
جميعا ادنى منك منزلة ، أليس كذلك ؟

حاولت جهدى فى تبرير نفسى بأننى لا احمل شعورا مثل هذا ولكنى لم استطع طرد شكوكى : هل فعلت ذلك حقا ؟ هل حملت حقا مثل هذه الافكار ؟ وفيما بعد اشار لى احدثهم بأننى كنت دائما عند الاستحمام اول من يدخل الى الحمام واخرج منه دائما عندما يدخل الآخرون ؛ وذكرنى سجين آخر بأننى كنت دائما آخذ الطاس الاول من جياو تسي فى الاتحاد السوفياتى . ويجب ان اعترف بنفسى ان لى الكبير كان مصيبا عندما قال اننى لم اتخلص بعد من كل كبريائى الامبراطورى .

وعندما استعيد الماضى ارى ان لى الكبير كان معلما لى ، وان كان صارما . انه ، مهما كانت دوافعه ، حرص دائما على ان يجعلنى ارى الاشياء التى لم اكن انتبه اليها بنفسى . وفى النهاية ادركت اننى انا الذى يجب ان الوم نفسى على معظم ما يعترضنى من متاعب .

وذات مرة افقدت مجموعتى عددا من النقاط فى التفتيش الصحى ، وذلك لأننى اطحخت الارضية وانا انظف اسناني ، واكتفيت بمسح البقع عن الارض بقدمى بدلا من تنظيفها جيدا . فجاءنى لى الكبير بخزقة مسح وسألنى لماذا لم استخدمها .

— لم يخطر ذلك ببالي .

فغضب من جوابى هذا ، متهما اباى بمجرد التفكير فى نفسى :

— انك لا تستطيع ان تفكر الا فى حقوقك ، وليس فيما عابك من

واجبات .

وكان على وشك التنظيف بنفسه ، ولكنه قذف الممسحة على الارضية

وطلب منى ان امسح البقع بنفسى ففعلت ذلك طائعا .

منذ الوقت الذى اكتشف فيه ان الامريكان يستخدمون القنابل الجرثومية

فى كوريا والشمال الشرقى ، ومنذ بدأت الحركة الصحية على نطاق الوطن

التى تلت ذلك ، صارت تنظم حملات فى السجن فى مواعيد محددة كل

سنة لآبادة الحشرات . وبين جميع ذكرياتي عن هذه الحملات برزت الآن مسألة ضرب الذباب .

لقد جلب لى الكبير ذات يوم بعض المذبذبات الجديدة ولكنها لم تكن كافية ، وكان الآخرون جميعا يطلبونها ، فلم ابدل جهدا للحصول على واحدة ، ولكن لى الكبير سلم اول مذبة لى . وكانت هذه اول مرة جربت فيها ضرب الذباب ، فشعرت بالانزعاج ، اقول الحق ، لأننى لم اقتل فى حياتى اية ذبابة من قبل .

ولم يكن فى السجن ذباب كثير ، فحسب مقياس ” العاصمة الجديدة ” لـ ” امبراطورية منشوريا ” كان قد انقرض هناك تقريبا . ورحت افتش عن الذباب ، واخيرا وجدت واحدة تحط على حافة نافذة مفتوحة ، فلوحت بالمذبة لأطردھا . فصاح لى الكبير من ورائى :

— ماذا تفعل ؟ انت تقتل الحشرات ام تنقذ حياتھا ؟  
وبدت هذه كأنما هى دعاية للآخريين ، ولكننى عرفت ما كان يرمى اليه . فاحمر وجهى خجلا ، وقلت مكرھا :

— طبعا لا انقذ حياتھا .

وفى الوقت نفسه تساءلت لماذا تركت الذبابة تطير :

— انت لا تقتل الذباب خشية العقاب ، أليس كذلك ؟  
وشعرت بالذنب فيما راح يحدق الى ، ولكننى صمدت بقوة ، وقلت :

— عما تتحدث ؟ الذبابة طارت ، هذا كل ما فى الامر .  
— فكر فى ذلك جيدا .

وفى اجتماع البنقد فى ذلك المساء لم يذكر احد فى البداية هذا الامر ، ولكن بعد ذلك اخبر لى الكبير كل واحد كيف منعت قتل الذباب فى تشانغتشون بل وجهت الناس الى انقاذ القار من فكى القطعة . فانفجر الجميع بالضحك ، ثم تقدمونى على خرافاتى . وفى الوقت الذى اضطررت الى الاعتراف

في نفسى بأنهم مصيبين سمعت نفسى اقول :  
— اننى لست خرافيا . أ لم اقتل ذبابا في السنة الماضية ؟  
فلم يتمالك لاو يوان نفسه عن القهقهة ، وقال :  
— اتذكر — شكرا على تذكيرك اياى . لقد سلمت مذبتك لشخص  
آخر ، وطردت جميع الذباب بصحيفة كى تدعه ينجو .  
ووسط جلجلات الضحك الساخر الذى تلا ذلك ، كان لى الكبير هو  
الوحيد الذى ظل وجهه متجهما :

— لا ادرى ما معنى ان يقوم الآخرون بـ ” انقاذ الحياة “ ، ولكن  
في حالتك انت فأنا متأكد من انها اثنائية كاملة . انك تفعل هذا لتحصل  
على بركة بوذا . انه ليس مهما اذا قتل الآخرون جميعا ما دام هذا يؤمن لك  
بقاعك حيا . انك تظن نفسك اعلى شخص على وجه الارض .

فاعترضت قائلا :

— هذه مبالغة .

فتدخل لاو يوان قائلا :

— ان بو يى يحقر نفسه احيانا .

فأضفت قائلا :

— نعم ، اننى لا اعتبر نفسى مطلقا اعلى من اى شخص آخر .

فقال لى الكبير :

— ربما تحقر نفسك احيانا ، ولكنك ما زلت تعتبر نفسك احيانا  
اخرى اعلى واهم من اى شخص آخر . اننى لا اعرف كيف تتصرف  
هكذا .

وفيما بعد اخذت ادرك تدريجيا ، فبعد اربعين سنة من العيش في منزلة  
عالية جدا اهوى الى الارض فجأة . وهذا يفسر السبب في اننى كنت اختلف  
الآخرين احيانا واخرج عن طورى واشعر بالظلم . ولكنى ايضا كنت ارى

على الدوام اننى اقل شأنًا من الآخرين ، مما يسبب لى الاكثاب والحقد والشعور بالهوان والتعاسة . وباختصار ، لقد فقدت كبريائى الامبراطورى ، ولكننى ما زلت احتفظ بمقياسى القديم . ولقد ادركت هذا فيما بعد عندما اكتشفت ان من المستحيل الحكم على الناس بهذا المقياس . وبينما كنت فى نفس الزنزانة التى كان فيها لى الكبير قبل ان اتوصل الى فهم هذا الامر ، لم استطع تفهم الا ما تحدث عنه مدير السجن . وادركت اننى لم اعامل الآخرين على انهم انداد فى علاقاتى بهم ، وهذا ما اثار استيائهم ومنعهم من معاملتى على اننى ند ، او من احترامهم لى . ولم اكتشف اى نوع من الناس كنت حقا الا عندما قوبلت بكرم من الناس الذين لا يمكن ان يقياسوا بمقياسى .

## لماذا كل هذه الشهامة ؟

ذات يوم ، مباشرة بعد عيد رأس السنة الصينية لعام ١٩٥٦ ، ادلى مدير السجن بالبيان التالى فى نهاية حديث له عن نمو الاقتصاد الوطنى :

” لقد درست جميعا وثائق الخطة الخمسية الاولى والتعاون الزراعى والتحويل الاشتراكى للحرف اليدوية والصناعة والتجارة الفردية . ولقد قرأتهم ايضا فى الصحف عن ظهور مؤسسات مختلطة تملكها الدولة والافراد فى بعض المدن الكبرى . ولكن كل ما تعرفونه عن البناء الاشتراكى هو ما تعلمتموه من الكتب . انكم بحاجة الى رؤية الحالة الحاضرة للبلاد بأب اعينكم لتتمكنوا من ربط دراساتكم بالواقع . ولهذا ستنظم لكم الحكومة زيارات الى الخارج فى المستقبل القريب . سترون فوشون اولاً ، وتورون مدنا اخرى فيما بعد . “

اصبح جو السجن فى ذلك اليوم ابهج مما كان عليه فى اى يوم مضى ،

ورأى بعض السجناء فى ذلك اشارة الى اننا سيطلق سراحنا قريبا . ولم اشاركهم آمالهم ، مقتنعا بأبنى لن يطلق سراحى بالتأكد حتى وان اطلق سراحهم . بل وخفت ايضا من اظهار وجهى امام الناس فى زيارة . وبعد ظهر ذلك اليوم سمعت آخرين يتكلمون فى هذه المشكلة التى كانت تشغل ذهنى :

— ماذا تظن ان الناس سيفعلون عندما يروننا ؟  
— لن يحدث شىء حيث ان موظفين حكوميين سيأخذوننا ، والا فان يدعوننا نخرج .

فقال لاو فو ، وزير الزراعة فى ” امبراطورية منشوريا “ سابقا :  
— لست متأكدا من ذلك . ماذا يحدث اذا ما اثيروا ؟ يا للسماء لقد كنت موظفا صغيرا ، وقد رأيت الجماهير عندما تهيج . انهم اذا ما خرجوا عن طورهم ، فمن المؤكد ان تستجيب الحكومة لمطالبهم .  
— لا تقلق ، ان الحكومة لن تدعنا نخرج اذا لم تكن متأكدة تماما مما يجرى .

وجاء الرئيس الجديد لمجموعة الدراسة فى ززانتنا ، وهو موظف سابق فى حكومة وانغ جينغ وى العميلة ، وقال :  
— لا اظن ان الحكومة ستفشى شخصيتنا :  
فضحك لاو يوان وقال :

— ان الشعب سيعرفنا سواء افشت الحكومة شخصيتنا ام لا . هل تظن ان الامر سيكون على ما يرام لمجرد ان اهالى الشمال الشرقى لن يعرفوكم ؟ انهم بمجرد ان يميزوا واحدا منا ، ومن المحتمل ان يفعلوا ذلك ، سيعرفون من نحن .

وفكرت فى صورى التى اجبر اهالى الشمال الشرقى على الانحناء لها فى الماضى ، وايقنت انهم لن يجدوا صعوبة فى تشخيصى . فكيف ستستطيع الحكومة منعهم من الهيجان والمطالبة بمحاكمتى علنيا ؟ وقد تساءل لاو



فو بدوره أ لن تستجيب الحكومة لما يطالب به الشعب ؟  
كنت فى تلك الايام ما ازال انظر الى ابناء الشعب العادين على انهم  
جهلة وهمج تماما . ومن المؤكد انهم سيحاسبونى ، انا علوهم اللود ،  
بقسوة شديدة متجاهلين سياسة اللين واعادة بناء النفس التى تسلكها الحكومة  
والحزب . وشككت فى ان تكون الحكومة قادرة على منع حدوث ذلك ،  
وشككت ايضا فى انها ربما تكون مستعدة لأن " تضحى " بى كى تكسب  
التأييد الشعبى . ولكننى كنت مخطئا تماما .

سأصف فى الجزء التالى كثيرا من الاشياء غير المتوقعة التى رأيتها فى  
الزيارة ، ولكننى اريد ان اصف اولاً اكثر الناس الذين قابلتهم شهامة .  
كانت الاولى امرأة شابة عادية . عاشت مذبحة بينغدينشان ، واصبحت  
الآن مديرة روضة لمنجم الفحم المكشوف فى فوشون . وقد حدثنا بعض  
مسؤولى المنجم عن تاريخ المنجم والمذبحة .

كان فى القسم الشرقى من المنطقة التعدينية قرية تضم الف اسرة تقريبا ،  
تدعى بينغدينشان . ومعظم سكانها كانوا من عمال المناجم المعوزين .  
وبعد الاحلال اليابانى للشمال الشرقى ظهر مقاتلون وطنيون فى هذه المنطقة  
كما فى اى مكان آخر . وفى ليلة عيد منتصف الخريف عام ١٩٣٣ اصطدم  
المتطوعون المعادون لليابانيين من جنوبى منشوريا باليابانيين فى بينغدينشان ،  
وقتلوا ضابطا وبضعة عشر من الحرس اليابانى ، واحرقوا مخزنا يابانيا .

وفى اليوم التالى ، عندما غادر المقاتلون ، طوق بينغدينشان حوالى ١٩٠  
حارسا يابانيا مع بعض الخونة الصينيين ، وساقوا جميع السكان - رجالا  
ونساء واطفالا - برؤوس حراهم الى تلة خارج القرية . وهناك اطلقوا النار  
بالرشاشات على جميع هؤلاء السكان البالغ عددهم ثلاثة آلاف نسمة ، ثم  
احذ الجنود يشقون الجثث بحراهم ليتأكدوا من انها فارقت الحياة . وبعد  
هذا سكبوا البترين على كل البيوت فى القرية واحرقوها ، وقصفوا التلة بالمدفعية

الثقيلة ليغطوا بقايا جريمتهم . واخيرا احاطوا القرية بسياج من الاسلاك الشائكة ، ولم يسمحوا لأى غريب بدخولها . وصدر انذار بأن كل من يؤوى الفارين من بينغدينغشان سيقتل هو وجميع افراد أسرته . وهكذا تحولت بينغدينغشان الى سفح تلة معزول مغطى بالعظام . وقد ظهرت مرثاة شعبية في منطقة فوشون ، تقول :

بينغدينغشان

بينغدينغشان

التي كانت ملاذا للحياة

هى اليوم خراب تغطيه الدماء والادغال

لملموا بعض الآجر

التقطوا العظام

فقد ذبح اليابانيون آباءنا وابنائنا

بحر الدماء عميق

وحقدنا لن يموت

ولكن اليابانيين لم يتمكنوا من ذبح جميع القرويين او ترويع عمال فوشون . وقد نجت صبية فى الخامسة من عمرها ، تدعى فانغ سو رونغ ، من بين اكوام الجثث الدامية ، وتعهدا بالرعاية سرا عامل منجم عجوز مقعد . وهكذا عاشت شاهدا على ذلك العمل الوحشى الشنيع .

بعد ان رأينا نحن السجناء المنجم انتقلنا لمشاهدة خدمات الرفاهية ، ولذلك ذهبنا الى روضة فانغ سو رونغ . ونظرا الى انها كانت فى شينانغ فى ذلك الوقت حدثنا عاملة الروضة الاخرى عن اجتماع فانغ بمجرمى الحرب اليابانيين فى اليوم السابق . وقالت لنا ان شغيلات الروضة رفضن فى البداية ان يسمحن لها بمقابلتهم ، لأن هذا قد يسبب لها صدمة كبيرة . الا ان مجرمى الحرب اليابانيين ناقشوا الامر ورجوا ان يسمح لهم برؤيتها لأنهم

ارادوا ان يعتذروا لها . وبعد ان تم التغلب على معارضة الشغليات دخلت في النهاية لتراهم . فاحضروا لها انحناءة شديدة تعبيراً عن اعترافهم بذنبهم ، وطابوا منها ان تحادثهم عن المذبحة .

فروت لهم كيف قادها جدها الى الخارج بينما حملت امها شقيقها الطفل . ”كان الجنود اليابانيون والخونة يصبحون اننا سنذهب لالتقاط صورة . وسألت جدى ماذا تعنى الصورة فأعطاني طاحونة هوائية كان قد صنعها لتوه وطلب منى ألا اسأل اية اسئلة . “ وهكذا ذهبت مع جميع القرويين الى ساحة الاعدام . وعندما بدأت الرشاشات تطلق النار غطاها جدها بجسمه ، واغوى عليها حتى دون ان تبكى . وعندما عادت لوعيتها وجدت نفسها محاطة بالدماء السائلة والمتخثرة ؛ والدخان يغطي السماء .

واحست بألم مخيف بسبب جروح الرصاصات الثماني والحربة في جسمها ، وكانت آلامها المهلكة من شدة الخوف اكثر من ذلك بكثير . كان جدها ساكناً ، ولم تستطع رؤية امها او شقيقها . وزحفت خارجة من بين اكوام الجثث ، وعادت الى القرية ، لتفاجأ بأنها قد تحولت الى انقاض ينبعث منها الدخان . وزحفت عبر السلك الشائك ، ومنه الى جذامة الذرة الرفيعة ، مغطية وجهها بيديها . فرآها شايب ولفها بسترته ، وبعد ذلك فقدت وعيها ثانية .

كان هذا الشايب عامل منجم ، اصبح مقعداً بعد حياة غاصة بالصعوبات والمعاناة ، وقد آلت حاله الى بائع سجائر لسد رمقه . ووضعها داخل كيس لا يفتحها الا ليلاً ليطلعها . ولما ادرك انه لا يستطيع ان يستمر على هذا النحو وقتاً طويلاً هربها في كيسه من اليابانيين ، واخذها الى بيت خالها الذى احتفظ بها خارج منزله في كومة من القش واعتنى بجروحها ، وراح يطعمها ليلاً . وعندما اقترب الشتاء اخذها الى اقرباء آخزين في قرية ابعد ، وعاشت هناك معهم باسم آخر .

نشأت فانغ سو رونغ مجروحة في جسمها ونفسها ، ونما معها حقدنا الشديد . ولكن عندما استسلم اليابانيون في النهاية حل محلهم موظفو الكومينتانغ الفاسدون والمترشون ، وازدادت الى حقدنا على قتلة اسرتها حقدنا آخر على قوات تشيانغ كاي شيك التي مارست القتل والحرق والسلب كما فعل اليابانيون تماما . واخيرا تحررت قريتها ، وشرق النور في حياتها . واعالها الحزب والحكومة وثقفاها . ووجدت فيما بعد عملا ، وتزوجت وانجبت اطفالا . واصبحت الآن عاملة نموذجية في فوشون .

ماذا قالت هذه المرأة للمجرمين الذين ارتكبوا جرائم شنيعة كهذه ضد الصين عندما قابلتهم وجها لوجه ؟

” حتى لو عضضتكم حتى الموت فانني لن اشفي غاملي . ولكنني عضوة في الحزب الشيوعي ، والقضية العظيمة قضية الاشتراكية وتغيير العالم تعني الشيء الاكثر بالنسبة لي من احساسى الخاصة . ولقد وضع حزبنا جميع انواع السياسات لتحقيق هذه الاهداف . وانا اؤمن بهذه السياسات وسأعمل على تنفيذها . ومن اجل هذه القضية نحيت حقدى الشخصى جانبا . “

لقد ادهش هذا التسامح المذهل المئات من مجرمى الحرب اليابانيين وجعلهم لفترة لا يحرون جوابا ، ثم شرعوا ييكون من شدة احساسهم بالخزى وركعوا امامها ، طالبين من الحكومة الصينية ان تعاقبهم .

ان شهامة فانغ سو رونغ كانت مذهلة بما فيه الكفاية ، ولكن لو قلنا انها ملزمة بوصفها عضوة وكادرة في الحزب ان تقف موقفا كهذا ، فما الذى جعل الفلاحين العاديين في تايشانبو يظهرون نفس الشهامة ؟

وتايشانبو قرية في ضواحي فوشون ، انشأت في ذلك الحين تعاونية زراعية . وقد ذهبنا اليها في اليوم الذى تلا زيارتنا لروضة الاطفال ، وكان قلبى يخفق على الطريق من شدة الخوف . وتذكرت الاتهامات التى كتبها الفلاحون

ضدى والتي قرأتها ، وتساءلت كيف ستكون معاملتهم لى ، وايقنت ان الفلاحين ” الافناظ ” و” الجهلة ” سيكونون غير قادرين على التصرف مثلما تصرفت فانغ سو رونغ . والواقع اننا قابلنا عددا من العمال وافراد اسرهم فى اليوم السابق ، ولكننى عزوت تصرفهم الى انهم كانوا يجهلون من نحن . لقد زرنا فى المساء السابق دار عجزة لعمال المنجم المتقاعدين . ان هؤلاء المسنين الذين عمالوا فى المناجم طوال حياتهم او الذين طردهم اليابانيون بعد ان اصبحوا عاجزين نتيجة حوادث العمل قد انقذوا على الفور بعد تشكيل الحكومة الشعبية ، وحول فندق يابانى فخم الى ملاذ يمكن ان يقضوا فيه بقية حياتهم فى اطمئنان ، كانوا يمضون اوقاتهم فى لعب الشطرنج وزراعة الازهار وقراءة الصحف وفى اية طريقة اخرى ثلاثهم . وعندما زرت احدهم مع بضعة سجناء آخرين حدثنا عن الحياة التعمسة فى المناجم ايام ” امبراطورية منشوريا “ . فشعرت بالخزى والخوف ، واختبأت فى الزاوية صامتا مخافة ان يميزنى . ولاحظت انه علق بدلا من صور الاسرة التى رأيناها على الجدران فى مسكن العمال صورة الرئيس ماو فقط ، اذ بدا واضحا انه اعز عليه من اقربائه — هذا اذا كان قد بقى له اقرباء على قيد الحياة . وتساءلت ان كان قد فهم سياسة الرئيس ماو فى اعادة بناء المجرمين .

خلال اليوم الاول من زيارتنا حاولنا جميعا ان نجعل انفسنا غير واضحين تمام الوضوح . فالقم الكبير الذى كان ذات مرة مسؤولا عن بناء معبد لديانة شينتو اليابانى فى فوشون ، كان شاحب الوجه ، وقد حاول ان يظل طوال الوقت مختبئا وسط مجموعتنا . وعندما وصلنا تايشانبو لم يتجراً واحد منا على رفع رأسه . وفى هذه الحالة من الاضطراب استمعنا الى مسئول التعاونية وهو يحدثنا عن ماضى التعاونية وحاضرها . وطفنا بها ورأينا ادوات جديدة ومزرعة دواجن ودفينيات ملى بالخضار وحظائر مواشى ومخازن قمح واشياء اخرى . وكل من قابلناه كان لطيفا معنا واقف بعض الناس العمل الذى

كان يقوم به ووقف وحيانا . وهنأت نفسي على بقائى كل هذه الفترة دون ان يعرفنى احد ، ولكن عندما كنت فى بيت احد اعضاء التعاونية فى نهاية الزيارة لم اعد قادرا على اخفاء هويتى اكثر من ذلك .

كان البيت الذى زرته انا وبضعة آخرون لأسرة تدعى ليو . وكان كلا الوالدين يعملان فى الحقول ، وكان الابن الاكبر كاتب حسابات لقبو التخزين ، والابن الثانى طالبا فى مدرسة متوسطة ، والبنت تعمل فى محطة كهربائية . ولم تكن فى البيت عندما وصلنا الا السيدة ليو وكانت تطبخ ، وعندما رأته كادر التعاونية يقودنا الى داخل البيت خلعت متزرها وطلبت منا ان نجلس فى الغرفة الشمالية التى كانت مبنية حديثا بالاسمنت . وعاملتنا على اننا ضيوف حقا ، فطلبت منا ان ندخل الى صدار الغرفة ونجلس على سرير الكانغ المبنى على طراز الشمال الشرقى . وكان ينتصب مع الجدار خزانة لها ادراج ، وعليه ساعة منبهة كبيرة وطقم شاي يلتمع وعدد من الزهريات وعلبة شاي .

ولم يخبرها الكادر الذى جلبنا من نكون نحن ، بل اكتفى بأن قدمنا لها على اننا زائرون جئنا لمشاهدة التعاونية . ثم طلب منها ان تتحدث لنا . وعلى الرغم من انها لم تكن متحدثة جيدة الا انها اخبرتنا بأنهم كانوا اسرة من سبعة افراد يحرثون حوالى نصف هكتار من الارض ، وانهم عاشوا خلال فترة "امبراطورية منشوريا" شبه متسولين تقريبا . "كنا نزرع الرز ، ولكننا نضطر الى اكل دقيق البلوط . وكان علينا ان نسلم كل الرز الذى نزرعه ، واذا ما وجدوا حبة واحدة منه فى البيت اعتبرونا 'مجرمين اقتصاديين' . ولقد القى البوليس القبض على رجل ذات مرة عندما كان فى الطريق مريضا واكتشفوا حبات ارز فى قيائه . ولبسنا جميعا الاسمال البالية . وتردأت احوال بعض العوائل على نحو اسوأ منا ، فلم تجد الفتيات البالغات فى تلك العوائل ما يلبسهن سوى الاكياس . . . وفى عيد رأس سنة لم يجد الاطفال ما يأكلونه ،

وليس بوسعى ان اخبركم كيف كان ذلك ، لهذا قال الشايب يجب ان نأكل سرا وجبة ارز . وجاء البوليس الى القرية في منتصف الليل ، فأفزعنا هذا حقا . لقد جاؤوا في الواقع للقبض على الرجال واخذهم الى العمل الاجبارى ، وارساؤهم لقطع الاشجار وبناء مواقع دفاعية . وقالوا ان ذلك من اجل الحماية من قطاع الطرق ، ولكنها اقيمت حقا بسبب ذعرهم الشديد من جيوشنا المتحالفة ضد اليابانيين . واخذ الشايب كذلك . وتقريبا لم يرجع احد من الرجال الذين اخذوا من قريتنا الى العمل الاجبارى حيا . . . .“

ودخل ابنها فيما كانت تتكلم . كان قصيرا جدا . ولدى تدقيقنا النظر استطعنا ان نرى انه قد ولد مقعدا بساقين متوقفتين عن النمو . وفي اجابته عن سؤالنا قال ان عاهته قد اجبرته على ان يعيش حياة الكلاب في المجتمع القديم ، بينما يعمل الآن كاتب حسابات في قبو التخزين ، وله من الاعتبار ما لأى شخص آخر . كانت عيناه تلتهبان حقا على الماضى ، ولكن عندما تحدث عن الحاضر بدا الابتهاج والثقة في صوته واساير وجهه كأمة تماما . وحدثنا عن جميع الخضروات التى لم تكن تزرع في القرية من قبل ، واطلعتنا امه على خابية رز في زاوية الغرفة . وسأل ابنها ضاحكا : ” من يريد ان ينظر الى الارز ؟“ واجابت هى على نحو سريع لاذع : ” لا اهمية لذلك في هذه الايام ، ولكن كم مرة رأيتم الارز في زمن كانغ ده (١٦) ؟“ فنسعتنى هذه الملاحظة على الفور .

لقد كنت خائفا في بداية قدومنا الى هذا البيت من ان يسألونى عن اسمى ، والآن شعرت بأنه لخداع لا يغفر اذا لم اخبرهم عن شخصيتى قبل ان اغادر . فنهضت وقلت ناكسا رأسى : ” ان كانغ ده الذى تتكلمين عنه هو بو يى ، امبراطور منشوريا العميل الخائن . انه انا . اننى مدين لك بعذرى .“

وقبل ان أنتهى من كلامى نهض الوزراء العملاء السابقون واخبروها

بشخصياتهم . وكان احدهم مسؤولا عن العمل الاجبارى ، وكان الآخر مسؤولا عن ارسال الحبوب الى اليابان ، والثالث قائد عسكري اجبر الرجال على الدخول فى الجيش العميل للقتال الى جانب اليابانيين .

فصعقت العجوز . ومع انها حزرت ان نكون من مجرمى الحرب المانشويين العملاء ، الا انها لم تعرف بوضوح شخصياتنا ، ولم تتخيل كذلك اننا سنطلب منها ان تصفى حسابها معنا .

كيف فى الواقع تعاملت معنا ؟ انها لم تشتم او تبكى ، كما انها لم تستدع الجيران او الارامل والايام الذين قتل ذوهم فى الايام الماضية ليصبوا جام غضبهم علينا . بل قالت بدلا من ذلك منتهدة تهيدة حزت فى قلبى : ” لقد انتهى كل شىء الآن . لا داعى الى قول اى شىء آخر بخصوص ذلك . “ ومسحت دموعها واستطردت قائلة : ” انكم ما دمتم راغبين فى الدراسة فافعلوا ما يقوله الرئيس ماو وتحولوا الى اناس محترمين ، فانكم ستصبحون على ما يرام . “

كنا امامها نبكى فى صمت ، ولكن مع كلماتها هذه انفجرنا بالتحبيب : وقال ابنها فى صوت منخفض : ” اننا نعرف اى نوع من الناس انتم : ان الرئيس ماو يقول ان الغالبية العظمى من المجرمين يمكن ان يعيدوا بناء انفسهم ، وما يقوله لا يمكن ان يكون خطأ . فاذا انتم اصاحتم انفسكم واعترفتم بذنبيكم فان الشعب سيصفح عنكم . “

هكذا كانت شهامة الفلاحين الذين ظننتهم افظاظا وجهلة وانهم سينتقمون منا دون ان يلتفتوا الى سياسة اللين واعادة بناء النفس .

انهم الآن سادة انفسهم ، ومن خلفهم حكومة قوية وجيش قوى يقودهما الحزب الشيوعى . ومع ذلك فانهم عندما واجهوا السجناء الذين ارتكبوا فى حقهم اشنع الجرائم مثل هذا الكرم .

لماذا وثقوا بالحزب والرئيس ماو الى هذا الحد ؟ ولماذا قبلوا سياسة



الحزب ازاء اعادة بناء المجرمين عن طيب خاطر ؟ ولماذا كان الحزب الشيوعي والحكومة الشعبية على ثقة تامة بأن الشعب سيقبل سياساتهما حتما ؟ اننى فى هذه الزيارة عرفت الجواب عليها .

## التغيرات توضح كل شىء

كان مزاجنا فى نهاية زيارتنا التى استغرقت ثلاثة ايام متباينا تماما عنه عند ابتداء الزيارة ، فقد حلت المحادثة الحيوية محل الصمت المتجهم . وبقينا طوال اليومين الاولين من عودتنا الى السجن نتحدث فى موضوع جولتنا . وكان القول المتكرر هو : ” ان الامور قد تغيرت ، والمجتمع قد تغير ، وجميع الصينيين قد تغيروا . ” وطبعا كان موضوع التغيير هو الذى غالبا ما قرأنا عنه فى الصحف وفى رسائل الاهل او ما سمعنا عنه من سلطات السجن خلال السنوات القليلة الماضية ، ولكن بعض المجرمين منا اراد ان يختبر هذا بأنفسهم . ومن بين هؤلاء كان لاو يوان نزيرل ززانتنا ، وفى هذه المرة اقتنع هو الآخر .

وذات مساء كنا نتحدث عن الكعك الذى ذفناه بأنفسنا فى مطعم العمال ، فقال احدنا ان من المؤسف اننا لم نر ايا من الوجبات تطبخ على مواقد الغاز فى شقق العمال عندما شاهدنا الطعام الذى يقدم وقت العمل . فأخبرنا لاو يوان عند ذلك بما قد اكتشفه . فبينما كان بقيتنا يتفرجون على غرف العمال ذهب هو الى ما وراء المبنى لينظر الى داخل صناديق القمامة ، فشاهد عظام سمك وقشور بيض وبقايا طعام اخرى .

وكان لاو فو ، وهو ضابط تموين مع جيش الشمال الشرقى السابق قبل ان يصبح وزير زراعة فى حكومة ” امبراطورية منشوريا “ ، شخصا صموتا على نحو طبيعى ، ولكنه اليوم بدأ حيويا : ” فى ايام ’ امبراطورية

منشوريا ، لم تكونوا تجدون سمكا او لحما في بيوت العمال ، بل حتى قبل ذلك نادرا ما كان يرى اى منهما . ويجب ان اعرف - لقد بدأت الحياة موظفا صغيرا . “

وقال لاو تشنغ بصراحة ، وكان قد رباه اليابانيون : ” عندما قرأت الصحف ودرست الوثائق السياسية فى الماضى اقتنعت فى بعض الاحيان وشككت احيانا اخرى ، وكنت اظن ان هذه القاعدة الصناعية فى الشمال الشرقى هى شىء خلفه اليابانيون . ولكن فى المصنع التابع للمدرسة الصناعية رأيت المخارط اليابانية القديمة ذات الحزام الجلدى قد حلت محلها هناك معدات صينية الصنع من طراز جديد ؛ فالآن اصدق ان الصينيين قد نهضوا حقا . لقد تغيروا حقا . “

ووافقت بالتأكيد على انهم قد تغيروا ، ونمت عندى احساسى اخرى بخصوص الزيارة ايضا .

ان الشهامة المذهلة التى اظهرها لنا الناس خلال الايام الثلاثة من زيارتنا قد جعلتنى اتساءل هل يمكن ان يكون ذلك حقيقة واقعة . أكانوا مستعدين لتجاهل الجرائم التى ارتكبتها الخونة ضدهم . هل لديهم حقا تلك الثقة بسياسة اعادة بناء المجرمين ؟ كيف يمكن ان يكون هذا ؟

ان التغيرات قد وضحت كل شىء . فمنذ اواخر القرن التاسع عشر وفوشون شهيرة بثروتها المعدنية ، ولكن اولئك الذين استفادوا من هذه الثروة لم يكونوا عمال المناجم الفقراء البائسين . وفى عام ١٩٠٥ خضعت المناجم المفتوحة للسيطرة اليابانية بعد هزيمة روسيا القيصرية ، وفى العقود الاربعة التى تلت وصل عدد عمال المناجم الذين ماتوا من شدة بؤسهم رقما يتراوح بين ٢٥٠ الف الى ٣٠٠ الف عامل .

وكان العمال ، ومعظمهم فلاحون عاطاؤون من شاندونغ وخبى والشمال الشرقى ، يأتون فى حشود كبيرة كل سنة . وكانوا يعملون اكثر من اثنتى

عشرة ساعة يوميا . ومعظمهم اقاموا في ” بيوت جماعية كبيرة “ : وربما وصل عددهم في القاعة الواحدة الى مائة او مائتين ، ولبسوا الاسمال على مدار السنة . وكان الكثير منهم يعجز عن ايجاد ملابس لمواليده ، وعندما يموت الاطفال جوعا ، يضطرون الى دفنهم عراة . وعلى الرغم من انخفاض اجورهم الزموا بدفع حصة منها الى المدراء والمراقبين . والذي يتبقى لهم كان لا يكفي لتأمين الطعام والكساء . علاوة على ذلك فان قلة منهم الذين استطاعوا تحمل اعباء الزواج ، وكان حوالى سبعين في المائة من الرجال العاملين في منجم لونغفنغ عزابا .

ولم يكن هناك اهتمام بمسألة الاحتياطات الامنية في المناجم وكانت الانفجارات والانهيارات حوادث عادية . وقد تعود العمال ان يقولوا : ” اذا اردت ان تصبح عامل منجم ، فعليك ان تغامر بحياتك . “ وبعد انفجار غازى في منجم عام ١٩١٧ ختم الملاك اليابانيون على المنجم ليمنعوا حدوث خسارة في الفحم ، تاركين في داخله ٩١٧ عاملا ليحترقوا احياء . وحدث فيضان في نفس المنجم عام ١٩٢٨ مات فيه ٤٨٢ عاملا . ووفقا لاحصائيات ” امبراطورية منشوريا “ الرسمية فان ٢٥١٩٩٩ عاملا قد قتلوا واصيبوا في هذه المناجم ما بين عام ١٩١٦ وعام ١٩٤٤ . وقد ملئ واد جيلى بجثث اولئك الذين لم يدفنوا داخل الحفر ، وسمى الوادى لذلك ” قبر العشرة آلاف رجل “ .

وفتح اليابانيون مكانا سموه ” حديقة المتعة “ كان يضم اكثر من الف موسم وصالونات للقفار وللافيون والمورفين .

وفي فوشون القديمة كانت هناك بيوت ممتازة لليابانيين وابراج الرفع الشاهقة للمناجم ، ولكن كان هناك ايضا متسولون وقطط ميتة واطفال ميتون بجانب نهر يانغباى ، واخرى عائمة في البالوعات . وفي الشتاء كان يعثر على جثث جديدة كل يوم عند جسر يانغباى . وكان في فوشون ايضا ” اصلاحية “

خلال عهد "امبراطورية منشوريا" ، وهى معسكر محشد للعمال الذين عارضوا "امبراطورية منشوريا" واليابان .

لقد حدثت منذ ذلك الوقت تغييرات هائلة . فبدلا من الاكواخ الممتدة على مساحة ٣٥٠٠ متر مربع التى بناها اليابانيون للعمال خلال واحد وثلاثين عاما ، انتصبت مساكن جديدة للعمال على مساحة ١٧٠ الف متر مربع ، بنيت خلال السنوات السبع التى تلت التحرير . وقد زرنا هناك بيت عامل قد يكون واحدا من الـ ٨٠ فى المائة من عمال المناجم الذين تزوجوا منذ التحرير . وفى تلك الغرف رأينا اللهب الازرق المنبعث من موقد غاز .

وحدثنا رئيس مكتب المنجم عن الغاز ونحن نمشى تحت الارض فى المسالك المؤدية الى منجم لونغفنغ . ان مناجم الفحم فى لونغفنغ وشنغلي ولاوهوتاي كانت تغص بالغازات - ذلك العدو اللدود لعمال المناجم فى كل العالم . وكانت لا تزال مرعبة بعيد التحرير ، لاسيما منجم لونغفنغ الذى انسدت مسالكه بالانهيارات الناجمة عن تخريب اليابانيين اولا والكوميونتانغ من بعدهم . وكانت الغازات الكثيفة داخله تمنع من اعمال النسف او استخدام المعدات الكهربائية .

وفى خريف ١٩٤٩ اقترح احد مهندس المنجم على لجنة الحزب خطة لسحب الغاز بأنايب الى السطح للانتفاع به والتخلص من خطره فى آن واحد . فأيدت اللجنة اقتراح المهندس واعرب العمال ولاسيما المسنون منهم وعيالهم ، انهم راغبون فى القيام بأى شىء لانجاح هذه الخطة . ونظم المشروع التجريبي . واندفع العمال الذين كانوا اعضاء فى الحزب الى الجبهة الاولية للنضال الذى شن ليلا ونهارا داخل الطرق المملوءة بالغازات تحت الارض . وفى البداية واجهتهم الصعوبات وهم يعملون وسط الغاز الكثيف ويتعرضون لمضايقات الجبناء والمحافظين على القديم ؛ ولكن فى ١ يوليو ١٩٥٠ تمت التجربة ، واندفع لهب ازرق من فوهة الانبوب الذى

يسحب الغاز من تحت الأرض . وبكى العمال المسنون ، وصاح الشباب :  
” لقد انتصرتنا ثانية . “

وقد ذكرتني هذه التجربة بأغنية كنت قد سمعت بعض الاولاد يغنونها  
في روضة الاطفال ذلك الصباح :

لو لا الحزب الشيوعي ،  
لما كانت الصين الجديدة .

وفيما كنا نمشى في الطريق التحتاني وصلنا الى دكان مشرق الانارة  
بيبع الفواكه والحلوى والمناشف والمناديل وغير ذلك . فتوقفنا هناك ، وشرح  
لنا دليلنا ان هذا المكان كان مستنقعا للقاذورات والجرذان ايام ” امبراطورية  
منشوريا “ ولم يكن احد يجراً على مكافحة الجرذان بسبب خرافة شائعة  
تقول ان هذه الجرذان هي خيول الاله الطاوى لاو تسى ( ١٧ ) . وكان  
عمال المناجم يعبدونه طلبا للامن والرجاء في حياتهم البائسة . في هذه الايام  
القوا جميعا صور لاو تسى الى خارج بيوتهم . واخبرنا وهو يشير الى الارضية  
الخرسانية النظيفة بأن العمال كانوا يمشون حفاة في الماء القدر هنا في الماضى ،  
وانهم كانوا في بعض الانفاق يعملون عراة .

ومررنا بعربات تجر كهربائيا لنقل الفحم الى الخارج . ” كانت هنا  
في الماضى طرق تمر بها القطارات فقط وغالبا ما داست القطارات على  
العمال الذين لا يجدون ممرا يسلكونه الى المنجم ، ولكن عدد الذين  
قتلوا بهذه الطريقة لم يكن يساوى شيئا بالطبع قياسا الى اولئك الذين قتلوا  
في الانفجارات . وكان عمال المناجم يقولون انهم ” كتل من اللحم لاصقة  
داخل نفق الفحم “ . كانوا يعودون من عملهم الطويل تحت الارض كل  
ليلة حامدين الصدف التى جمعائهم يخرجون احياء وكان هناك دائما حشد من  
اهالى العمال ، النساء والاطفال ينتظرون في اعلى الوهدة حيث يخرج العمال ،

وحين لا يخرج عامل مع الخارجين يعرف اهله انه قد مات . وغالبا ما كانت الجثث تبقى في مكانها . “ وأشار الى الجدار قائلا : ” رأيت اربعة رجال دفنوا هنا احياء . لقد نزلت الى وهدة المنجم اول مرة وانا في الرابعة عشرة من عمري ، ولا اود ان اقول كم مرة اصطدمت بالموت منذ ذلك الحين . “  
واخبرنا بمدى الذعر الذى كان يصاب به العمال اذا ما مرضوا . فمقاومتهم كانت ضعيفة جدا ، حيث ان اكواخهم خالية من التدفئة ، وثيابهم اسمال ، وفراشهم اكياس ، وحصتهم من الطعام ثمانى كعكات ضئيلة الحجم من الذرة فى اليوم . وكان اليابانيون اذا ما وجدوا احد العمال مريضا ، وضعوه فى مكان منعزل محروس حراسة مشددة ، ولا يعطونه الا طاسا من عصيدة الارز فى كل وجبة . وبعض المرضى كان يحرق قبل ان يموت ، او يدفن حيا فى ” قبر العشرة آلاف رجل “ . وقال لنا دليلنا ان والد الرجل الذى رأيناه قبل لحظة يقود القطار قد دفن حيا .

وبعد لحظة صمت تابع يقول لنا انه اوشك ذات مرة على الاختناق فى الجو العفن عندما كان داخل المنجم .. وقد مرض عندما خرج ، ولكن المراقب هدده بالجلد اذا هو لم يعد الى الوهدة ثانية . ونظرا الى انه كان اصغر عامل فى الكوخ الذى يسكن فيه فقد جاء زملاؤه الكبار وطردهوا هذا المراقب . وقال ان العمال الذين كان اليابانيون والمراقبون يخافونهم اشد الخوف هم سجناء من الجيش الثامن ، كانوا على استعداد لقتل مضطهديهم اذا هم قبضوا عليهم تحت الارض . وهذا يعنى ان اليابانيين قد اجبروا على معاملتهم معاملة افضل . وعلى الرغم من ان هؤلاء المساجين كانوا معزولين عن العمال الآخرين عزلة تامة ، الا ان مقاوتهم اظهرت لبقية العمال ان المراقبين واليابانيين ليسوا اكثر اخافة من فئران المنجم وان ايامهم قد اصبحت معدودة .

وادركت مدى التباين بين هذا العامل الواثق بنفسه وبينى انا عندما كنت

فى الماضى مريضا من اكل اللحم ، اتناول الحقن والدواء يوميا ، ويستبد  
بى الشعور بأن نهايتى قد اقتربت ، وبأننى فقدت كل كرامة انسانية .  
لقد كان فى تلك الايام لا يرى فى وى امثالى اكثر من جردان . فما رأيه  
بنا الآن ؟

وتذكرت الدموع التى ذرفها العمال المسنون عند سحب الغاز عبر  
الانبوب لأول مرة بنجاح وصيحات الانتصار التى اطلقها الشباب : لقد صار  
مسكنا ان تتكشف لهم حقائق المجتمع والبشر والطبيعة . كل شىء وكل  
واحد قد اعيد بناؤه . وماذا يهمهم من امبراطور ما دام المستقبل مستقباهم ؟  
هذا كان سببا آخر فى قدرتهم على ان يكونوا متساهلين معى . كل شىء  
قد تغير ، وكان ابرز تغيير اساسى هو ذلك الذى طرأ على الشعب . وبالتأكيد  
فاو لا الحزب الشيوعى لكانت جميع هذه التغييرات والشهامة التى قولنا  
بها مستحيلة .

## لقاء الاقرباء

تعلمت من هذه الزيارة انه اذا كان الشعب سيصفح عنى فعلى ان اصبح  
انسانا حقيقيا . وقد تعلمت اشياء اخرى ايضا . فى اليوم الاول من الزيارة  
نظرت الى الحكومة الجديدة من المنظر القديم ، رافضا ان اصدق ان اى  
نظام يمكن ان يكون على علاقة بالجماهير قائمة على الثقة المتبادلة ، وفقا  
لما قرأته فى الكتب . وطمنت ان السبب الذى جعل الحزب الشيوعى يملك  
هذه القوات المساحة الجبارة وتلك الحكومة القوية هو مكره الشديد ومهارته  
الديماغوجية . وهذا ما جعلنى اخاف من ان يقتلونى تنفيسا عن غضبة الجماهير .  
وعرفت الآن ان السبب الذى جعل الشعب يدعم الحزب ويثق به هو الفوائد  
التي جناها من الحكم الجديد والتي لم يكن فى وسع ، ولا فى نية اى حكومة

سابقة ان تقدمها له .

كنت اقول في نفسي انه من الطبيعي ان يفرح الفقراء بالمجتمع الجديد ، ولكن اولئك الذين كانوا اغنياء او كبراء في الماضي والناس الذين كانوا على علاقة وثيقة بى او بأمتالى وابناء الاقليات القومية لن يكونوا راضين مطلقا . وبعد زيارتنا بوقت قصير زارنى بعض اقربائى ، فعلمت ان هذا الرأى كان سخيفا هو الآخر . فالواقع ان قطاعا كبيرا لا مثيل له في التاريخ من جميع الطبقات الاجتماعية يشعر الآن بالرضا عن هذه الوضعية الجديدة .

لقد بدأنا نحن السجناء تتبادل الرسائل مع اقربائنا في صيف عام ١٩٥٥ . واكتشفنا من هذه الرسائل ان اقرباءنا لم يعاملوا معاملة سيئة بسبب اننا مجرّهون . فبعض الاولاد في المدارس وبعضهم يعمل ؛ وبعضهم اصبح متخصصا وآخرون انضموا الى عصبة الشيبة الشيوعية او الحزب الشيوعى . وقد فاجأتنا هذه الرسائل بقدرما شجعتنا ، وادركنا بمزيد من الوضوح معنى التغيرات الاجتماعية بالنسبة لنا . على اننا لم نكن سواء في ذلك فبعض من كانوا اكثر تشككا بيننا اقتنعوا نصف قناعة فقط ، وقلة كانوا متحيزين كثيرا فذهبوا في تأويلاتهم الى ما شاء لهم خيالهم . وعندما تسلم لآو تشانغ ، وهو جنرال سابق من العملاء ، الرسالة الاولى من ابنه وجدها تبدأ بما يلى : ” السيد تشانغ ، اننى آسف ، ولكننى لا استطيع ان اخاطبك بأية طريقة خلاف هذه . . . ” وكاد لآو تشانغ يعجن من الحزن ، وتعاطف معه كثير من السجناء الآخرين . وتمتم بعضهم : ” هذه اذن الطريقة التى يربى بها المجتمع الجديد الشباب . لأن الوالد في السجن فان الابن لم يعد يريد . ” ولم يسعنى الا ان اتذكر كيف قال تشن باو تشن ان الشيوعيين قساة غير عادلين . وكان لآو ليو ، وهو جنرال سابق آخر في نفس زلزاة بو جيه ، مولعا جدا بابتته ، وكان شديد القلق على ان تكون قد اصبحت ضحية للمعاملة السيئة . وكان في السابق كثير التشكك بخصوص الصين الجديدة ، ولكنه



قرأ الآن في رسالة جاءتة منها انها تعال اعالة جيدة وانها قبلت في عصابة الشيبية . وان منظمتها تعتني بها عناية جيدة ، ولها كثير من الصديقات ، وقد ارسلتها الدولة الى مدرسة فنية ، وذلك تحقيا لطموحها السابق . وهز لايو رأسه الاشيب وقال : ” حتى اذا كانت كل كلمة فيها صحيحة ، فاني لن اصدق ما لم ارها بأمر عيني . ” ومنذ عام ١٩٥٦ صرنا نجد الجواب لكل اسئلتنا ، وعلمت ان القضايا التي عواجت لم تكن فقط قضايا عوائل بمفردها ، بل قضايا الامة بكاملها والجيل الناشئ بكامله .

في ١٠ مارس ، بعد زيارتنا بثلاثة ايام ، طاب السجن منى ومن بو جيه وزوجى شقيقتي وابناء اشقائى الثلاثة ان نذهب الى مكتب مدير السجن . ودخلنا الى غرفة الاستقبال ، فرأينا لشدة دهشتنا عمى تساي تاو وشقيقتي الثالثة والخامسة . وكنا قد فصلنا عن بعض منذ اكثر من عشر سنوات . وعندما رأيت عمى يبدو معافى كالسابق وشقيقتي في ملابسها المحشوة بالقطن شعرت كأننى في حمام .

كان تساي تاو القريب الوحيد من بين اقربائى من الجيل السابق الذى ما يزال على قيد الحياة . في عام ١٩٥٤ تم انتخابه للمجلس الوطنى لنواب الشعب مندوبا عن قومية المانتشو البالغ عددها مليونين . وكان كذلك عضوا فى اللجنة الوطنية للمؤتمر الاستشارى السياسى للشعب الصينى . واخبرنى انه قابل الرئيس ماو قبل بضعة ايام فى الاجتماع الثانى للمجلس ، حيث قدمه رئيس مجلس الدولة شو ان لاي الى الرئيس ماو على انه السيد تساي تاو عم بو يى . فصافحه الرئيس ماو قائلا : ” لقد سمعت ان دراسة بو يى تجرى على نحو جيد تماما ؛ يمكن ان تذهب لزيارته . ”

واختلج صوت عمى بالعاطفة الشديدة وهو يحدثنا حتى انه لم يكذب يسمع ، ولم اقول انا على كبح دموى . وبكىنا جميعا ، وفى النهاية شرع ابن شقيقى روى الصغير ينتحب بصوت عال .

وتعلمت في هذا اللقاء مع اقربائى اننى لست الوحيد الذى انقذ بل عشيرة آيشين - جيولوه وقرمية المانتشو كلها ايضا .

واخبرنى عمى ان عدد قرمية المانتشو الذى كان قبل التحرير ٨٠ الف نسمة فقط قد بلغ ثلاثين ضعفا في الوقت الحاضر . وفهمت مغزى هذا التغيير . وعرفت حالة البؤس التى عاشها حملة الياية تحت حكم امراء الحرب من زمره بيانغ وحكومة الكومينتانغ ، عندما وجدوا صعوبة كبيرة في الحصول على عمل اذا لم يتظاهروا بأنهم من قومية الهان . فغير كثير من ابناء عشيرة آيشين - جيولوه اسما عوائلهم الى جين او تشاو او لوه . اسرة والدى في تيانجين مثلا اتخذت اسم جين . وبعد التحرير اعترف الكثير من ابناء قومية المانتشو بقوميتهم ، وعندما سجلوا جميعا بعد اعلان الدستور دهش حتى المانشويون انفسهم لعددهم الاجمالي البالغ ٢٤٠٠٠٠٠٠ نسمة . وتذكرت غضبي عند سرقة المدفن الشرقى والعهد الذى قطعته على نفسى امام لوحات اسلافي اننى سأنتقم لهم . ولكن الذى فعلته في الواقع قد عجل في تدمير ابناء قومي وعشيرتى ، الذين لم يجدوا مستقبلا مأمونا الا بعد انهيار زمرتى وانهيار اليابانيين الذين ادعوا انهم يدعمونى . والبرهان على ذلك هو التغيير من ٨٠ الف نسمة الى ٢٤٠٠٠٠٠٠ نسمة .

ان هذا التغيير التاريخى لم يؤثر فحسب في الشباب من عشيرة آيشين - جيولوه بل في الـ "بى - له" (١٨) تساي تاو وفي شقيقتى ايضا . كان عمى حينذاك في التاسعة والستين لكنى لم ار فيه علامة شيخوخة وهو بهذه الحيوية في الجسم والعقل . ولاحظت ان طريقته التقليدية في التحدث معى لم تتغير . وقد حدثنى انه عمل بعد التحرير في ادارة لجيش التحرير الشعبى كانت مسؤولة عن الخيل ، وشعر بنشوة كبيرة وهو يخبرنى كيف امضى بعض الوقت في حضاب الشمال الغربى . وكان حينذاك يخطط للقيام برحلة تفتيشية عن اوضاع الاقليات القومية باعتبار ذلك جزءا من مهماته كعضو في المجلس

## الوطني لنواب الشعب :

عند دخول جيش التحرير الى بكين قاتل العديد من ابناء المانتشو لاسيما افراد عشيرة آيشين - جيولوه ولم تذهب مخاوفهم حتى بعد اصدار بيان جيش التحرير الذى تضمن ميثاقا من ثمانية بنود لضمان ارواح وممتلكات ابناء الشعب على اختلاف انتماءاتهم من غير اعداء الثورة والمخربين . وكان معظم المقيمين فى بكين من هؤلاء اشخاصا عاديين ليسوا اعضاء فى " طبقة النبلاء الجديدة " لـ " امبراطورية منشوريا " او فى نظام وانغ جينغ وى العميل . ولكن بعضهم لم يفقد ، بعد ، احترامه الخرافى الشخصى ، وقد ذعروا اكثر عندما سمعوا انى سجين . وزد عليه ، لم تكن لدى ابناء قومية المانتشو المفقرين ، والمتناقصى العدد ، اوهام ازاء جيش التحرير الشعبى . وكانت دهشتهم الاولى عندما علموا ان الحكومة الشعبية فى الشمال الشرقى قد فتحت مدرسة خاصة لأبناء المانتشو . وفيما بعد رأوا مندوبين عن القومية يشتركون مع مندوبين من جميع الاوساط الاخرى فى اجتماعات المؤتمر الاستشارى السياسى للشعب الصينى الذى ناقش المنهاج المشترك (١٩) وقد زار كوادر من الحكومة الشعبية بيوت البعض منهم ليتحدثوا معهم حول مندوبيتهم الى المؤتمرات الاستشارية السياسية المحلية . وحثهم الكوادر على تقديم اقتراحاتهم بشأن الامور المتعلقة بقوميتهم وان يسهموا بجهودهم فى بناء مجتمع جديد .

كانت اعمار جميع ابناء جيلى فى بكين من سلالة والد جدى الامبراطور داو قوانغ والامير دون والامير قونغ والامير تشون فوق الستين ، ما عدا قلة من ابناء عمومتى كانوا اصغر سنا . وكان ابن عمى الثانى بو جين (معروف ايضا باسم بو شيويه تشاى) ، رساما بارزا وخطاطا وعازفا على الـ " قو تشنغ " ( اداة وترية صينية قديمة ) ، وكان حينذاك قد تجاوز الستين . وقد دهش حين وجد نفسه قادرا على انزال اداته الموسيقية عن الجدار مرة ثانية والذهاب

مرة كل اسبوع الى ضفاف بحيرة بيهاي في بكين ليطاق العنان لعاطفته بهذا الفن القديم مع اصدقائه القدامى والجدد ، حيث رأى مستقبلا مشرقا للموسيقا الكلاسيكية الصينية لدى الشباب الذين كانوا طلابه . والاكثر من ذلك انه انتخب نائب رئيس لجمعية البحث في آلة ” فو تشنغ “ ورئيسا لجمعية دراسة الخط ؛ ودعى الى حضور المؤتمر الاستشارى السياسى على مستوى المنطقة ؛ واصبح معلما في اكااديمية الرسم الصينى . وكان شقيقه بو جيان يعلم الرسم الصينى ايضا . وكان ابن عمه بو شيو ” دليل بوابة تشيان تشينغ “ داخل المدينة المحرمة وهو الذى اعتنى بممتلكاتى في تيانجين عندما كنت في تشانغتشون ، ولكنه منذ فقد بصره اصبح غير قادر على كسب معيشته . وبعد التحرير قدرت السلطة الجديدة تقديرا عاليا لخبراته ومعلوماته التاريخية وعيته عضوا في احد معاهد الادب والتاريخ . وكانت هذه المعاهد قد اسست في جميع انحاء البلاد وضممت علماء كانوا قد اجتازوا الامتحانات الامبراطورية في عهد اسرة تشينغ ، واعضاء شهدوا احداث فترتى امراء الحرب وتشيانغ كاي شيك ، واعضاء اشتركوا في ثورة ١٩١١ ، واعضاء من المنظمة الثورية المبكرة – تونغ منغ هوى ، وحتى من الذين كانوا مغمورين في اسرار البلاط الاقطاعى الاخير . فأفعم بو شيو بالثقة في الحياة ، واعاد سرد ما تذكره عن تاريخ اسرة تشينغ للآخرين ليكتبوا نيابة عنه .

هذه الظواهر التى بدت طبيعية بالنسبة للمجتمع الجديد كانت جديدة كل الجدة بالنسبة لى فجعلتنى اتأثر تأثرا عميقا . ولكن الشئ الذى ترك عندى اعتمق الانطباع هو التغيير الذى رأيتنه في شقيقتى .

قبل ستة اشهر تقريبا تبادلنا الرسائل مع اخوتى واخواتى في بكين . فأدركت مما كتبوه ان تغييرات كبيرة قد طرأت على اسرتى ، ولكننى لم افكر في هذه المسألة تفكيريا جادا . خلال ايام ” امبراطورية منشوريا “ كان جميع اخوتى واخواتى ، ما عدا اخى الرابع واختى السادسة والسابعة ، يقيمون

معى فى تشانغتشون ، وقد رافقونى فى هربى الى تونغهوا . وبعد ان اسرت قلت خشية ان يعاموا على انهم خونة . كان زوج اختى الثانية هو حفيد رئيس وزراء "امبراطورية منشوريا" تشنغ شياو شيوى ، بينما زوجت الاخت الثالثة الى شقيق زوجتى الاولى الاصغر ؛ وتزوجت الاخت الخامسة ابن رئيس اركان تشانغ شيون ، الجنرال الماكي الذى اعادنى الى العرش عام ١٩١٧ . وكان هذان الزوجان كلاهما برتبة مقدم فى جيش "امبراطورية منشوريا" . وكان والد زوج اختى الرابعة هو الموظف الرسمى لأسرة تشينغ الذى ساءت سمعته لقتله امرأة ثورية بارزة تدعى تشيو جين عام ١٩٠٧ . وكان جميع ازواج اخواتى اما ضباطا واما موظفين لدى النظام الحميل . وكان زوجا اختى السادسة والسابعة وحدهما طالبين منتظمين ، ولكنى كنت ما ازال قلقا على هاذين الاختين من ان تكونا قد تعرضتا لسوء بسبب ان شقيقهما الاكبر هو كبير الخونة . وقد عمت هذه المخاوف جميع المساجين ، ولكن مخاوفى كانت اشد بكثير مما لدى الآخرين . ثم اظهر لى تبادل الرسائل بينى وبين اسرتى ان قلقى لم يكن له مسوغ . فأشقاى وشقيقاى قد تمتعوا بنفس الحق فى العمل كآخرين ، وامكن لأبنائهم ان يدخلوا المدارس ويتلقوا المنح الدراسية المعتادة . وكان شقيقى الرابع واختى السابعة ما يزالان معلمين فى مدارس ابتدائية ، وكانت اختى السادسة رسامة واختى الخامسة خياطة ، وكانت اختى الثالثة نشيطة اجتماعيا فاخترها جيرانها عضوة فى لجنة الزقاق مسؤولة عن الامن . وعلى الرغم من انهن كن يطبخن ويعتنين بأولادهن ، الا ان رسائلهن قد اظهرت انهن راضيات مسرورات . فلم اعد قلقا عليهن . والآن ، وقد رأيت هاتين الشقيقتين مرة ثانية وسمعت ما قالتاه لزوجيهما ، بدأت افكر فيهما اكثر فأكثر .

وما ازال اتذكر كيف حملت لاول وان زوج الاخت الخامسة وسألها :  
"أستطيعين حقا ان تركبى دراجة ؟ أ تستطيعين ان تخيطى ايضا ؟" هذه

كانت الاشياء التى اذهلته فى رسائلها ، فأراد ان يسألها عن ذلك شخصيا . وكان لديه السبب الكافى الذى يجعله مندهشا . فعندما كانت طفلة لم تكن تجرؤ حتى على الجرى ، وعندما كبرت احاطت بها الوصيفات والخدامات ، فلم تدخل مطبخا قط كما لم تلمس مقصا ؛ فكيف امكنها الآن ان تركب دراجة الى العمل وان تستخدم مقصا لتفصيل الثياب ؟ وهل هى خياطة تعيل نفسها حقا ؟

وكان الاشد اثاره للعجب هو الطريقة التى اجابت بها على اسئلتنا :  
” وما الغريب فى ذلك ؟ هذا شىء لا يستحق الذكر . “

وكانت الاخـت الثالثة قد مرت بامتحانات اصعب . فنظرا الى ان ابنها كان مريضا فانها لم تعد الى بكين مباشرة بعد استسلام اليابانيين ، بل مكثت فى تونغهوا مع مريبتين . لم يكن لديها ممتلكات وخافت من لفت الانظار بسبب اصلها ومجوهراتها وثيابها الفاخرة ففتحت كشكا لبيع السجائر فى تونغهوا وكادت ان تقع فى فخ عملاء الكومينتانغ كما خدعها تاجر باعها كبريت (شخاط) لا يشتعل . وبعد بضع سنوات من هذه الحياة غير الآمنة عادت الى بكين عام ١٩٤٩ . ونظرا الى انها عرفت شيئا عن سياسات الحكومة خلال احتكاكها بجيش التحرير الشعبى والحكومة الشعبية فى الشمال الشرقى ، وكذلك لما تمتعت به من ثقة جيرانها ، تم اختيارها لعضوية لجنة الزقاق . وكان جزء من عملها الذى تحدثت عنه بحماسة عظيمة هو شرح قانون الزواج الجديد .

لن يكون هذا مندهشا لأناس آخرين كما هو لى . لقد كانت هذه الاخـت اكثر دلعا من الاخـت الخامسة فى الماضى ، وكانت تسألنى دائما عن الهدايا التى اقدمها للناس وتريدها لنفسها . من كان يتوقع ان هذه الفتاة الكسولة المدللة التى لم تكن قادرة الا على طلب الاشياء ستصبح نشيطة اجتماعيا ؟ كان ذلك مما يصعب تصديقه وفهمه . . . لكنها كانت واعية للاسباب والحوافز

التي جعلتها داعية متحمسة لقانون الزواج الجديد والتي دذعتها احيانا الى ان تنفجر بالدموع وهي تقرأ الصحف .

فعلى الرغم من انها كانت مثقفة ثقافة جيدة وامرأة من النبيلات ، الا ان حياتها في الماضي كانت تافهة عديمة المعنى . وعندما كانت مقيمة مع زوجها في اليابان كتبت اليها مرة اطلب منها ان تخبرني بالحياة اليومية في تلك البلاد . فكان جوابها كما يلي : ” اننى اجلس في غرفتي مع خادمتي وهي تكوي لى ثيابي بجانبى . وخارج النافذة خادم عجوز يسقى الازهار ، وكلب صغير يرنو ، وهو رابض ، الى صندوق الحلوى . . . هذا كل ما استرعى انتباهي . “ لكنها الآن تحيا حياة ذات معنى وعندما تجلس في الرقاق لتقرأ الجرائد لجيرانها وهم يصغون اليها بانتباه فانها تستعيد الشعور بوجودها . وقد علقتم وهي تقص على ذلك : ” في الماضي لم اكن الا حلية . “

وحدثتني عن تجربتها يوم كانت في تونغهاو بعد استسلام اليابانيين : ” ذات يوم جاءت الميليشيا الشعبية الى وقالت ان ابناء الشعب يعقدون اجتماعا ويريدونى ان احدثهم فيه عن الماضى الذى عشته . وكنت مدعوة من اجتماعات النضال ضد الخونة وكنت مستعدة لأن افعل ما يريدون اذا عرفوا عنى . وفي ذلك الوقت رأيت بعض الكوادر ممن اخبرونى بألا اكون خائفة حيث ان الجماهير متعلقة تماما . وتوجهت الى المنصة وانا ارتعش خوفا ، وحدثتهم عن حياتي . وكانت هناك حشود ضخمة من الناس فيهم من جاؤوا لمجرد رؤية الاميرة . وعندما انتهيت من كلامي بدأ نقاش هامس . ثم نهض احدهم وقال : ’ انها لم تتصرف هي نفسها اى تصرف سيئ ، لذلك ليس لدينا اى شىء ضدها . ‘ فوافق كل من هناك على هذا الرأى وانتهى الاجتماع . وعندها ادركت ان الشعب متعقل جدا . “

وهذه النقطة الاخيرة هي ما فهمت انا كذلك ولو بعد حين .

وفي اليوم التالي من لقاءى بالاسرة صادف ان استلمت رسالة من الشقيقة الثانية ، قالت فيها ان ابنتها الكبرى فى السنة الثانية من كلية الرياضة البدنية وانها اصبحت مدربة غير متفرغة بارزة للسائقين . ولقد سافرت مؤخرا على دراجة نارية من تيانجين الى هانكو وكتبت اختى بكل سرور عن ان ابنتها التى كانت آنسة ارستقراطية قبل اثنتى عشرة سنة قد اصبحت الآن لاعبة ممتازة وان ابناؤها الآخرين مجدون فى المدرسة كذلك . وعندما ذكرت هذا للاختين الخامسة والثالثة مسحنا الدمع من عيونهما وحدثتاني عن ابنائهما حديثا مماثلا . واقعنى ذلك بأن قدر عشيرة آيشين - جيولوه قد تغير حقا .

قمت ذات مرة بحساب على اساس " السجل الشيبى " للاسرة الامبراطورية الذى اعيد تصنيفه عام ١٩٣٧ والمعلومات التى زودنى بها اخوتى واخواتى حول معدل عدد الوفيات بين اطفال فرعى فى عشيرة آيشين - جيولوه . فتبين ان ٣٤ فى المائة من الاطفال ماتوا فى عهد اواخر اسرة تشينغ ، و١٠ فى المائة خلال فترة الجمهورية ، ولا احد من الاطفال مات خلال السنوات العشر التى تلت التحرير . اما ارقام العشيرة فى جملتها فهى اعجب من ذلك حيث ان حوالى ٤٥ فى المائة من الاولاد والبنات من جيلى وجيل والدى ماتوا فى طفولتهم - دون الثانية من العمر فى الغالب .

هذه الحسابات لم اقم بها عندما قابلت عمى واختى ولو انها ذكرتنى الموت المبكر لعدد كبير من اطفال اسرتى فى الماضى . فى ذلك الوقت لم تكن مواهب وقدرات الجيل الاكبر تزيد على حمل اقفاص الطيور . ولم يكن لديهم ما يفعلون غير الانسلال من البوابة الخلفية واقفاص الطيور فى ايديهم ، او الجلوس لشرب الشاي من الفجر الى الغداء حيث تصف عشرة اطباق من الطعام لأجل العرض . فاذا انتهى الغداء اخذوا بالعربدة على اهل الدار .

اما الصغار فتادرا ما كانوا يدركون الحاجة الى تعلم اى شىء غير خدمة



ذويهم الكبار ومحاكاتهم . وعندما حل بهم الفقر عجز بعضهم عن مزاولة  
اي عمل لاعالة انفسهم وفشل آخرون في ايجاد عمل لظهار مواهبهم . وقد  
حدثت حالات كثيرة كهذه بعد جمهورية ١٩١١ .

لكن الامور تغيرت تماما الآن . فصغار الاسرة قد ضمنت حياتهم  
ومستقبلهم بشكل غير متوقع في الماضي . ان لدى شقيقى وشقيقاتى الست  
في بكنين سبعة وعشرين ولدا جميعهم في المدارس والجامعات عدا من هم  
دون سن الدراسة ، ولدى عمى تساي تاو ستة عشر حفيد او ابن حفيد يعمل  
احدهم فنيا في محطة كهرومائية وواحدة منهم من المتطوعين الشعبين وقد  
ابلت بلاء حسنا في كوريا ، والاخرى شغيلة ثقافة في الجيش والبقية ( ما عدا  
من هم دون سن الدراسة ) يدرسون او يشتغلون . واصبحت حياة الماضى  
في نظرهم مجرد مهزلة .

ولقى احد افراد هذا الجيل الاصغر مصيرا مختلفا . فقد كتبت زوجة اخى  
بوجيه الى زوجها من اليابان تقول له ان ابنتها الكبيرة ، وهى فى الثامنة  
عشرة من عمرها ، قد انتحرت مع صديقها الشاب بسبب قضية حب ،  
وقد سمعت منذ ذلك الحين كثيرا من الروايات المختلفة لهذه القصة ، وانا  
على قناعة بأن الشاب كان سيئ الحظ مثل ابنة اخى . هكذا كان التباين  
في مصير الشباب في فترات ومجتمعات مختلفة .

منذ تلك السنة والزيارات العائلية الى السجن مستمرة . ومما يستحق الذكر  
ذلك اللقاء الذى تم بين لاو ليو ، الاكثر تشككا ، وبين ابنته التى كانت  
تدرس لتصبح فنانة . فقد زارته مع زوجها المقبل . وسألته :

— ألا تصدق ذلك يا والدى ؟ اننى فى مدرسة فنية . وهذا هو خطيبى .

فأجابها والدها قائلا :

— نعم اصدق الآن .

— هل تعرف اننى ما كنت لأستطيع دخول المدرسة الفنية لو لا قيادة

ماو تسي تونغ ؟

— اعرف ذلك :

— ما دمت تعرف هذا فعليك ان تدرس جيدا وتصلح نفسك :  
ان لاو تشانغ كاد في السابق يفقد عقله عندما تسلم رسالة خاطبه فيها  
ابنه بكلمة " السيد " . ولكن ابنته الآن جاءت لتزوره ومعها رسالة من شقيقها .  
وقد اطلع تشانغ كل واحد في السجن تقريبا على هذه الرسالة ، وفيما يلي  
نصها :

والدى العزيز :

اننى ارى الآن اننى كنت " يساريا " متطرفا . ان التعليم الذى تلقيته  
من عصابة الشيبة ونقد رفاقى لى صحیحان تماما : كان ينبغي لى ألا اتخذ منك  
موقفا كهذا . . . ما هى الصعوبات التى تعترضك فى دراساتك ؟ اظن انك  
تستخدم القلم فى دراساتك ، لذلك اشتريت قلما وطلبت من اختى ان تجلبه  
لك . . .

## مجرمو الحرب اليابانيون

فى يونيو ويوليو ذهبت انا وبعض السجناء بصفتنا شهداء الى شنيانغ  
لحضور المحكمة العسكرية التى تحقق فى قضايا مجرمى الحرب اليابانيين .  
وقد قرأت فى الصحافة ان اكثر من الف مجرم حرب يابانى قد اعتقلوا  
فى الصين ، بعضهم فى فوشون وآخرون فى تايوان . وجميعهم ممن ارتكبوا  
جرائم خلال الغزو اليابانى للصين . وفى يونيو ويوليو عام ١٩٥٦ حكم على  
خمسة واربعين منهم فى شنيانغ وتايوان ، بينما لم تقدم البقية الى المحكمة بل  
اعيدوا الى بلدهم بمساعدة الصليب الاحمر الصينى . وهناك ستة وثلاثون  
سجيناً من مجموعة فوشون قد حكم عليهم فى شنيانغ على دفعتين . وكنت

اعرف احوال بعضهم ايام "امبراطورية منشوريا" ، وسمعت آخرين منهم يتحدثون في اجتماع في سجن فوشون . واحدهم كان فورومي تاداويوكي ، نائب رئيس سابق له " مكتب الشؤون العامة في مجالس الدولة لامبراطورية منشوريا " . وكنت انا واربعة وزراء عملاء سابقين سندي بشهادة ضده وضد رئيسه تاكيب روكوزو . وكان فورومي هو الذي سيحاكم اولاً ، وقد حكم عليه فيما بعد بالسجن ثمانية عشر عاماً (٢٠) .

ولدى دخولي قاعة المحكمة فكرت في الانتصار في الحرب الكورية والتوقيع المظفر لاتفاقية جنيف ومركز الصين في العالم منذ تأسيس الجمهورية الشعبية . ان محاكمة مجرمي الحرب اليابانيين على الاراضي الصينية امر ليس له نظير من قبل .

عندما انتصر متطوعو الشعب الصيني والجيش الشعبي الكوري في كوريا ظننت انه لا امل لي ما لم اعترف بذنبي واضع نفسي تحت رحمة الشعب الصيني . ومع جلب مجرمي الحرب اليابانيين الى المحكمة الآن لم اعد قلقاً على مستقبلي ، بل ملئت بدلاً من ذلك بالزهو الوطني . وفكرت بالاضافة الى ذلك في مشكلات اخرى كثيرة .

في القسم الاخير من الخطاب الذي القاه فورومي قبل الحكم عليه قال شيئاً كهذا :

ليس هناك انش مريع من الارض في الشمال الشرقي بأكماله الا ويحمل اثر الهجعة الامبريالية اليابانية ، وجرائم الامبريالية كانت جرائمى . اننى اعترف من اعماقي بأننى مجرم حرب انتهكت القانون الدولى والمبادئ الانسانية انتهاكاً صريحاً بارتكابى اشنع الجرائم ضد الشعب الصينى ، واننى اعتذر للشعب صادقاً عن جرائمى هذه . طوال السنوات الست الماضية عاملنى الشعب الصينى معاملة انسانية على الرغم من اننى مجرم مرعب ، واتاح لى فرصة لافكر ملياً فى جرائمى . وبفضل هذا استعدت وعيى وعقلى ، وتعلمت

اي طريق يجب ان يسلكه الناس . اننى لا اعرف كيف يمكننى ان ارد هذا  
العطاء الكريم الذى منحنى اياه الشعب الصينى .

واذكر اننى بعد ان ادليت بشهادتى سأله القضاة عما يريد تقديمه من  
الملاحظات . فانحنى انحناءة شديدة وقال ان كل كلمة من شهادتى صحيحة .  
وعادت بى افكارى الى المحكمة العسكرية الدولية فى طوكيو . فهناك  
استخدم مجرمو الحرب اليابانيون محامين لاثارة المتاعب ومهاجمة الشهود .  
واتبعوا ، املا فى تخفيف احكامهم ، كل وسيلة ممكنة لتغطية جرائمهم .  
ولكن فى هذه المحكمة اعترف جميع مجرمى الحرب بذنبهم وخضعوا  
للعقوبة .

وقد اخبرنى شقيقى وزوجا شقيقتى الشىء الكثير عن السجناء اليابانيين .  
وكانوا قد ساعدوا فى ترجمة اعترافات هؤلاء السجناء والرسائل التى ابردها  
بعضهم من اليابان بعد ان اعيدوا الى بلدهم . وعندما اطاق سراح زوجى  
شقيقتى كان بو جيه ولاو بانغ وآخرون هم الذين قاموا بهذا العمل . ومنذ  
عام ١٩٥٦ وأنا اسمع العديد من القصص عن مجرمى الحرب اليابانيين .  
كان احدهم قائدا عسكريا ، وعندما بدأ جهاز التحقيق عمله عام ١٩٥٤  
لم يخبرهم بشىء تقريبا . ولكنه اعترف فى هذه المحكمة بأنه قد وجه رجاله  
لارتكاب ست مذابح جماعية للمدنيين فى خبى وخنان . وفى اكتوبر  
١٩٤٢ قامت على سبيل المثال وحدة تحت قيادته بذبح اكثر من ١٢٨٠  
مواطن من سكان قرية بانجياى واحراق نحو الف بيت . وبعد ان حكم  
عليه بالسجن عشرين عاما قال للصحفى انه يستحق ان يحكم عليه بالاعدام ،  
واخبره كيف استجوب وحوكم على نحو منصف . ولقد زود ايضا بمحامى .  
” عندما اتذكر كم قتلت من ابناء الشعب الصينى وكم جعلت الحياة صعبة  
لعيالهم يتفطر قلبى ألما وأنا ارى اقرباءهم بالذات هم الذين يعنون بى

“ الآن .

وقابل الصحفيون عقيدا يابانيا سابقا على المركب اليابانى الذى كان عائدا  
به الى بلده دون ان يحاكم . ونظرا الى انه كان غاضبا جدا عندما سأله  
مرؤوسوه فى السجن عن جرائمه ، فقد املوا انه سيقول شيئا ما ضد الصين .  
وعندما لم يقل ما ارادوا ، سأله احدهم :

— لماذا تستمر فى التحدث على هذا النحو ؟ أما تزال خائفا من الصين ؟  
فأجاب :

— اننى على متن مركب يابانى ، فلماذا اكون خائفا من الصين ؟  
انا اقول لكم الحقيقة ، هذا كل شيء .

كان زوج اختى الثالثة مسئول المرضى فى احدى ردهات التمريض . وكان  
هناك مجرم حرب يابانى يثير المتاعب دائما للممرضات والسجانين ولا  
يحترم لوائح السجن ؛ ولكنه فى حفلة وداع اقيمت بعد اعلان اطلاق سراحه  
انفجر بالدموع والتقى خطابا تحدث فيه عن اخطائه . وكان هناك مريض  
آخر ليس متعبا كالسابق ، الا انه رفض ان يعترف بذنبه . وقد ارسل الى  
المستشفى لاجراء عمليتين طارئتين لسرطان مميت فى المستقيم ، وتبرع  
الطبيب له بشيء من دمه لانقاذ حياته . وبعد ان غادر المستشفى تحدث  
فى اجتماع كبير ذبح وعذب ابناء الشعب الصينى فى الماضى ، وقارن  
هذا بالطريقة التى اتبعها ابناء الشعب الصينى لانقاذ حياته عندما كان  
يحضر . وطوال تحدته وهو مستمعوه يندفون الدموع .

وذات مرة ، عندما كنا نسوى ارض الملعب لبنى احواض ازهار ،  
استخرجنا هيكلا عظيما ، قحفه مثقوب برصاصة . فقال لاو يوان ولاو شيان  
اللذان درسا شيئا من الطب الحديث انه لفتاة . وفيما بعد ترجم زوج شقيقتى ،  
لاو وان ، مقالة لمجرم حرب يابانى كان مدير هذا السجن فى الماضى ،  
يصف فيها الحياة الجهنمية للسجناء الذين كانوا محتجزين هناك . كان

المكان يضح بصرخات المعذبين وصدى قعقعة السلاسل . وكان متعفنا قدرا تكتسى جدرانته في الشتاء بالجليد ، وفي الصيف يمتلئ بالذباب والبعوض . وكان السجناء لا يعطون فيه الا طاسا صغيرا من الذرة الرفيعة كل يوم ويتعين عاينهم ان يقوموا بالاعمال الشاقة من الفجر الى الغروب . وكثير منهم ضربوا واجهدوا في عملهم حتى الموت . ومضت هذه المقالة تصف التغييرات التي طرأت على السجن منذ ذلك الحين والتباين الحاد بين الظروف في الماضي والظروف التي عاشها هو نفسه سجيننا .

وكتب كثير من مجرمي الحرب رسائل ومقالات قالوا فيها انهم شعروا بالخوف والكراهية عندما اعادهم الاتحاد السوفياتي الى الصين . وبعضهم ، مثلى انا ، حاول ان يفهم الامور على ضوء ايدولوجيته القديمة ، وانخفق في ان يرى لماذا عامله الشعب الصيني هذه المعاملة الكريمة . وعندما رأوا المرجل يبني تخيلوا انه سيكون غرفة للقتل ، وعندما رأوا التسهيلات الطيبة يزود بها السجن قدروا انهم سيخضعون للتجارب كما كان يحدث للسجناء ايام حكمهم ؛ وآخرون رأوا في هذه المعاملة اللينة والانسانية علامة ضعف ، ولكن انتصارات متطوعى الشعب الصيني في كوريا بينت لهم ان الشعب الذى عاملهم بهذه الحكمة لم يكن ضعيفا قط . وفي الحقيقة ان علامة الضعف هى القسوة والهمجية .

لقد شاع الكثير عن التغيرات التي طرأت على مجرمي الحرب اليابانيين قبل ان اسمع بها ، اذ كنت منهمكا في مشكلاتي الخاصة مما منعنى من ان افكر فيهم . والواقع ان هذه التغيرات قد اصبحت اكثر فأكثر وضوحا منذ عام ١٩٥٤ او نحو ذلك ، وقد كتب بو جيه في يومياته لعام ١٩٥٥ يصف المسرحيات وعزف الموسيقى والرقص التى اداها السجناء اليابانيون . واحدى المسرحيات كانت حول الآثار المرعبة التي خلفتها القنبلة الذرية التي القيت على ناغازاكي . وذكر ايضا اللقاءات الرياضية التي اقامها السجناء اليابانيون

على ارض الملعب الذى مهدوه بأيديهم .

والآن ، عندما استرجع ذكريات التغيير الذى طرأ عليهم ، اراه واضحا جدا . لماذا اصبح هؤلاء السجناء سعداء جدا ومنشرجى الاسايرير ؟ لماذا اخذوا معهم بعد اطلاق سراحهم الادوات الموسيقية التى كانت سلطات السجن قد اعطتهم اياها وعزفوا والدموع فى اعينهم وهم ينظرون الى الصين من على متن المركب اليابانى الذى كان يأخذهم الى وطنهم ؟ لماذا كانوا مولعين بغناء ” طوكيو - بكين “ ؟ لماذا قال حتى اولئك الذين حكم عليهم : ” انا متشكرون للشعب الصينى ونشعر بالخجل من . . . “

ان الرسائل التى ارسلها مجرمو الحرب اليابانيون الذين اعيدوا الى بلدهم غالبا ما احتوت عبارات كهذه : ” لقد تعلمت فى الصين كيف ينبغي للمرء ان يعيش “ ؛ ” الآن اصبحت اعرف ما معنى الحياة “ ؛ و ” عندما خطوات الخطوة الاولى فى طريق الحياة الانسانية اود ان اقول ايها السيد المدير اننى لن انسى ابدا دفء مصافحتك وانت ترجو لى صحة جيدة . “

وقرأ بعض السجناء فى الصحف اليابانية عن فتيات صاحبن القوات الامريكية على غرار ” فتيات الجيب “ (٢١) قبل تحرير الصين ، وادانوا مثل هذه النسوة بشدة . فكتب احد السجناء رسالة الى زوجته يسألها ان كانت هى ايضا قد فعلت ذلك . وعندما فحصت سلطات السجن هذه الرسالة ارجعوها الى كاتبها وطلبوا منه بصبر عظيم ان يعيد النظر فيها . ” هل من الملائم ان تكتب الى زوجتك رسالة كهذه ؟ حتى وان كان لديك اى مسوغ لطرح مثل هذا السؤال - وليس لديك هذا المسوغ - فغلاظة من ستكون هذه ؟ ليست غلاظتها بالتأكيد . “ فلم يقل السجنين شيئا بل كور الرسالة والقهاها على الارض . ثم وضع رأسه بين يديه وشرع يبكى .

لقد كانوا ممتنين للشعب الصينى الذى علمهم كيف يكونون صادقين والذى عاملمهم باللين . ومثلما تعلمت كيف ومن هم الاباطرة عرفوا هم حقيقة

العسكرية وحقيقة اليابان . وفي رسائلهم التي ارسلوها من اليابان وصفوا الازدياد المرعب في جنوح الاحداث . و اشاروا الى القواعد الامريكية في اليابان وكيف ان الدبابات تسير على ارضهم ؛ والطائرات العسكرية الامريكية تغطي سماءهم ؛ والجنود الامريكان يعتقدون على نساءهم . وكانت احدى الرسائل التي جاءت من رجل عاد الى قريته مملأى بالحديث عن التغييرات التي طرأت على الشباب هناك . ” بعضهم قد اصبحوا قطاع طرق ، وآخرون يقتلون بسبب النساء ، وبعضهم انضم الى قوة الدفاع الذاتي ويعيش حياة متفسخة منصرفا للشرب والنساء . “ وقال ان الشباب لا يطيعون والديهم ، وان الثقافة اليابانية قد انحطت وصارت اليابان مسرحا للانتهاكات .

وتحدثت السجناء الذين اطلق سراحهم عن الصين الجديدة وعن العسكرية اليابانية ، معارضين اعادتها ومطالبين بالاستقلال والسلم والديمقراطية . وقد كتبوا ذلك وسط المراقبة والقيود التي تجنّبونها ببراعة كبيرة .

وكان يعجبهم اداء الرقص الصيني بأنفسهم فتمنعهم الرجعية من ذلك ؛ فأخذوا يعلمونه للراقصين المحترفين الذين نشروا الرقصات الصينية في كافة انحاء اليابان . وطلب منهم ان يتحدثوا عن حياتهم في السجن وعن الصين الجديدة ، فتحدثوا عن الصداقة التي يكنها ابناء الشعب الصيني لشعب اليابان ، وعن موقفهم من الحرب الآن بعد ان اصبحوا اقوياء ، وعن آمالهم ومثلهم . بعض الناس متشككون ، وبعضهم له تحفظاته ، والآخرون مقتنعون . وقالوا ان الحكومة الموالية لأمريكا تكرههم للغاية ، بينما ايمان الشعب بما قالوه يزداد . وقد نشروا كتابا بعنوان « سياسة التدميرات الثلاثة » ( ٢٢ ) وصفوا فيه الاعمال الوحشية التي ارتكبتها الجيش الياباني في الصين كيف ابادوا السكان في بعض المناطق ، وكيف استخدموا ابناء الشعب الصيني كمواد للتجارب في الحرب البكتيرية ، وكيف شرحوا الناس احياء ، وما الى ذلك . وقد طبع من هذا الكتاب خمسون الف نسخة نفدت كلها في اسبوع .



وعندما سمع عدد من الجنرالات المتقاعدين احد زملائهم السابقين يصف تجربته في الصين ، ظاوا صامتين وقتنا طويلا قبل ان يقول احدهم :  
” ان فطرتنا وما عرفناه منكم تكفى لاقناعنا بحقيقة كل كلمة قلتموها لنا .  
ولكننا لا نستطيع ان نقول ذلك الا من خلف ابواب مغلقة . “

وعندما عاد عسكري سابق الى قريته ، جاء اهالى قريته لاستقباله  
حاملين راية كتب عليها ” نصر ابدى “ . ولكن عندما نزل من القطار التى  
خطابا مؤثرا اعمق التأثير ، فهم اهالى القرية منه بعد ذلك اسباب كارثة هيروشيما  
وبكوا . وسقطت الراية على الارض .

ان كثيرا من اهالى مجرمى الحرب كانوا من ابناء الشعب العامل البسطاء  
ومن الناس ذوى المشاعر الودية . وقد كتب عدد ليس قليلا منهم الى الحكومة  
الصينية فى الماضى يطلبون اطلاق سراح ازواجهم وابنائهم ” الابرياء “ .  
وسمح لبعضهم فيما بعد بالمجيء الى الصين لزيارة اقربائهم المسجونين .  
وعندما سمع هؤلاء ما قاله اقرباؤهم واستمعوا الى تساجيل الاتهامات التى  
وجهها ابناء الشعب الصينى امام المحكمة بكوا مع السجناء . وفهموا الآن ان  
هؤلاء السجناء مذنبون وان العسكرية قد غررت بهم .

ان التغيرات التى طرأت على مجرمى الحرب اليابانيين ، شأنها شأن  
التغيرات التى حدثت فى اسرتى ، قد هزتنى من الاعماق . وبرزت فى ذهنى  
حقيقة واضحة كل الوضوح : ان الحزب الشيوعى قد استخدم العقل فكسب  
قلوب الناس .

## ” المجد العالمى “

منذ النصف الثانى لعام ١٩٥٦ دأب الصحفيون على زيارتى والاجانب  
يكتبون الى يطلبون صورتي . وفى فبراير ١٩٥٧ استلمت رسالة من فرنسى يطلب

منى فيها ان اوقع له على صورة لى ، وقد ارفقها بمقالة لا اعرف ما الغاية منها .  
هذه المقالة تقول :

### امبراطور الصين السجين

ان المجد العالمى لا قيمة له : هذا يلخص حياة سجين سياسى ينتظر  
الآن الحكم عليه فى سجن فوشون فى الصين الحمراء . لقد لبس الحرير الثمين  
وهو طفل ، ولكنه الآن يلبس ثيابا رثة محشوة بالقطن فيما يمشى وحيدا فى  
باحة السجن . اسم هذا الرجل هنرى بوىسى . قبل ٥٠ عاما اعلان عن ولادته  
بعرض حيوى من الالعاب النارية ؛ والآن يعيش فى سجن . عندما كان هنرى  
فى الثانية من عمره اصبح امبراطورا للصين ، ولكن ست سنوات من الحرب  
الاهلية اطاحت به عن عرشه الامبراطورى . وكان عام ١٩٣٢ عاما هاما  
له " ابن السماء " هذا : فبدعم من اليابانيين اصبح امبراطورا لامبراطورية  
منشوريا . وبعد الحرب العالمية الثانية لم يعد احد يسمع به الى الوقت الحاضر ،  
عندما كشفت صورته اللافتة للنظر مصيره المأساوى . . .

لو ان كاتب هذه المقالة ارسلها الى قبل سنتين لأمكن ان اذرف عليها  
قليلاً من الدموع ، ولكنها جاءت متأخرة جدا . وفى جوابى اليه كتبت اقول :  
" اننى آسف ، فأنا لا يمكن ان اوافقك على رأيك . ولا استطيع كذلك ان  
اوقع على الصورة . "

قبل مدة غير طويلة وجه الى بعض الصحفيين الاجانب فى مقابلات  
معهم عددا من الاسئلة " المتعاطفة " الشبيهة بما ورد فى المقالة : " هل  
تشعر بالحزن لكونك آخر امبراطور فى اسرة تشينغ ؟ " " هل تشعر بأن من  
غير العدل انك لم تحاكم بعد كل هذه المدة الطويلة ؟ ألا تجد هذا مدهشا ؟ "  
فأجبت بأن ما كان محزنا هو حياتى الماضية وانا امبراطور لأسرة تشينغ  
وامبراطور عميل . اما بخصوص الاشياء المدهشة ، فلقد اذهلنى اللين الذى  
عوملت به . وبدا ان الصحفيين لم يفهمونى ، وتخيلت ان السيد الفرنسى الذى

كتب الى سيشاركهم دون شك في عدم فهمهم عندما يقرأ جوابى .  
ان ما كان مجيدا حقا في نظرى هو شهامة فانغ سو رونغ ، البنت التى  
نجت من المذبحة ، والكلمات البسيطة التى قالها فلاحو تايشانباو ، والتغيرات  
الكبيرة التى طرأت على شباب عشيرة آيشين - جيولوه ، ولهييب موقد الغاز  
في مطابخ عمال مناجم فوشون ، والمخارط الصينية التى حلت محل المخارط  
اليابانية في مدرسة الصنائع التى زرتها ، والحياة الآمنة التى يجاها العمال  
المتقاعدون في مأوى العجزة . أ كان هذا كله " لا قيمة له " بالنسبة لى ؟  
أ كان امرا لا قيمة له ان وضع الآخرون آمالهم وثقتهم في تحولى الى انسان  
حقيقى ؟ أ لم يكن هذا اهم الاحكام التى يمكن ان تصدر بحقى ؟  
اننى مقتنع بأن مشاعرى هذه يشاركنى فيها كثير من السجناء الآخريين ،  
وان بعضهم قد توصل الى هذه النتيجة قبلى . ان الكثير منا مصممون حقا  
على اعادة بناء انفسهم من خلال جهودهم الخاصة بحيث كانت سنة ١٩٥٧  
الجديد مختلفة تماما عن السنوات السابقة .

لقد كنا نقيم في عيد رأس السنة وغيره من الاعياد حفلات يؤدى فيها  
ذوو المواهب منا بعض العروض . وكانت الممرات التى تقام فيها الحفلات  
عادة تتدلى منها المصابيح واشرطة الزينة ، ويأتى هذا مع الطعام الجيد الذى  
يقدم لنا في تلك المناسبة فيعطينا شعورا زائدا بالسعادة . ولكن قبل رأس  
سنة ١٩٥٧ بوقت قصير شعرنا ان تلك الاحتفالات غير كافية ، وعزمنا على  
اقامة حفلة كبيرة في القاعة كما كان يفعل مجرمو الحرب اليابانيون . فأخبرت  
سلطات السجن لجنتنا الدراسية بأننا اذا كنا نظن ان بوسعنا ترتيب مثل هذه  
الحفلة فيمكننا ان نباشر ، ويمكننا ان ندعو مجرمى الحرب التابعين لتشيانغ  
كاى شيك الذين وصلوا مؤخرا ليكونوا متفرجين . وعندما نقلت لجنة الدراسة  
هذا الخبر الى الزنانات انطلقنا جميعنا بحماسة كبيرة .

لقد سررنا نحن السجناء سرورا عظيما لأننا قدرنا اننا سنقضى عيد رأس

سنة مسرورين . ودعمنا سلطات السجن لأن هذه الوسيلة التي تمكن السجناء من تثقيف انفسهم قد نجحت نجاحا كبيرا لدى مجرمي الحرب اليابانيين ؛ لقد كتب السجناء اليابانيون المسرحيات بأنفسهم ، وقد بنوها على اساس ما قرأوه في الصحف اليابانية . وكانت احدى هذه المسرحيات تتناول المخاوف الناجمة عن التفجيرات النووية في اليابان والجرائم التي ارتكبتها العسكرية اليابانية ضد شعب اليابان وبقيّة شعوب العالم . وقد تركت هذه المسرحيات تأثيرا تثقيفيا عميقا على الكتاب والممثلين والمتفرجين على السواء . لذلك قررت لجنتنا الدراسية ان تدرج في عرضنا مسرحيات من هذا الغرار . وقد لقي هذا الاقتراح دعما عاما ، وسرعان ما وضع الهيكل العام لتمثيليتين احدهما كانت " صحيفة حية " تدعى « هزيمة المعتدين » حول صد العدوان البريطاني على مصر ( عام ١٩٥٦ ) ؛ وكانت الاخرى حول التحول الذي طرأ على خائن من " امبراطورية منشوريا " وقد كتب التمثيليتين بوجيه وموظف سابق في حكومة وانغ جينغ وي العميلة .

ومع مضي العمل في التمثيليتين جرى اعداد جميع اشكال العروض الاخرى . فقد اعلن مشعوذنا لاو لونغ مثلا انه سيقوم بحيلة اكبر من اخراج البيض من قبة او ابتلاع كرات الطاولة . وكان اكثرنا انشغالا لاو وان ، رئيس لجنة الدراسة الذي كان مسؤولا عن جميع الترتيبات . وكان روى الصغير مسؤولا عن التزيينات ، ولى الكبير الذى اصبح عامل كهرباء بارعا هو الذى تعهد بالانارة .

اننى لم اشترك في السنوات السابقة في العروض التي كانت تتم في الممرات ، ورأيت ان من غير الملائم ان اكون ذا نفع في تلك الاستعدادات . وهذه المرة ايضا توقعت ان لا يطلبننى الآخرون لأية مهمة ، ولكننى دهشت دهشة كبيرة حين اكتشف رئيس زنزانتنا لاو تشو اننى استطيع ان اغنى على نهو مقبول ، وعيننى في الجوقة . فتأثرت تأثرا عميقا ، وغيت بمتهى الحيوية .

وبعد ان تعلمت اداء اغنياتي ، استدعاني لـاو وان رئيس اللجنة الدراسية  
وقال لى :

— يا بوى هناك دور لك فى التمثيلية الاولى . انه ليس صعبا جدا ،  
وليس فيه اسطر كثيرة تستدعى الحفظ . وعلى اية حال يمكنك ان ترتجل  
اذا اردت ذلك . وهذا عمل ذو شأن وجزء من التثقيف المتبادل . . .  
— لا داعى الى ان تقنعنى . ما دمت ترى اننى ملائم لهذا الدور فانى  
على استعداد لتأديته .

فقال لـاو وان مبتسما :

— بالطبع تستطيع ذلك . انك ملائم لهذا الدور بالتأكيد . ان لك  
صوتا واضحا قويا . انك . . .

— هون عليك . اى دور تريدنى ان اؤديه ؟

— لقد سمينا المسرحية « هزيمة المعتدين » ، وانها تدور حول الغزو  
البريطانى لمصر والاهتياج الذى سببه هذا الغزو . وهى مبنية على اخبار  
الصحف . وسيقوم لـاو رون بالدور الرئيسى — بوصفه وزير الخارجية البريطانى  
سلوين لويد . وانت ستمثل نائبا عماليا من الجناح اليسارى .

وذهبت لأرى بوجيه واقرأ النص واسمع شرحه لهذا النص واسجل الاسطر  
التي سأقولها . ثم تعين على ان اختار بدلتى . ونظرا الى اننى كنت اقوم  
بدور اجنبى فمن الطبيعى ان البس بدلة من الثياب الغربية التى لم يكن السجن  
يفتقر اليها حيث كانت كثير من ثياب السجناء محفوظة فيه . وعدت الى  
زنزانتى بالبدلة الزرقاء التى لبستها فى المحكمة العسكرية الدولية فى طوكيو ، وهى  
عبارة عن قميص وربطة عنق وثياب اخرى . نظرا الى عدم وجود اناس غيرى فى  
الزنزانة فقد لبست بمفردى . وعندما لبست قميصا ابيض دخل لـاو يون  
وسألنى مندهشا عما افعل .

ونظرا الى اننى كنت مهتاجا وطوق قميصى ضيق جدا فانى لم استطع

الاجابة فى البداية . واخيرا قلت لاهثا : ” اننى سأقوم بأداء دور فى مسرحية .  
تعال وفك لى الحزام الذى فى مؤخر صدرتى . “  
ففعل ذلك ولكن الصدرية ظلت ضيقة جدا . فأدركت اننى قد ازدادت  
وزنا . ولقد ضغط حذاءى الجلدى المستورد من انكلترا قديمى ، لذلك سألت  
لاو يوان فى تردد ان كانت هناك حاجة للبس حذاء جلدى لتأدية دور نائب  
من حزب العمال البريطانى .

– ستحتاج الى ذلك بالتأكيد . ان نواب حزب العمال البريطانى يستخدمون  
حتى العطور ، لذلك لا يمكنك بالطبع ان تلبس الحذاء القماشى المحشو  
بالقطن . لا تلتاق ، ان حذاءك الجلدى لن يؤذى قدميك اذا واطيت على لبسه  
بعض الوقت ، والصدرة يمكن ان تعدل . اذهب وتعلم الاسطر التى ستقولها .  
انه لخبر عظيم ان تقوم بالتمثيل .

وانهى كلامه بضحكة ظلت ترن فى اذنى وانا خارج امشى فى الممر ،  
كنت منشراح الاسارير : لقد قال لاو وان ان هذا سيكون ثقيفا ذاتيا ونوعا من  
المساعدة المتبادلة . وكانت هذه هى المرة الاولى التى اساعد فيها الآخرين  
بدلا من ان اكون انا الذى احصل على مساعدتهم . وفوق هذا كله اصبحت  
لدى قدراتى كأتى انسان آخر تماما ، واصبحت على علاقة مساواة بالآخرين  
عندما طلب منا مساعدة بعضنا بعضا .

ومنذ ذلك الوقت رحت اتلو اسطرى دون انقطاع . وكانت هذه الاسطر ،  
كما قال لاو وان ، قصيرة جدا . وكان دورى من اصغر الادوار فى المسرحية .  
وفى نهاية المسرحية التى سلوين لويدي خطابا فى مجلس العموم ليبرر اخفاق  
الغزو ، فبدأ بعض نواب المعارضة يسأله ، ثم اشترك الجميع فى الهجوم  
عليه . وعند هذه النقطة كان على ان اقف فى وسطهم واقول مخاطبا سلوين  
لويدي : ” لا حاجة الى ان تستمر فى الدفاع عن تصرفاتك . انها تصرفات  
مخزية ، مخزية ، واقول ثانية مخزية . “ ويفترض ان تموج القاعة حينذاك

بالشائهم الغاضبة وبمطالبة لويد بالاستقالة ، وخلال ذلك اصبح انا : ” اخرج ! اخرج ! “ كان لهذه التمثيلية عقدة بسيطة جدا ، اهم عنصر فيها تلك المناظرة البرلمانية التي تستمر خمس عشرة دقيقة فقط . وقد امضيت اضعاف هذا الوقت استعد لدورى مخافة ان انسى اسطرى او اخطئ فيها مخيبا بذلك الآمال المعقودة على . لقد عانيت فى الماضى من الارق او كنت اتحدث فى نومى ، ولذلك لأننى كنت قلقا او خائفا . اما الآن فأنا اعانى الارق للمرة الاولى بسبب الاثارة والاهتياج التي سببتها لى هذه التجربة الجديدة .

وعندما حل عيد رأس السنة وذهبت الى القاعة من اجل الحفلة انساني الجوهرجاني والمسرح الرائع ما كان عندي من توتر . وبدا عرضنا جيدا بالقياس الى حفلات مجرمي الحرب اليابانيين : غناء جوقة وغناء منفرد ، واغان ورقصات منغولية ، وحديث متداخل ، وقصائد مصحوبة بالمخشخشات ، والعباب سحرية ، ومسرحية الصحيفة الحية « هزيمة المعتدين » ، ومسرحية « من الظلمة الى الضياء » . وعندما رأينا مدى التأثير على مجرمي الحرب من اتباع تشيانغ كاي شيك تغامزنا فى انفعال .

واديت الفصول الاخرى اداء ناجحا استدعت الكثير من التصفيق . وكانت المادة الاولى بعد الاستراحة هى مسرحية الصحيفة الحية . وبدأت المناظرة . وظهر لاورون بملابس سلوين لويد . ونظرا الى انه كان يملك انفا كبيرا فقد كان الوحيد الذى بدا كانكليزى ، وكان تمثيله بارزا : لقد كان فى غضبه وخوفه ويأسه وغطرسته الصورة الحية لوزير الخارجية المهزوم . وبعد عشر دقائق تقريبا همس الى لاورون ( وهو تصرف كان ضمن النص ) : ” لا تكن متعشبا جدا . قم بحركة ما . “ وحدقت الى الامام ناظرا الى المتفرجين . وتماكنتى شعور بأن اهتمام الجميع قد تركز على ، عضو البرلمان اليسارى من حزب العمال ، فجعلنى ذلك شديد التوتر . لم يتبته الى احد عندما كنت اغنى فى الجوقة ، اما الآن فأعين الجميع نظرت الى . وقبل ان

استرد هدوئى استحثنى لاو يوان قائلا : " قل شيئا ما ، قل شيئا ما لتدحضه . " فوقفت متوترا والفتت الى لاو رون الذى كان ما يزال مسترسلا فى الحديث ، وكنت قد نسيت كلمائى . ولكن جاءنى الالهام فى اللحظة الحرجة فصححت بالانكليزية " لا ! لا ! لا ! لا ! " واسكتت صيحاتى هذه لاو رون ، وتذكرت اسطرى . وبعد ان قلتها سمعت دوى التصفيق من المتفرجين وصيحات " اخرج ! اخرج ! " تنبعث من المسرح . وغادر وزير الخارجية خشبة المسرح وهو يعدو مضطربا .

وكان لاو يوان اول من هنأنى بعد انتهاء العرض قائلا : " انك لم تخطئ التصرف مطلقا . وعلى الرغم من انك كنت متوترا بعض الشيء ، الا انك لم تخطئ قط . " ثم عبر الآخرون عن رضاهم وعلجوا بالضحك للكلمات التى ارتجلتها .

وهدأت القاعة تدريجيا ، وبدأت تمثيلية « من الظلمة الى الضياء » التى نقلتنا الى عالم مختلف . فأظهر المشهد الاول كيف ان اثنين من موظفى الشمال الشرقى السابقين اصبحا خائنين قياديين . وفى المشهد الثانى حاولا التواطؤ مع الكومينتانغ بعد استسلام اليابانيين ، ولكن الجيش الاحمر السوفياتى اسرهما . وفى المشهد الثالث حاولا خداع السلطات بعد ان اعيدا الى الصين ، ولكنهما لم ينجحا فى ذلك ، وفى النهاية استجابا للتثقيف الذى تلقياه من الحكومة ولسياسة اللين التى اتبعتها ، فاعترفا بذنوبهما وقبلا اعادة البناء . وعلى الرغم من ان التمثيلية لم تكن ممتازة فى تأليفها ، الا اننا نحن مجرى الحرب استطعنا ان نرى انفسنا فيها . لقد ذكرتنا بماضينا ، وشدت انتباهنا ، وجعلتنا نشعر المزيد من الخجل من انفسنا . وقد تضمن احد فصول التمثيلية كيف اجبر بعض الخونة ابناء الشعب على بناء معبد الامبراطور جيمو . وعرف " الفم الكبير " ان هذه قصته ، وسمعه الآخرون يغمغم : " ما الغاية من اظهار ذلك العمل المخزى ؟ " وفى مشهد آخر ظهرت مجموعة



اخرى من الخونة يجلسون في غرفة ويتملقون اليابانيين ، مقترحين عليهم وسائل لسلب المحبوب من ابناء الشعب في الشمال الشرقى . وسمعت شخصا بجانبى يزفر قائلا : ” ما اقدر هذا التصرف ! ” اما انا فشعرت ان اقدر شىء ليس ايا من هذه الشخصيات في المسرحية بل المشكاة المغطاة بستارة في زاوية القاعة والتي علقت فيها ” الصورة الامبراطورية الحقيقية ” للامبراطور الخائن . وعندما انحنى لها المشائون في المسرحية في كل مرة ظهوروا فيها على المسرح ايقنت ان هذا هو اقدر شىء في العالم .

وجاءت ذروة الحفلة في المشهد الاخير عندما شرح موظفو الحكومة سياسة اعادة بناء المجرمين . ودوى التصفيق وترديد الشعارات اعلى من اى شىء آخر كان يسمع من قبل . وهذا لم يكن راجعا الى المسرحية نفسها بقدر ما كان راجعا الى التأثيرات الموحدة التى خلفتها الرسائل والزيارات العائلية ورحلاتنا الى خارج السجن واعترافات مجرمى الحرب اليابانيين في المحكمة العسكرية وعوامل اخرى . ووسط الهتاف والتصفيق اللذين صكنا الآذان امكن سماع نحيب مكبوت . لاو ليو الذى لم يكن يصدق ان ابنته تلقت عناية جيدة الا بعد ان رآها بأمر عينيه كان يهتز بالنحيب ؛ ولاو تشانغ الذى اصبح ثانية على علاقة جيدة بابنته كان يجأر بالبكاء وقلم الحبر يلتمع في الجيب الذى على صدره .

ان العواطف التى اثيرت في هذه الحفلة قد اظهرت لنا اى نوع من ” المجد ” كان ما يزال ممكنا بالنسبة لنا في هذا العالم الحالى ، ” المجد ” الذى كان يزداد اشراقا ووضوحا على الدوام . وبعد رأس السنة مباشرة اطلق سراح ثلاثة عشر سجينا دون محاكمة ، وكان من بينهم ابناء اشقائى الثلاثة ولى الكبير . وبعد ان ودعناهم اقمنا حفلة اكبر من هذه تعطلتها مسرحية عن قرية في الشمال الشرقى في فترة ” امبراطورية منشوريا ” وبعد التحرير . ومن ثم اطلق سراح اربعة سجناء آخرين ، من بينهم زوجا شقيقتي . وهذا

كان في الوقت الذي استلمت فيه رسالة الفرنسي التي يتحدث فيها عن "المجد العالمي".

## زيارة اخرى

في النصف الثاني من عام ١٩٥٧ خرجنا في جولة اخرى ، وهذه المرة الى شنيانغ وآنشان وتشانغتشون وهاربيين . ورأينا مشروع خزان مياه في داهوفانغ بالقرب من شنيانغ وثمانية عشر مصنعا وست وحدات علمية ومدارس وثلاث مستشفيات ومعرضين وقصرا لرياضة . وفي هاربيين زرنا المنطقة التي عانت من النكبة التي انزلتها بها وحدة البكتريا اليابانية ٧٣١ وقاعة شهداء الشمال الشرقي . وتركت في نفوسنا هذه الجولة انطبعا عمق مما تركته الجولة السابقة .

ان معظم المؤسسات التي زرناها قد بنيت حديثا باستثناء عدد ضئيل من المؤسسات الموروثة من اليابانيين . فالمصانع اليابانية كانت قد حطمت تحطيمًا كاملاً تقريباً عند الاستسلام . كما كان اليابانيون والكومييتانغ قد خربوا مصنع آنشان للحديد والصلب ومصنع الآلات في شنيانغ . وبعد ان تسلمتهما الحكومة الشعبية اعيد بناؤهما ، وسعا الى حجمهما الحالي الضخم . وقد ذهل كثير من وزراء "امبراطورية منشوريا" السابقين الذين كانوا قد رأوا هذه المصانع في الماضي بهذا النمو الذي اصبحت عليه . واكثر ما ادهشني هو كمية المعدات التي تحمل العلامات التجارية والمواصفات باللغة الصينية . لقد فكرت ، على ضئالة خبرتي ، كم من المعدات سيكون مكتوبا عليها "مصنوع في امريكا" او "مصنوع في المانيا" عندما ذكرت لنا الآلات ، اما الآن فقد رأيت مجموعات كاملة من المعدات كتب عليها "صنع في الصين" . وكانت هذه المصانع قد بدأت تنتج

للتصدير ايضا . ومما جعلنى بالفخر تلك المنتجات التى رأيتها تخرج من المصانع تحمل الكلمات التالية : ” صنع فى جمهورية الصين الشعبية “ . وفى مصنع آشان للحديد والصلب وقفت امام البنائات الهائلة من الحديد والصاب وحاولت عبثا ان افكر كيف تولد كل هذا من ركام معدنى مهمل . ولكن هذا ما قد حدث فعلا . عندما ترك اليابانيون آشان قالوا : ” اتركوا آشان للصينيين كى يزرعوا فيها الذرة الرفيعة . فحتى لو ارادوا ان يبدأوا فى تشغيل هذا المصنع ثانية ، فانهم يحتاجون الى عشرين سنة على اقل تقدير . “ ولكن الشعب الصينى لم يستغرق عشرين سنة بل ثلاث سنوات فقط ليستأنف تشغيلها ويحقق انتاجا سنويا يبلغ ١٣٥٠٠٠٠ ر٣٥٠ طن ، وهذا اعلى بكثير من الرقم الذى سبق ان تم التوصل اليه فى فترة ” امبراطورية منشوريا “ . وبعد خمس سنوات ارتفع الانتاج السنوى الى ٥٠٠٠ ر٣٥٠ طن ، وذلك اكثر من مجمل الانتاج خلال واحدة وثلاثين سنة منذ تأسيس مصنع شوى للصلب على يد اليابانيين عام ١٩١٧ حتى الانسحاب النهائى للكومينتانغ عام ١٩٤٧ . ورأيت اشياء كثيرة كهذه فى الجولة ، بينت لى بأن الشعب الصينى قد نهض . فالشعب لم يحقق انتصارات عسكرية فمحسب ، بل استطاع ان يتصر على الجبهة الاقتصادية ايضا . ولو اننى لم اشهد هذا بعينى ، او لو ان احدا تنبأ به قبل عشر سنوات ، لكنت متشككا كاليابانيين الذين نصحوا الصينيين بأن يزرعوا الذرة الرفيعة .

لقد نسيت خلال السنوات الاربعين الماضية اننى صينى ايضا . فقد انضممت الى اليابانيين فى الاشادة بأمتهم كأروع امة على وجه الارض ، وشاركت تشنغ شياو شيوى اوهامه فيما يتعاق باستخدام ” موظفين اجانب “ و ” قوة اجنبية “ للاستفادة من موارد الصين ؛ وكثيرا ما تأفقت مع بو جيه من غباء الصينيين اذا قورنوا بأبناء العرق الابيض الازكياء . وحتى بعد دخولى السجن ظلمت ارفض تصديق ان الصين الجديدة ستكون قادرة على الاحتفاظ

بمكانتها في العالم . وبدلا من ان اكون مزهوا بانتصار القوات الشعبية الصينية والكورية في معارك كوريا كنت مدعورا من ان يلقي الامريكويون قنابل ذرية عليا . ولم اكن قادرا على فهم السبب الذي جعل الحزب الشيوعي الصيني يتجراً على فضح الامبريالية الامريكية على منبر الامم المتحدة او السبب الذي جعل وفود الجانب الصيني - الكورى تتجراً على تحذير الامريكان في محادثات " بان مون جوم " من انهم لن يكونوا قادرين على ان يكسبوا على مائدة المفاوضات ما اخفقوا في كسبه في ميدان المعركة . وباختصار ، كنت مصابا بحالة سيئة جدا من " داء العظم الطرى " .

وبعد ان وقعت الهدنة الكورية ولعبت الصين دورا جديدا في الشؤون العالمية في مؤتمر جنيف ، فكرت في علاقات الصين الدولية منذ حروب الافيون : منذ عهد والد جدى الامبراطور داو قوانغ الى الكوميتانغ وتشيانغ كاي شيك ، كانت الصين مصابة بهذا الداء " داء العظم الطرى " . وخلال تلك السنوات المائة والتسع جاء حملة المدافع والافيون والمبشرون المزييفون - الاجانب الذين ظنوا انفسهم اعلى حضارة ومنزلة - الى الصين وحرقوا وقتلوا وسلبوا واحتالوا . لقد ركز الغزاة الاجانب قواتهم في عاصمة الصين وموانئها ومدنها الكبيرة وطرقها الحيوية وحصونها الهامة . واعتبروا الصينيين عبيدا وبدائيين وجعلوا منهم دريئة لهم . وسببوا للصين كثيرا من ايام الخزي الوطنى ، واجبروها على توقيع المعاهدات التى حولت شعبها الى عبيد . ان تعابير مذلة كثيرة قد ظهرت في التاريخ الدبلوماسى لتلك الحقبة : تساوى الفرص ، الباب المفتوح ، الدولة الاكثر حظوة ، الاراضى المؤجرة ، التعرفة المرهونة ، الساطة القضائية القنصلية ، حقوق الحماية العسكرية ، حقوق البناء الخطوط الحديدية ، حقوق التعدين ، حقوق النقل النهري ، حقوق النقل الجوى ، وما الى ذلك . هذا مع ما تمتعوا به من الامتيازات الخاصة حيث كان الاجنبى غير خاضع لاختصاص المحاكم الصينية عن جرائمه التى يرتكبها

ضد الصينيين كاختصاب النساء وكانت دية الصينى اذا قتله اجنبى ثمانين دولار وهى اقل بعشرين دولار من دية الحمار .

ولكن هذه الحقبة المخزية قد ولت الى الابد . فلقد نهض الشعب الصينى وشرع الآن يبنى بلاده بكل ثقة ، جاعلا الاجانب الذين ضحكوا استهانة منا يغلغون افواههم .

لقد سمعت عند زيارتى مصنع السيارات فى تشانغتشون ان تلاميذ احدى المدارس الابتدائية ارادوا زيارته عند بدء الانتاج فيه . فرتب المصنع ان يرسل لهم باصا مستوردا لاجضارهم ، ولكنهم اصرروا على الذهاب فى شاحنة صينية الصنع .

ان الوطن الام قد حل منزلة سامية فى نفوس الاطفال ولكنه ظل اربعين عاما لا يعنى شيئا بالنسبة لى .

ان بوسع اى صينى اليوم ان يفخر بأنه صينى اينما كان ومهما كان . لقد كنت فى الماضى دائم الفضول بخصوص كيفية معيشة الآخرين — باستثناء فترة ” امبراطورية منشوريا “ الاخيرة وكانت اول مرة خرجت فيها لاشباع هذا الفضول هى عندما زرت قصر والدى ، والمرة الثانية كانت عندما تدرعت بمرض تشن باو تشن وذهبت لرؤيته . ولقد تأثرت تأثرا عميقا بالحرية فى حياتهما . وعندما انتقلت الى تيانجين شعرت ان ” الصينيين ذوى المنزلة العالية “ الذين رأيتهم فى المطاعم الغربية وحدائق التسلية الاجنبية كانوا اكثر منى حرية مع انهم ليسوا من اصل عريق ؛ ولهذا السبب لم اعجب بهم كثيرا ، ولكننى ظلمت فضوليا بشأنهم . وفى ايام ” امبراطورية منشوريا “ كنت شديد الفائق على مركزى فلم تكن امامى فرصة للشعور بالفضول الشديد . وبعد اعادتى الى الصين لم اظهر اهتماما بمسائل كهذه فى البداية ، شاعرا ان حياة الآخرين ليست مهمة بالنسبة لى ، ولكن عندما نظرت الى مستقبلى نظرة تفاعلية اصبحت هذه الاشياء تعنى الكثير عندى . وفى هذه الجولة ابدت

اهتماما كبيرا بالطريقة التي يعيشها الناس ، وما اكتشفته اثار في نفسى الذكريات وسبب لي ألما شديدا .

لقد تركت هارين في نفسى اعمق الانطباع . فخط الاطفال الحديدى في منتزه الاطفال هناك ذكرنى كيف كنت العب مع النمال في طفولتى ونسبة العائشين من المواليد الجدد في مستشفى الاطفال ، والمستوى الصحى العام يندان عن تخيل اسرة تشينغ الامبراطورية . وعندما جلست على مقعد في جزيرة الشمس في هارين ، انظر الى قوارب المتعة في النهر واستمع الى الشباب يغنون ويعزفون الاكورديونات ، استعدادت ذكرى النصف الاول من حياتى . اننى لم يسبق لى ان غنيت مستمتعا ، او لم يسبق لى ان عرفت متعة الجلوس على العشب تحت الشمس بمفردى ، ناهيك عن تمكى من التمشى كما يحلو لى . لقد كنت في تلك الايام قلقا اخشى ان يخدعنى الطباخ ، واخاف ان يقتلنى اليابانيون . اما هنا فقد بدا الناس متحررين من الهم والقلق . لقد كان على مقربة منى فنان شاب يرسم الطبيعة ووراءه حقيبته وأشياؤه وهو مستغرق في الرسم ، لم يلتفت اليها مرة واحدة ليتفقددها . لقد بدا واثقا كل الثقة بأنه في امان . وهذا كان شيئا لا يمكن تصوره في زماننا .

وقد رأيت في المنتزه صندوق خشبى داخل كشك للهاتف لصقت عليه ورقة كتب عليها : ” الرجاء ان تضع اربعة فئات في الصندوق مقابل كل مكالمة . “ واخبرنى احد زملائى من السجناء انه كان هناك ناد في جزيرة الشمس في الماضى . كان المرء يدفع فيه بقشيشا حتى حين دخل المرحاض . ولكن الرسائل التى تأتينا من الاهل اليوم تخبرنا ان العاملين في اى مطعم او فندق او حمام او اى مكان من هذه الامكنة سوف يشعرون بالاهانة اذا ما حاولت اعطاءهم بقشيشا .

لقد قمنا بزيارة لمكانين في الايام الاخيرة من وجودنا في هارين ، فأظهرتا لى هاتان الزيارتان الفرق بين نوعين من الناس في هذا العالم . زرنا اولاً المكان

الذى ارتكبت فيه وحدة البكتريا اليابانية رقم ٧٣١ اعمالها الوحشية ، ثم  
زرنا قاعة شهداء الشمال الشرقى .

هناك كتاب يدعى « وحدة البكتريا رقم ٧٣١ » نشره فى اليابان بعد الحرب  
العالمية الثانية رجل يدعى اكياما هيروشى كان عضوا فى هذه الوحدة . ووفقا  
لهذا الكتاب كانت هناك مجموعة من المباني يبلغ محيطها اربعة كياومترا  
تقريبا ، وكان المبنى الرئيسى بينها يبلغ حجمه اربعة اضعاف حجم مبنى  
مارونوتشى فى اليابان . وكان فيها حوالى ٣ آلاف شخص . وفى هذا المبنى  
ربوا عشرات الآلاف من الجرذان . وبالإضافة الى ذلك كان لديهم ٤٥٠٠  
محضن من طراز اشى ربوا فيها اعدادا فلكية من البراغيث وانتجوا ٣٠٠  
كيلوغرام من جراثيم الطاعون الدبلى شهريا . وكان هناك سجن اعتقل فيه  
اربع او خمسمائة من اسرى الحرب او الوطنيين المعادين لليابان لاستخدامهم  
فى التجارب . وكان الاسرى من ابناء الصين والاتحاد السوفياتى وجمهورية  
منغوليا الشعبية . ولم يكن يشار اليهم على انهم اناس بل " زناد خشب " .  
وستمائة منهم على الاقل كانوا يعذبون حتى الموت كل سنة ، وكانت التجارب  
التي تطبق عليهم على درجة من القسوة لا توصف . فيوضع بعضهم عاريا  
فى ثلاجة التجارب حتى يتجمدوا ثم ينتزع اللحم من عظام ايديهم وهم تهتز ؛  
وآخرون كانوا يمددون على طاولة العمليات مثل الضفادع بينما يقوم عاملون  
يلبسون المآزر البيضاء بتشريحهم ؛ وغيرهم كانوا يربطون بجذوع الشجر عراة  
الا من سراويلهم الداخلية ثم تفجر امامهم القنابل الجرثومية ؛ وغيرهم كانوا  
يطعمون جيادا ثم يحقنون بالجراثيم ، واذا لم تقتلهم هذه التجربة فانها تكرر  
الى ان يموتوا .

وعندما كان مؤلف الكتاب يشغل فى هذه الوحدة سمع ان الجراثيم التى  
كانت تتكاثر هناك افتمت من اى سلاح آخر ويمكنها ان تقتل ١٠٠ مليون  
انسان ، وهذا ما فاخر به الجيش اليابانى نفسه .

وعندما كان الجيش الاحمر السوفياتى يقترب من هاربين حاولت هذه الوحدة ان تغطى كل اثر لجرائمها . فسمم اليابانيون جميع السجناء الباقين ، مخططين لاحراقهم وتحوييلهم الى رماد ثم دفنهم بعد ذلك فى حفرة كبيرة . ونظرا الى ان الجلادين كانوا فى ذعر وهلع ، فانهم لم يحرقوا الجثث احراقا تاما ولم يستطيعوا نقلها كليا الى الحفرة . فسحبوا منها الجثث نصف المحروقة وفصلوا اللحم عن العظم ، ثم احرقوا اللحم الى ان اصبح رمادا ووضعت العظام فى مساحن لسحنها . وفى النهاية دمرت المباني الرئيسية بالمفجرات .

وبعد مدة غير طويلة كان شخص من قرية مجاورة يمر بجانب ركام تلك المباني فرأى بعض البراغيث تتقاذف داخل جرة خزفية مكسورة . وقد عضه احد هذه البراغيث . ولم يدرك انه قد اصيب بعدوى الطاعون الدبلى الذى خلفه المجرمون عندما غادروا . وانتشر الوباء فى القرية وعلى الفور ارسلت الحكومة الشعبية جيشا من العاملين فى الطب لمعالجة هذا الوباء ولكن على الرغم من كل ما بذلوه من جهود مات ١٤٢ شخصا فى هذه القرية التى تعد حوالى مائة اسرة فقط .

وقد شهدت هذه الحادثة المروعة جيانغ شو تشينغ ، عضوة تعاونية وعاملة نموذجية كنا قد زناها . وبعد ان اخبرتنا بهذه الجرائم التى ارتكبت ضد هذه القرية فى ايام "امبراطورية منشوريا" قالت : " لقد استسلم اليابانيون وتركوا اسلحتهم وهيأت لنا الحكومة الشعبية ان نعيش سعداء . فلدينا ارضنا ، واننا نحفظ لأنفسنا بالمحاصيل التى نحصدنا . ونحن فى غاية السعادة ونقول ان كل شىء رائع تماما لأن الحياة سائرة نحو الافضل ونحن تحت قيادة الحكومة الشعبية . لم نكن نعرف ان شرور اليابانيين لا نهاية لها وانهم تركوا هذا خلفهم عندما غادروا . يا للقساة ! "

ولاحظت شيئا متشابها فى بيت جيانغ شو تشينغ الصغير الاثيق وفى المكاتب الواسعة التابعة للتعاونية الزراعية : كلما تحدث اعضاء تعاونية النجم



الذهبي عن الماضي تكلموا قليلا وفي تودة ، ولكن في اللحظة التي يتحول فيها الموضوع الى الحديث عن الحاضر او المستقبل فان الجو يختلف تماما . فعندما تحدثوا عن القطاف الذي كانوا يقومون به في ذلك الوقت ، ولا سيما لمحصول الخضار ، تكلموا بكل تباه ودخلوا في ادق التفاصيل . ولتأييد ما قالوه اخذونا لمشاهدة دفيئاتهم والاشياء الجديدة التي اشتروها : معدات للرى والبزل ، وشاحنات ثقيلة واصناف متعددة من الاسمدة الكيماوية . ورأينا مدرسة وعبادة حديثي البناء وكبالات كهربائية جديدة . وعندما تحدثوا عن اهداف السنة القادمة اصبحوا اكثر تحمسا . فقد اشار مسئول التعاونية الى صفوف من البيوت القرميدية الجديدة واختار كلماته بحذر شديد : ” بعد الخريف القادم سنكون قادرين فيما اظن على بناء بضعة بيوت اخرى . “ فلم يصدق اى منا ان كلمة ” بضعة “ تعنى عشرة او بضعة عشر بيتا فقط .

ولدى مغادرتنا هذه القرية جاب اعضاء التعاونية سلا ملى بالخيار والفجل ليقدموها لنا قائلين : ” خذوا هذه معكم . لقد جنينها لكم الآن ، وعلى الرغم من انها لا تستحق الذكر الا انها طازجة تماما . “ وتجاهل مسئول التعاونية اعتراضاتنا والقاهها في عربتنا .

حذقت من النوافذ الى السطوح القرميدية التي كانت تتراجع امام عيني بسرعة في تعاونية النجم الذهبي وفكرت في الانطباع العميق الخارق للعادة الذى تركته في نفسى كلمات مسئول التعاونية التي خرجت من فمه عادية جدا ” بعد الخريف القادم فيما اظن . . . “ ان هؤلاء الناس العاديين الذين احتقرتهم في الماضى لكونهم غير متحضرين نهائيا قد عملوا بأيديهم بكل كد واجتهاد مؤدين عملا عاديا وعظيما فى آن واحد . لقد حولوا اكوادهم القشية الى بيوت قرميدية ليؤمنوا للناس حياة افضل . كان الامبرياليون اليابانيون الذين كنت اعتبرهم مع الخوف والتبجيل ممثلين لأمة بارزة ، قد استخدموا العلوم والتكنولوجيا الحديثة لايجاد الوباء ونشر الموت . وهم ايضا

كانت لهم مثلهم : استعباد وابادة امة مضطهدة .  
ان ركام مصنع الجراثيم قد اظهر معنى الشر ، بينما اظهر كل شيء  
باق للشهداء في قاعة شهداء الشمال الشرقي ماذا تعنى كلمة "خير" . كل  
معروض يحدثنا كيف ضحى صاحبه بأخر فطرة من دمه من اجل مثل انسانية  
اسمى ومن اجل حياة اكثر بهاء . لقد كانت آثار مصنع الجراثيم والملابس  
الملطخة بالدم ورسائل الشهداء الاخيرة مرايا استطعنا ان نرى فيها نحن السجناء  
ماضينا الكريه .

ان قاعة شهداء الشمال الشرقي هي مبنى مهيب على الطراز الرومانى كان  
مستخدما كمقر البوليس الرئيسى في هاربين خلال سنوات "امبراطورية  
منشوريا" الاربع عشرة ، حيث استجوب اعداد لا تحصى من الصينيين  
الشجعان وعلبوا او سيقوا الى ساحة الاعدام في ذلك العهد الدموى .

ان صور الشهداء ومخلفاتهم المعروضة هنا ليست الا غيضا من فيض .  
وجميع هذه المعروضات والتفاصيل المتعلقة بالازمنة والامكنة قد اعادت الى  
الذكريات المخجلة . في ٢١ سبتمبر ١٩٣١ ، بعد ثلاثة ايام من نشوب  
القتال في شنيانغ ، عقدت لجنة مقاطعة منشوريا للحزب الشيوعى الصينى  
اجتماعا طارئا دعت فيه جميع اعضاء الحزب وجميع الجنود الوطنيين في  
الشمال الشرقى لحمل السلاح وخوض القتال ضد العدو . وقد ذكرتى صور هذا  
القرار والبيت الذى كان مقرا رئيسيا للجنة بالفرق الشاسع بين ذلك وبين ايامى  
في الحديقة الهادئة بتيانجين قبل عشرين سنة . فمن اجل انقاذ الوطن في  
ساعة الخطر هب شعب الشمال الشرقى تحت قيادة الحزب وقاتل غير مبال  
بالعقبات التى وضعها تشيانغ كباى شيك في طريقه . اما انا فقد كثفت خيانتى .  
لقد تذكرت دويهارا واتاكاكى وتشنغ شياو شيوى وابنه ولوه تشن يوى ؛  
وتذكرت ايضا اقامتى في تانغنانغتنسى وليويشون .

وعندما حدثنا الدليل عن حياة يانغ جينغ يوى ، تذكرت "جولاتى

الامبراطورية “ المتعددة الى دونغبيانداو – المنطقة التي تمت فيها عمليات الجيش الاول المتحالف ضد اليابانيين تحت قيادة يانغ جينغ يوى ولى هونغ قوانغ وغيرهما من القواد . كنت قد رأيت قمم جبال تشانغباى والشمس ترتفع فوق ضباب الصباح . ولكننى لم اكن اثار بجمال وطنى الام حيث كان اهتمامى مشدودا الى رجال الدرك اليابانيين والقوات العميلة والبوليس العميل على جانبيى الخط الحديدى . كانت الصحف التي يديرها اليابانيون تقول دائما ان ” قطاع الطرق “ فى هذه المنطقة قد ابيدوا عن آخرهم ، ولكن عندما ذهبت الى هناك وجدت اليابانيين قلقين ومظهرهم يدل على انهم يواجهون خصما قويا . وعندما هربت الى تونغهوا وداليتسوقو فى نهاية ” امبراطورية منشوريا “ مباشرة ابلغت ان هذه المنطقة غير ” آمنة “ . لقد ظلت الجيوش المتحالفة ضد اليابانيين تشق طريقها فى القتال الى ان تم استسلام اليابانيين ، وعندما لم يكونوا هم الذين ابيدوا بل الجيش اليابانى الامبراطورى الذى كان غالبا ما يعلن عن نفسه انه منتصر . لقد جابهت القوات المعادية لليابان جيش قواندنغ القوى وقوات ” امبراطورية منشوريا “ التي كانت افضل منهم من حيث العتاد ، وكانت الصعوبات التي احاطت بهم لا يمكن تخيلها تقريبا ؛ ولكن لدى نظرى الى القدور واوعية الماء والفؤوس المصنوعة بأنفسهم وآلات الخياطة البالية التي استخدمها المقاتلون المقاومون بدا لى اننى ارى وجوه اصحابها الباسمة ، وجوها كوجه ذلك المدير الشاب فى منجم لونغفنغ ، مشرقة بالابتسامات التي لا تنبثق الا من الثقة والتصميم . وعندما نظرت الى حذاء مصنوع من لحاء البتولا ترددت فى اذنى صدى هذه الاغنية :

احذية لحاء البتولا ،

بضائع صينية ،

صنعناها بأنفسنا من موادنا ،

الاشرطة من القنب البرى ،

والنعل من لحاء الشجر .

بأحذية لحاء البتولا ،

أحذية الدرجة العالية ،

يتسلق الجنود قمم الجبال .

الفتيات الانبيقات لا يستطعن شراءها .

والعجائز الثريات لم يسعفن الحظ بلبسها .

أحذية لحاء البتولا

أحذية جيدة حقا .

يركض الجنود بها عبر التلال ،

متعقبين الشاحنات وهي تصيح مدعورة ،

حيث يفقد الشياطين صوابهم من الذعر .

لقد اضطرني اليابانيون الى الموافقة على دفعة اثر دفعة من القوانين التي مكنتهم من ان يحشروا اهل القرى ويفرضوا السيطرة على الحبوب ، ويحاصروا المناطق الجبلية ، ويستخدموا كل وسيلة لا يمكن تخيلها لقطع الروابط الاقتصادية بين المقاتلين المقاومين والعالم الخارجي . وبهذه الطريقة نجحوا في تطويق الجنرال يانغ جينغ يوى وبعض القوات المعادية لليابانيين ، ولكن على الرغم من نقص التموينات لدى هذه القوات الا انها ظلت ماضية في القتال - وقتنا طويلا جعل اليابانيين يبدأون في الشك في تقارير مخابراتهم وفي معارف الناس العاديين . كيف استطاع هؤلاء الرجال ان يواصلوا القتال من دون حبوب ؟ ماذا كانوا يأكلون ؟ بعد ان استشهد الجنرال يانغ جينغ يوى فتح اليابانيون معدته ليحلوا هذا اللغز ، فكان كل ما وجدوه عشبا واوراق شجر .

وتذكرت زقرات يوشيوكا " الماحق الامبراطورى " : " ان الشيوعيين

مرعون . " فحتى العشب في نظر الجيش الياباني الامبراطوري المسلح بالطائرات والدبابات كان مرعبا .

عندما كان الجنرال يانغ جينغ يوى ورفاقه في السلاح يغنون تلك الاغنية حول احذية لحاء البتولا . كنت انا مدعورا من ان يتركنى اليابانيون ومرعوبا من احلامى ؛ وفيما كانوا يأكلون العشب كنت متخما حتى سئمت من اكل اللحم وامضى ايامى كلها اقوم بالعرافة واتلو المحاورات البوذية .  
وماجت امام عينى الخرائط والاختام والثياب الملطخة بالدم وكتابات الطفولة ، التى خلفها يانغ جينغ يوى . ومن خلفى انبثت نجيب زملائى السجناء الصينيين واليابانيين ، ثم اخذ يرتفع اعلى فأعلى . وعندما نظرنا الى صورة الشهيد تشاو يى مان شق احدهم طريقه الى الامام وركع امام الصورة متعجبا بمرارة وسجد لها .

" لقد كنت رئيس البوليس العميل . . . "

كان هذا الشخص هو يوى جينغ تاو وقد عمل رئيس بوليس هاربين قبل ان يصبح وزير العمل فى " امبراطورية منشوريا " . وعندما تم ايقاف تشاو يى مان فى هذا المقر الرئيسى للبوليس واستجوبت فى هذه الغرفة بالذات كان يوى جينغ تاو احد مستنطقها . ولكن المستنطق قد حكم عليه التاريخ الآن وسجن . وغنى عن البيان ان يوى جينغ تاو لم يكن الانسان الوحيد الذى ينبغى له ان يبكى .

## عمل وتفاوض

بعد هذه الزيارة اقتنعت تمام القناعة بأن الابواب الى المجتمع الجديد مفتوحة امامى على مصاريعها وان المشكلات الوحيدة المتبقية تكمن فى داخلى :

وبدأت عام ١٩٥٨ مفعما بالامل . وقد كشف هذا الموقف التفاضلى عن نفسه اول مرة عندما كنا ننقل الفحم فى خريف عام ١٩٥٧ . كانت سلطات السجن تنقل كل خريف مقادير ضخمة من الفحم ، بعضها للمحافظة على تدفئتنا وبعضها لصنع قوالب فحم للدفئيات التى كنا نزرع فيها خضارنا الشتوى .

وكانت هذه هى السنة الاولى التى نشرك فيها فى نقل الفحم وصنع القوالب الفحمية . وكنت حينذاك قد اصبحت اكثر قدرة مما انا عليه فى الماضى . وفى ززانتنا كنا اربعة اشخاص اصغر سنا نسبيا ، نقوم بأثقل الاعمال : لاو وانغ ولاو تشنغ المنغولى وانا وجنرال شاب سابق لى " امبراطورية مشوريا " . وكان هذا العمل نافعا جدا لى . فقد ازدادت قوة واخترت امراضى السابقة . وعندما كنا نقوم بصنع القوالب الفحمية اخذت بنفسى العمل الثقيل نوعا ما المتمثل فى حمل الفحم . ونظرا الى ان مدير السجن وبضعة كوادر آخرين كانوا يساعدون فى ذلك فقد مضى العمل فى نشاط . وقبيل ان ننتهى جلبت انا ولاو شيان ثلاث سلال ملى .

وبينما نحن نسلم ادواتنا سمعت السجنان وانغ يقول لأحد زملائه : " ارى بو يى يعمل بجهد . ولا يسعى للفت الانظار بعمله . "

ووضعت انا ولاو شيان سلة الفحم التى كنا نحملها بعارضة كتف على اكتافنا ، واخذنا ملابسنا من الشجرة التى كنا قد علقناها عليها . فسألنى مدير السجن عن حالة كتفى مبتسما فنظرت الى كتفى واجبت :

- لم يصب بأذى ولم يتورم . بل احمر قليلا وهذا كل ما فى الامر .
- كيف شهيتك للطعام فى هذه الايام ؟
- ثلاث طاسات كبيرة من الارز او ثلاثين حبة كبيرة من جياوتسى .
- والارز ؟
- استسلم للتوم حالما يلامس رأسى الوسادة . وليس عندى اى مرض

اشكو منه مطلقا .

فضحك الآخرون جميعا ، ولكن ليس ضحك السخرية كما كان في الماضي . اننى لم اعد اسمع ذلك التضاحك مطلقا .  
ولقد احزرت كذلك تقديما في مجالات اخرى . فلم اعد اجد اننى بحاجة الى ان ابذل جهدا كبيرا في دراسة « الاقتصاد السياسى » و« المادية التاريخية » كما كنت افعل في الماضي ، واصبحت ملابسى الآن نظيفة تقريبا كملابس اى شخص آخر . ولكن الشيء الذى كنت في غاية الثقة ازاعه هو العمل الجسمانى . فما دمت لا يطلب منى تأدية اعمال دقيقة مثل صنع الازهار الورقية ، فقد كنت دائما في الطليعة ، وحتى اولئك الذين كانوا ممتازين في الدراسة النظرية اضطروا الى ان يشهدوا لى بالتفوق عليهم في هذا الخصوص .

ان اعجاب رفاقى بى وتزايد ثقته بنفسى لم يكونا ناجمين الى حد كبير عن ترسيخ موقف سديد من العمل بقدر ما كانا ناجمين عن الحماسة الجديدة للعمل التى توفرت في كافة اوساط المجتمع . فمذ اوامر عام ١٩٥٧ ونحن نلاحظ ذلك من الصحافة ورسائل الاهل وموظفى السجن انفسهم . لقد بدا ان كل واحد كان يتسابق الى الاشتراك في العمل الجسمانى الذى رأوا فيه شيئا باعنا على الاعتزاز . فعشرات الآلاف من موظفى الحكومة ذهبوا الى الريف ، وازافت المدارس الى برامجها فترات للعمل الجسمانى ، وظهرت جميع اشكال فرق العمل الطوعى القصير الامد . وفى السجن نفسه ساعد الموظفون في صنع القوالب الفحمية ، واعدوا الخضار في المطبخ ، واعتنوا بفرن المطبخ ، بل جلبوا الطعام الى ززاناتنا . وقبل ان تغادر فراشنا في الصباح كنا نسمع اصوات عجلات العربات وقعقة المعاول والمجارف المحملة فوقها ، فنعرف ان مدير السجن والموظفين قد توجهوا لاستصلاح الارض المقفرة خارج السجن . وهذا كله بين لنا ان العمل في المجتمع الجديد هو المقياس الذى

يقاس به الناس . واولئك الذين كانوا قيد اعادة بناء انفسهم ليسوا استثناء . ولقد نسيت من الذى اخبرنى بأن كثيرا من الناس كانوا متوهمين بأن العمل عقوبة فرضها الاله على النوع البشرى وان الشيوعيين وحدهم هم الذين رأوا فيه حقا من حقوق الانسان . وكنت فى ذلك الحين قد فقدت كل اهتمامى بالآلهة او ببوذا ، فلم افاج فى ملاحظة اية علاقة بين الاله والعمل . واستطعنا جميعا ان نرى ان العمل من وجهة النظر الشيوعية شىء طبيعى . واذكر مرة اننا كنا نزيل كومة من الفضلات ومرر بنا الموظف المهدب لى . فتناول معجرفة وشرع يعمل بأكثر منا سرعة وفاعلية ، غير معتبر ان هناك شيئا غريبا فيما كان يفعله .

ان الاهمية المنوطة بالعمل والتعجس له عام ١٩٥٨ قد تركا فى انفسنا انطبعا اعمق . لقد علمت كثيرا من الاشياء الجديدة المدهلة من الرسائل التى جاعتنى من بكين . فالأخت الثانية التى كان من عاداتها ان تمكث فى البيت غير مانتفتة الى شىء قد اشتركت الآن فى نشاطات لجنة الشارع ، وذلك بالمساعدة فى انشاء روضة لاطفال الامهات العاملات . والأخت الرابعة التى عملت فى القصر الامبراطورى السابق قد اشتركت فى مشروع طوعى لاعادة انشاء بحيرة خارج بوابة ده شنغ فى بكين وقد اعطيت لقب : ” النشيطة الخماسية المزايا ” والأخت الثالثة وزوجها اشتركا فى الدراسات السياسية التى نظمتها لجنة المؤتمر الاستشارى السياسى الشعبى فى منطقتهما . ولأورون عمل فى خزان اضرحة اسرة مينغ للمياه سويا مع مسنين آخرين من المؤتمر الاستشارى السياسى الشعبى فى منطقتهم ، ولقد اشيد بهم على ابتكار فنى قاموا به . والأخت الخامسة وزوجها لاو وان اخبرانى مفتخرين ان ابنهما الاكبر الذى كان يدرس الجيولوجيا فى الجامعة يقوم الآن ببحث حول الاستفادة من الثلج والجايد وانه الآن مع بعثة استكشاف فى جبال الشمال الغربى . وكان بعض ابناء اشقائى ولى الكبير يعملون قادة فرق فى مزرعة للدولة فى ضواحي



العاصمة . ففي كل مكان كان هناك عمل وحماسة ، كما لو كانت طبول الحرب تدق ايدانا بالهجوم على الطبيعة . وفي هذه الحملة التاريخية للارتفاع بالبلاد عن تخلفها كان كل فرد يقوم بأداء نصيبه من العمل . ولقد خرج جميع زملائي السجناء من رسائلهم العائلية بنفس الانطباع . وعندما سمعنا ان الرئيس ماو ورئيس مجلس الدولة شو ان لاي والوزراء قد اشتركوا جميعا في بناء خزان اضرحة اسرة مينغ للمياه لم يعد من الممكن ان تتمالك انفسنا عن الاندفاع الى العمل . وطلبنا من لجنة الدراسة وسلطات السجن ان ينظمونا في القيام بعمل انتاجي .

واستجابت سلطات السجن لطلبنا . فأقاموا اولاً معملاً لصنع المحركات الكهربائية ، ولكن نظراً الى اننا كنا قليلين جداً فقد اسند هذا العمل الى مجرمي الحرب من اتباع تشيانغ كاي شيك في اقسام اخرى من السجن . وقمنا بدلا من ذلك بالتدرب على تحقيق مهارات انتاجية ، فقسمنا الى خمس مجموعات بحسب كفاءاتنا : مجموعة لتربية المواشى ، واخرى لمعالجة الاطعمة ، وثالثة للبستنة ، ورابعة لزراعة الخضار ، بما فيها الدفيئات ، وخامسة للعمل الطبي وشكلت انا مع اربعة آخرين المجموعة الطبية . وربطنا العمل بالدراسة . فكان علينا ان ننظف العيادة كل يوم ، ونقوم بجميع الخدمات غير الطبية ، ونشارك في العمل الطبي المساعد ؛ وكنا كذلك نمضى ساعتين يومياً في قراءة الطب وعقد مناقشات بتوجيه من الطبيب ون ، احد موظفي السجن . وكان زملائي الاربعة اطباء قبل ذلك ، فأخذ ثلاثة منهم بمراجعة الطب الحديث بينما درس الآخر معنى الطب الصيني التقليدي . وبالإضافة الى ذلك درسنا جميعاً فن العلاج الوخزي والعلاج بالشيخ المضطرم . وهذه الفترة من العمل في مجموعة صغيرة اعطتني ثقة بالنفس جديدة .

على اني لم اكن ماهراً كالأخرين في هذا المضمار في البداية . فمماصح القطن الطبي الجراحية التي صنعتها بدت مثل كتل من خشونة القطن ؛ وعندما

أخذت قياس ضغط الدم كنت اركز نظري على المضغوط وانسى ان اصغى الى المسماع ، او اصغى وانسى ان انظر ؛ وعندما كنت اتعلم استخدام الجهاز الكهربائي لمعالجة ضغط الدم كنت دائما ما اصاب بتشوش ولا اتمكن من القيام بهذا العمل على نحو صحيح . ولم اكن افوق الآخرين الا في الاعمال غير الطبية او العمل العضلي . فصممت على اتقان العمل الطبي . وعندما كان الطبيب او الممرضة يعلمانني شيئا كنت اطلب من زملائي الطلبة ان يشرحوه لي ثانية ، ومن ثم امارسه بنفسى دون انقطاع . وهكذا تعلمت تدريجيا اتقان مهنتى مساعدا طيبا . وكان احد مجرمى الحرب اليابانيين يأتى كل يوم لأخذ معالجة كهربائية ، وكان ينحنى لي بعد ذلك انحناءة شديدة ويقول : " شكرا ايها الطبيب " ، فأسر لذلك بالغ السرور . ونظرا الى اننى البس متزرا ابيض ونظارات لم يكن امرا غريبا ان يخطئ هذا الخطأ ؛ وقد اظهر ذلك ان مهارتى كانت كافية لكسب ثقة المريض . وفى نهاية الدورة الاولى اجرى لنا الطبيب ون امتحانا فنلت الدرجات التامة كالأخرين . عندما كنا نقوم بانتاج محركات كهربائية انتاجا تجريبيا خابت محاولاتي للاضطلاع بأى عمل سوى الاعمال البالغة السهولة التى كانت تسند الى ، وقد اعتبرت هذا اجحافا بحتمى . ولكننى الآن تعلمت ان اكون مساعدا طيبا ، وقد اخطأ الآخرون فظنوني طبيبا مكتمل الخبرة ، وحصلت على الدرجات الكاملة فى امتحانى الاول . لقد اصبحت على ثقة بأننى لست بليدا تماما بل سأكون قادرا على اتقان هذه المهارة ؛ ولن اعود بحاجة الى مجوهراتى البالغة ٤٦٨ قطعة لاعالة نفسى .

وذات يوم طلبت ان ارى مدير السجن . وكان المدير السابق قد نقل الى وظيفة جديدة ، اصبحت من خلالها مضطلعا بمسؤوليات اخرى عدا سجننا ، فلم يعد يأتى بانتظام ، لذلك رأيت نائبا له يدعى جين الذى اصبحت الآن مسؤولا عن السجن . فقلت :

- يجب ان تقبل الحكومة تلك المجوهرات رسميا ، وعلى اية حال  
لقد فقدت الوصل الخاص بها منذ زمن طويل جدا .  
وظننت اننى يجب ان اشرح لنائب المدير موضوع المجوهرات ، ولكننى  
دهشت حين اجابنى على الفور مبتسما :  
- اننى اعرف كل شىء عنها . حسنا اذن ، هل انت واثق من انك  
ستكون قادرا على اعالة نفسك من خلال عملك ؟  
وامضيت بقية ذلك اليوم اقدم معاومات عن كل قطعة من الـ ٤٦٨ قطعة  
من المجوهرات وسكرتير يسجل ذلك كله . وعندما انتهيت من ذلك خرجت  
الى الفناء شاعرا بالاطمئنان ، ظانا ان كلمات نائب المدير كانت دليلا على  
اننى احرزت تقدما ملحوظا . ترى هل اطل اليوم الذى سأعدو فيه انسانا  
حقيقيا ؟

## الاختبار

قدرت نفسى تقديرا اعلى مما ينبغى ، وقد اكتشفت ذلك عندما ووجهت  
باختبار .  
ففى الوقت الذى كانت تجرى فيه القفزة الكبرى الى الامام فى كافة  
انحاء البلاد اوضح لنا مدير السجن اننا بحاجة الى مراجعة افكارنا لتزيل بذلك  
العقبات الايديولوجية من طريق تقدمنا . وكانت الوسيلة التى اتبعت مع كل  
منا هى القيام فى اجتماعاتنا الدراسية بمناقشة التغيرات التى طرأت على تفكيرنا  
والمسائل التى لم نفهمها بعد .  
وحين جاء دورى وقعت فى اضطراب . فبعد ان تحدثت عن ايديولوجيتى  
القديمة والتغيرات فى مواقفى سألتنى احدهم :  
- شخص بخلفيتك يجب ان تكون له روابط وثيقة بالامبريالية اليابانية ،

وربما تكون الى الآن توقا اليها في افكارك ومشاعرك الخاصة . ان صلاتك بها لم تكن اوهى من صلاتنا بها ، فلماذا انت الوحيد الذى لم تذكر هذا ؟ لا تقل لى ليس عندك مشاعر كهذه .

— ليس عندى مشاعر نحو اليابانيين سوى الكراهية . اننى اختلف عنك فى هذه الناحية .

واثار هذا عاصفة من الاعتراض : ” لماذا لا تكون اكثر تواضعا ؟ انك ما تزال ترى نفسك اعلى منا منزلة ، أليس كذلك ؟ “ ” اية مشاعر لديك الآن ازاءهم ؟ هل انت اكثر تقدما منا نحن البقية ؟ “ وضرب احدهم امثلة كثيرة من حياتى الماضية ، مثل القصائد التى نظمتها عندما ذهبت الى اليابان والطريقة التى ساعدت بها ام الامبراطور اليابانى فى رقى بعض درجات السلم ليوضح اننى كنت فى تلك الايام ممتنا لليابانيين اكثر من اى شخص آخر ؛ ووجد ان من الصعب قبول انكارى التام هذا . فأجبت اننى واليابانيين كنا نستفيد من بعضنا فى الماضى ، فلم يكن هناك مسألة مشاعر . اننى لم احاول طعن الآخرين عندما عبرت عن هذا الانكار الذى كان صحيحا تماما ، ولكن لم يكن احد مستعدا لقبول توضيحي . وعندما وصفت رعبى اثناء هروبى الى داليتسيكو سئلت :

— عندما كان اليابانيون عازمين على ارسالك الى طوكيو ارسدوا فيها باسمك ثلاثمائة مليون ين لتغطية نفقاتك التمهيدية . أ لم يجعلك هذا ممتنا للامبريالية اليابانية ؟

فقات مندهشا :

— ثلاثمائة مليون ين ؟ اننى لا اعرف اى شىء عن ذلك .

ولم يكن هذا فى الواقع سرا كبيرا . فعندما اخذ جيش قواندونغ احتياطات الذهب الاخيرة من خزينة ” امبراطورية منشوريا “ اعان للعالم انها ستقل الى اليابان لـ ” امبراطور منشوريا “ . ولكننى لم ار فنا واحدا من هذه النقود ،

وكل شخص عرف ذلك ، ولهذا السبب لم توجه هذه المسألة ضدى . ان السبب الوحيد الذى اثار هذه المشكلة هو انهم ارادوا معرفة شىء عن حالتى الفكرية فى ذلك الوقت . ولو اننى رجعت بفكرى الى الوراء بهدوء او استمعت بتواضع لما قاله الآخرون لكنت قادرا على تذكر ذلك ؛ ولكننى بدلا من ذلك اكدت لكل ثقة اننى لا اعرف شيئا عن الامر . فبدأ كثير من الذين يعرفون هذا الامر بصيحوون :

– انت لا تعرف شيئا عن ذلك ؟ هذا الامر قد عالجه تشانغ جينغ هوى وتاكيب روكوزو . هل تحاول التكرار لمسؤوليتك لأن تشانغ جينغ هوى قد مات مؤخرا ؟

وسألنى شخص آخر :

– أ لم تكتب عن هذا الامر فى اعترافك ؟

وعندما قلت اننى لم اكتب اصبحوا اكثر اندهاشا ، وقالوا :

– ولكن كل واحد يعرف هذا الامر .

– هذه ليست مسألة ثلاثمائة او ثلاثة آلاف بل ثلاثمائة مليون .

وفى ذلك المساء عدت بتفكيرى الى الوراء ، فتذكرت ان شىء تشيا قد اخبرنى فى داليتسيكو بأن اليابانيين قد اخذوا الذهب كله من ” مصرف امبراطورية منشوريا “ معهم بحجة انه سيستخدم لنفقتى فى اليابان . فهذه يجب ان تكون الثلاثمائة مليون ين التى جرى الحديث بشأنها . ولكننى فى ذلك الوقت كنت فى غاية القلق بسبب التهديد المباشر لحياتى بحيث لم اعرف هذه المسألة اى اهتمام . وفى اليوم التالى سألت ان كانت تلك هى النقود المعنية ، فقالوا لى انها هى المعنية . لذلك اخبرت مجموعتى الدراسية بشأنها . فسألنى عدد منهم بصوت واحد :

– لماذا اخفيت هذا من قبل ؟

– لم اخفه ، بل نسيت .

- أ ما تزال تصر على انك نسيتَه ؟  
 — لقد تذكرته الآن .  
 — لماذا لم تتذكره في السابق ؟  
 — قلت لكم : اننى نسيت . ان من الطبيعى ان انسى اشياء فى بعض الاحيان ، أ ليس كذلك ؟

فأثار هذا عاصفة اخرى من الاعتراضات : ”كلما تعمقت فى رجوعك الى الوراة اصبحت ذاكرتك افضل مما هى عليه ، وكلما كانت الاشياء اقرب ازددت بخصوصها نسيانا . وهذا غريب حقا . “ ” من الواضح انك خائف من شر مرتقب ، ولكنك لا تجرؤ على الاعتراف بذلك . “ ” اذا لم تكن لديك الشجاعة على الاعتراف بأخطائك ، فانك لن تتمكن ابدا من اعادة بناء نفسك . “ ” لا احد منا يصدقك . اننى اضمن ان الحكومة لن تتخذ بقصصك ثانياة . “ ” انك مراوغ وكذاب . “ ” كيف يمكن لمخادع مثلك ان يعيد بناء نفسه ؟ “

وكلما اكثرت من محاولة الدفاع عن نفسى قل تصديق الآخرين لى ، فأصبحت قلقا : من الواضح انهم جميعا يرون اننى كاذب . فاذا اجمعوا كلهم على ذلك ، فهل سيصدقنى مدير السجن ويقف ضدهم ؟ غزت هذه الافكار ذهنى ، وتملكتنى كالشياطين ، فغدوت كالابله . اننى لم اقلق بصدد ذلك من قبل ، ولكننى قلقت الآن . ولدى تفكيرى فى انه من المحتمل ألا يصدق مدير السجن كلمتى ويقف ضد الآخرين جميعا خارت عزيمتى وعدت الى سابق طرقي التعسة ؛ واعدت نفسى لنسيان مبادئى ما دمت استطيع اجتياز هذه العاصفة . أ لن اكون قادرا على تلمس طريقى وسط هذه الازمة اذا انا قمت بالاعتراف ؟ حسن جدا اذن . وقلت اننى لم اجرؤ على ذكر هذا من قبل لأننى كنت اخاف ان تعاقبنى الحكومة ، ولكنهم الآن قد اقعنوني بالتغلب على مخاوفى .

وعلى الرغم من اننى قد نسيت حقا موضوع الثلاثمائة مليون ين ، الا انه بدا لى كأن شيئا كان يختفى فى اعماق نفسى ثم انكشف الآن .

لم يعد اعضاء مجموعتى يبدوون المزيد من الاهتمام بمشكلاتى هذه بعد ذلك ، ولكننى لم استطع ان انحى هذا الامر من ذهنى . وكلما ازدادت تفكيراً فيه اصبحت اكثر اضطراباً ، واقتنعت اننى قد افسدت حالى كله . ومع انه لم يكن هناك ظل لشك فى اننى قد نسيت امر النقود ، الا اننى قلت اننى اخفيت الحقيقة . وخوفاً من ان تظننى الحكومة مخادعا كذبت عليها . وسببت لى هذه المسألة شعوراً بتأنيب الضمير ، واتخذت اعانى مما فعلت .

لقد كنت فى الماضى ، عندما شككت فى ان كل تصرف لموظفى السجن يبطن عداوتهم لى ، احس بالهلع الشديد من الاعداء . اما الآن فقد عرفت ان الحكومة لا تريد قتلى ، بل تقوم بمساعدتى لكى اصبح انساناً جديداً . ولكن فى اللحظة التى اصبحت فيها مفعماً بالامل واجهتنى هذه المحنة الجديدة ، وكلما ازداد التشجيع الذى لقيته من موظفى السجن ازدادت شعوراً بالاضطراب . وذات يوم اخبرنى سجان بأن مدير السجن يريد ان يرانى . فظننت فى الحال ان هذا اللقاء سيكون حول الثلاثمائة مليون ين ، وقدرت انه قد يكون غاضباً منى لاستمرارى فى محاولة اخفاء جرائمى على الرغم من الطريقة التى يعاملونى بها . وكان الاحتمال الآخر الذى وضعته انه ربما سر منى لاعترافى بجرائمى وكتابتى اعترافاً بذلك ؛ وربما يمدحنى على هذا التصرف ، وهذا سيكون اسوأ . وذهبت الى غرفة الاستقبال الخاصة بمدير السجن خائفاً مذعوراً ، ولكننى اكتشفت انه طلبنى ليتحدث معى فى شىء آخر مختلف تماماً .

وبعثت هذه المقابلة فى نفسى المزيد من الاكتئاب . ان مدير السجن السابق لم يحضر الى السجن منذ وقت طويل ، واليوم كان معه موظف آخر اعلى منه . وبعد ان سألانى عن دراساتى وعملى الجسمانى سألانى كذلك عما افعله اثناء حملة ابادة الحشرات . وقال المدير انه قد ابلغ بأننى قد احزرت بعض

التقدم في قتل الذباب وقمت بواجبي ، ولكنه لم يعرف مدى نجاحي في الحملة الحالية ضد الفئران . فأجبت بأنني لم اضع خطة بعد ، ولكنني رأيت ان كل واحد في زنزانتنا سيقتل واحدا على الاقل منها . فقال الموظف الاعلى والجالس بجانب المدير :

— وماذا بخصوصك ؟

واصبت بالرعب حين عرفت انه الرجل الذي سألتني في هارين عن سبب عدم اعتراضى على المجازر التي ارتكبتها اليابانيون . ودون ان ينتظر اجابتي سألتني سؤالاً آخر :

— أ ما تزال ضد القتل ؟

ثم جلجل صوته بالضحك مما بعث الاطمئنان في نفسي . واجبت بأنني قد تخليت عن هذه الافكار منذ فترة طويلة وانني مخطط لقتل فأر واحد على الاقل خلال هذه الحملة . فhez رأسه قائلاً :

— ان خطتك هذه شديدة التحفظ . فحتى الاطفال في المدارس الابتدائية يخطط كل منهم لقتل اكثر من فأر .

— سأبدل كل ما في وسعي لقتل اثنين على الاقل .

فقاطعتني المدير قائلاً انه لن يضع حدا لى بل سيدعنى اقتل اكثر ما استطع . ثم صرفنى الى زنزانتي بعد ذلك مباشرة .

وعدت الى زنزانتي مشغل النفس . ولم يكن ذلك بسبب ذعري من خبر اصطیاد الفئران ، ذلك الشيء الذى لم افعله في حياتى قط ، بل بسبب الافكار التي اثارها هذه المحادثة . وتذكرت كيف فتش المدير عن خطتى على نحو خاص خلال حملة قتل ذباب وكيف شجعني عندما تعلمت غسل ملابسى . لقد خصصت سلطات السجن جهدا كبيرا جدا لتعلمنى كيف اصبح انسانا ؛ ولكننى شعرت الآن اننى لو قتلت حتى مائة فأر. لن اكون قادرا على التكفير عن خطئى .



وعندما رأيت السجان جيانغ الذى كان قد انتهى لتوه من نوبته اجلس فى النادى وحدى ، سألتنى ان كنت قد توصلت الى طريقة ما لاصطياد الفئران وعرض مساعدته لى فى صنع فخ . ولكننى من خلال جهلى المطبق لكيفية اصطياد الفئران لم اعرف كذلك اين تعيش . لذلك قبلت عرضه بسرور ، وفيما كنت اتعلم صنع افخاخ الفئران عاودنى القلق من جديد .

وتحدثنا ونحن نقوم بصنع الافخاخ فاستعرض لى السجان جيانغ طفولته ، فأتاح لى فرصة الاستماع الى معاناته التى مر بها . لم اكن اتخيل قط ان هذا الشاب الهادئ اللطيف قد عانى من الظلم الشديد فى ايام "امبراطورية منشوريا" .

لقد كان ضحية نموذجية لسياسة دمج العوائل والقرى . فبعد ان اكرهت اسرته على الانتقال عدة مرات امضوا الشتاء فى كوخ ، واصيبوا جميعا بالتيفويد . فمات اخوته السبعة جميعا ، ولم يبق حيا الا هو . واضطروا الى دفن الاخوة السبعة عرا .

وانتهت قصته مع انتهاء صنع الافخاخ . واخذنى لبحث عن جحور الفئران ، وتبعته فى صمت ، اتساءل كيف امكن لشاب قتل اخوته السبعة على ايدى نظام "امبراطورية منشوريا" ان يساعدنى اليوم . هل جميع السجانين الآخرين اللطيفين جدا فى معاملتهم لنا قد عانوا مثله فى الماضى ؟ وسألته :

— هل عانى السجان وانغ والسجان ليو مثل هذا الظلم من نظام "امبراطورية منشوريا" ؟

— كل واحد عانى فى تلك الايام . فالسجان وانغ اخذ الى العمل الالزامى ثلاث مرات ، والسجان ليو لم يبق امامه من خيار الا ان ينضم الى الجيش المتحالف المعادى لليابانيين .

وادركت دونما حاجة الى ان اسأله ثانية ان جميع موظفى السجن من اهل الشمال الشرقى قد اصطلوا بنيران "امبراطورية منشوريا" .

وتمكنت بارشاد السجن جيانغ من قتل ستة فئران . وعندما سمع السجناء وانغ وليو اننى اصطدت بعض الفئران جاءا لرؤية " اسراى " كأنما ذلك انجاز معجز ، واشادا بى على تقدمى . ولكن تهنتاهما لى جعلتنى فى غاية الاضطراب : فبينما هؤلاء الناس من ضحايا نظام " امبراطورية منشوريا " ، يعلقون اهمية كبيرة على تقدمى كنت ما ازال اخذهم .

وظفقت اذهب الى العيادة كل يوم كالمعتاد ، اكسس الغرفة ، واقيس ضغط الدم ، واقوم بالمعالجة الكهربائية ، وادرس الطب الصينى التقليدى ، واستمر مجرم الحرب اليابانى القصير ينحنى لى . ولكننى الآن لم اسمع ما كان يقوله ، واصبح من الصعب فهم « الخطوط العريضة فى الطب الصينى التقليدى » ، وكنت اضطر غالبا الى قياس ضغط الدم للمرضى عدة مرات . وكتبت لى اخواتى وازواجهن عن نجاحاتهم الجديدة ، وعبروا فى رسائلهم عن املمهم فى ان اعيد بناء نفسى بسرعة واتمكن من مشاركتهم حياتهم السعيدة . وقد قرأت هذه الكلمات على انها توبيخ .

وعندما جاء الخريف قمنا بالمهمة الثقيلة المتمثلة فى صنع القوالب الفحمية وساعدنا نائب مدير السجن والكوادر فى اعداد الوقود الذى سيستخدم فى الدفئيات شتاء . وبذلت كل طاقاتى فى نقل الفحم متجنبنا لفت انتباه المدير . انه اذا امتدحنى فسيكون ذلك اسوأ على من توبيخى .

وذاذ يوم انشغلت بأمر آخر ، وعند الوقت الذى كنت سأقوم فيه بمعالجة كهربائية كان هناك اثنان ينتظران . احدهما اليابانى الذى كان ينحنى لى دائما ، وحيث انه مريض مواظب قررت ان اعالجه اولاً . ولكنى دهشت حين رأته يشير الى الرجل الآخر ويقول بالصينية :

— ارجوك تفضل انت اولاً . وانا لست مستعجلاً .

فقال الرجل الآخر وكان مجرم حرب من اتباع تشيانغ كاي شيك :

— انت نجئت اولاً ، لذلك يجب ان تعالج انت اولاً .

واضاف شارحا :

— شكرا جزيلًا ، ولكنني لست مستعجلا . يمكنني ان اجلس هنا وانتظر .  
ولسوف يطلق سراحي قريبا .

لم اكن اعرف من قبل انه يتكلم الصينية على هذا النحو الجيد . ونظرا الى اننى رتبت الجهاز لمعالجة مجرم الحرب الكومينتانغى ، القيت فى اتجاهه عدة نظرات . كان ينظر فى اتجاه الجدار بجدية . وبعد لحظة اتجهت نظرتي الى السقف وقال بصوت خافت ، لم اعرف معه أكان يتحدث مع نفسه ام معنا : ” لقد كانت هذه الغرفة حجرة تعذيب فى ايام ’ امبراطورية منشوريا ’ ؛ من يدري كم صينيا وطنيا عذب هنا ؟ “

وبعد لحظة صمت اشار الى السقف قائلا : ” فى تلك الايام كانت السلاسل تعاقب من هنا ، وكانت الجدران مغطاة بالدم . “ وطاف بصره بالجدران ثم استقر على الخزانة ذات الواجهة الزجاجية . وبعد فترة صمت اخرى قال ثانية : ” عندما كان الاسياد الصينيون يصلحون هذا المبنى ظننا انه سيعاد من جديد حجرة للتعذيب حيث ينتمون منا فيها . وفيما بعد ، عندما رأينا اطباء بمآزر بيضاء ظننا انهم سيجرون علينا تجارب تشريحية . ولم نتخيل قط انه ستقام فيه عيادة لشفائنا من امراضنا . “ واختلط صوته بالنحيب .  
وانصرف مجرم الحرب الكومينتانغى ، فطلبت من اليابانى ان يأتى لتلقى علاجه . فوقف وقال باحترام :

— لا ، شكرا . لقد جئت لأنظر الى هذه الغرفة . ونظرا الى اننى لم ار الطبيب ون فهل لك ان تخبره اننى ما دمت لا املك الحق فى ان اشكره فأود ان اشكره باسم امى . وشكرا لك انت ايضا ايها الطبيب .

— انا لست طبيبا ؛ انا بو يى .

ولم اعرف ان كان سمع او لا . ثم انحنى واستدار خارجا من الغرفة .  
لم اعد اطيع الاحتمال اكثر من ذلك . يجب ان اضع حدا لكذبى

مهما كان من الصعب على مدير السجن ان يفهم ذلك .  
وصادف ان كان مدير السجن السابق فى السجن فى ذلك الوقت فطلب  
منى ان اذهب من اجل التحدث معه . وفتحت باب غرفة الاستقبال التى  
يجاس فيها فرأيت الشخص المألوف الاشبى يجلس خلف مكتب وينظر  
الى رزمة من الاوراق . فطلب منى ان اجلس وبعد لحظة وضع الاوراق جانبا  
ونظر الى قائلا :

- كنت اقرأ محاضرات اجتماعات ززانتك . كيف اموركم ؟ هل لديك  
مؤخرا اية مشكلات ايديولوجية ؟

وترددت الآن وقد جاءت اللحظة الحاسمة . ونظرت الى محاضرات جلسات  
اجتماعات ززانتنا وفكرت فى الهجوم الاجماعى الذى شنه على الآخرون .  
ولم يعنى الا ان اتساءل ان كان هناك مجال للروح بالحقيقة حيث ان كلمتى  
ستكون ضدهم جميعا . ولكنى لم استطع ان اظل متمسكا بالخدايع اكثر من  
ذلك .

- قل لى كيف كانت اجتماعات مجموعتكم .

- جيدة . لقد لخصت تفكيرنا تلخيصا صحيحا .

فرجع المدير حاجبيه وقال :

- حدثنى بمزيد من التفصيل .

وادركت اننى اتنفس غير طبيعى ، واجبت :

- لقد قلت الحقيقة عندما اخبرتك بذلك . ان الاستنتاج الذى يملى

على بأن اكون قلقا جدا فلا اذكر الاشياء صحيح تماما . ولكن هناك حالة

او حالتان . . .

- تابع . انت تعرف مدى رغبتى فى ان افهم تفكيرك .

وعرفت اننى لا بد ان اصبرح الآن بما فى داخلى ، فأدليت ، وقلبى

يخفق ، بوصف عاجل للمشكلة بكاملها . واصغى المدير بانتباه شديد .

وعندما انتهيت من حديثي قال :

— لماذا كان من الصعب جدا ان تقول ذلك ؟ مم كنت خائفا ؟

— كنت مذعورا لأن كلمتي هذه ضدهم جميعا .

فقال المدير بمنتهى الجدية :

— ما دمت تقول الحقيقة فليس هناك ما تخافه . هل تظن ان الحكومة

لا تستطيع ان تستقصى هذه المسألة بنفسها وتصل الى حكمها الخاص ؟ انك ما

تزال لا تدرك حقا انك تحتاج الى الشجاعة كي تصبح انسانا حقيقيا . يجب

ان تكون لديك الشجاعة لقول الحقيقة .

فبكيت ولم اتخيل انه سيكون قادرا على رؤية كل شيء بوضوح كبير .

وما الشيء الآخر الذى كان امامى كى اقله ؟

## عفو خاص

اقتراح من اللجنة المركزية

للحزب الشيوعى الصينى

الى

اللجنة الدائمة للمجلس الوطنى لنواب الشعب

تقترح اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى على اللجنة الدائمة للمجلس الوطنى لنواب الشعب انه فى الاحتفال بالذكرى السنوية العاشرة لتأسيس جمهورية الصين الشعبية العظيمة يجب ان يمنح عفو خاص لعدد من مجرمى الحرب والمعادين للثورة والمجرمين الجنائيين العاديين الذين تم اصلاحهم حقا .

لقد حققنا انتصارا عظيما فى الثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكى فى بلادنا . ان وطننا الام فى ازدهار ، والانتاج والبناء ماضيان قدما ، ومستوى معيشة ابناء الشعب يرتفع فى اطراد . ان السلطة السياسية لذكثاتورية الشعب

الديمقراطية راسخة وقوية على نحو لم يسبق له مثيل . والشعب في كافة أنحاء البلاد أكثر وعيا على الصعيد السياسي وفضل تنظيميا من السابق . والوضع السياسي والاقتصادي لوطننا رائع جدا . وسياسة الحزب والحكومة الشعبية في الربط بين العقوبة واللين وسياسة ربط الإصلاح من خلال العمل الجسماني بالتحقيق الايديولوجي في معاملة المعادين للثورة والمجرمين الآخرين قد حققنا نجاحا عظيما . ان غالبية السجناء المحتجزين الآن قد اعيد بناؤهم على درجات متفاوتة ، والعدد غير القليل منهم قد تم اصلاحهم على نحو حقيقي .

وفي هذه الظروف تعتقد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني انه في الوقت الذي نحتفل فيه بالذكرى السنوية العاشرة لتأسيس جمهورية الصين الشعبية العظيمة سيكون من الملائم ان نعلن ونضع موضع التنفيذ عفوا خصوصا لعدد من مجرمي الحرب والمعادين للثورة والمجرمين الجنائيين العاديين الذين تم اصلاحهم حقا . ان اتخاذ هذا الاجراء سيساعد على تحويل العوامل السلبية الى عوامل ايجابية وسيلعب دورا تثقيفيا هاما في اصلاحهم المستمر ، وكذلك في اصلاح المجرمين الآخرين الذين ما يزالون محتجزين . انه سيتمكنهم من ان يدركوا ان مستقبلهم في ظل نظامنا الاشتراكي العظيم يكمن في الإصلاح .

وتطلب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني من اللجنة الدائمة للمجلس الوطني لنواب الشعب ان تنظر في هذا الاقتراح وتصل الى قرار ملائم .

ماو تسي تونغ

رئيس اللجنة المركزية للحزب

الشيوعي الصيني

١٤ سبتمبر - ايلول - ١٩٥٩

وصدر قرار بشأن هذا الاقتراح عن اللجنة الدائمة للمجلس الوطني لنواب الشعب ، وفي ١٧ سبتمبر اعلن الرئيس ليو شاو تشي العفو الخاص . ان الابتهاج باقتراح الرئيس ماو وامر الرئيس ليو اللذين هللا لهما في

السجن لا يمكن ان ينسى . فبعد ان قرأ المذيع الجملة الاخيرة سادت لحظة صمت حول الراديو تبعها انفجار من الهتافات والشعارات والتصفيق . وكان ذلك شبيها بانفجار عشرة آلاف خيط من المفرقات (٢٣) فورا ، وقد استمر وقتا طويلا .

ومنذ تلك اللحظة من صباح ١٨ سبتمبر عمت البهجة والهياج السجن كله . وتوالى التعبير عن كافة الآراء وجهات النظر : ان الحزب والحكومة صادقان دائما مثل كلمتهما ؛ ان لنا الآن مستقبلا ولن يمضى وقت طويل على خروجنا ؛ سوف يتم العفو عنا على دفعات ؛ سوف يسمح لنا جميعا بالخروج دفعة واحدة . من سيكون في المجموعة الاولى التي سيطاق سراحها ؟ وادرك معظمنا ان العفو سيعتمد على اصلاح السجنين او عدم اصلاحه ، ونادم بعضنا على التواني الذى اظهره مؤخرا . وكان هناك من قالوا بتواضع انهم لم يصلوا الى المستوى المطلوب بينما اخذوا في الخفاء بحزم ملابسهم واحرقوا مذكراتهم المنبوذة والقاء جواربهم المهترئة .

واصبح الغناء يضح بالصحف في فترة الاستراحة وسمعت لاو يوان يسأل لاو شيان :

- من سيكون في الدفعة الاولى ؟
- من المؤكد انهم الذين اتقنوا دراساتهم مؤخرا . فأمامك فرصة جيدة .
- لا ، انا لست جيدا بما فيه الكفاية ؛ ولكنني متأكد من انك انت جيد تماما .

- انا ؟ اذا سمحوا لي بالخروج فسأذهب الى بكين وارسل اليك بعض منتجات بكين المحلية . اننى احلم بيلح بكين (٢٤) .

- وسمعت صوت الفم الكبير من ناحية اخرى في الغناء :
- عليهم اما ان يطلقوا سراحنا جميعا واما ألا يخرجوا احدا .
- فقال له احدهم :

— انك لست واثقا بنفسك . انك خائف من ان تترك في السجن :  
— اترك في السجن ؟ انهم ما لم يحتفظوا ببو بي هنا لن يحتفظوا بي ؟  
وحتى انا كنت متأكدا تماما من انه يجب ان يكون مصيبا . وفي اليوم  
التالى ، على ما اظن ، سألتى نائب مدير السجن عن رأيى في العفو الخاص .  
فقلت :

— اظن اننى سأكون حتما آخر من يخرج — هذا اذا استطعت ان اعيد  
بناء نفسى . ومع ذلك سأحاول بذل اقصى جهدى .  
ان العفو والافراج قد عنيا بالنسبة لمعظم السجناء اجتماع شاملهم مع  
عوائلهم من جديد ، ولكن هذا لم يكن له في نفسى اثر . فأمى قد ماتت منذ  
زمن طويل وابى مات عام ١٩٥١ وزوجتى الاخيرة طلقتنى عام ١٩٥٦ .  
وحتى لو كانوا ما يزالون احياء فلا احد منهم سيفهمنى كما يفهمنى الناس هنا .  
لا احد ممن عرفتهم سابقا يمكن ان يعلمنى كيف اصبح انسانا حقيقيا كما  
فعل موظفو السجن هنا . يمكن للمرء ان يقول ان الافراج يعنى استعادة الحرية  
والنور ، ولكن هنا داخل السجن وجدت نور الحقيقة ، وكسبت حرية الاطلاع  
على العالم . فالعفو من وجهة نظرى يعنى اننى قد اهلت لأكون انسانا واستطعت  
ان ابدأ حياة جديدة يكون لها مغزى حقيقى .

تسلمت رسالة من لاو وان مؤخرا ، اخبرتنى فيها ان ابنه الذى كان يدرس  
الجيولوجيا قد قاد فرقة من متسلقى الجبال لارتياح جبال تشيليان . وبعد ذلك  
ذهب الى التبت فى نفس الوقت الذى تمرد فيه ملاك الاقنان ، حيث قاتل هو  
وزملاؤه الطلبة الى جانب الاقنان . وبعد اخماد التمرد مضوا فى اقتحام قمم  
جديدة . وكثيرا ما ذكر لاو وان فى رسالته هذه الملامى بالفخر والسعادة مدى  
سروره بأن ابنه قد نشأ فى هذا الوقت الحاضر وليس فى الماضى البغيض .  
ان لابته اليوم مستقبلا مشرقا ، فلو لا فضل هذا اليوم لما كان له ابن كهذا ،  
ولما كان هو نفسه يعمل جنبا الى جنب مع المواطنين الصينيين الحقيقيين



الأخريين مترجما وبانيا للاشتراكية . وعبر عن امله في ان اشاركه قريبا هذه السعادة التي لم نعرفها من قبل وعن اعتقاده بأننى ماض في هذا الطريق .  
بعد شهر من اعلان العفو الخاص ذهبنا في زيارة اخرى ، وهذه المرة الى خزان داهوفانغ للمياه بالقرب من شنيانغ . عندما جئنا الى هنا في المرة الماضية عام ١٩٥٧ رأينا حشدا لا يحصى من الناس يعملون في هذا الوادى ، وعلمت من نموذج محطوط على الطاولة انه ستكون له سعة ٢١١٠ ملايين متر مكعب - تكفى لايقاف فيضان يمكن ان يحدث مرة كل الف سنة - وسيروى ٨٠ الف هكتار من الاراضى . وعندما قمنا بزيارتنا الثانية كان هذا المشروع العظيم قد مضى على اتمامه سنة ، وظهر امام اعيننا بحر واسع من صنع الانسان ، محاط بسد ارتفاعه ٤٨ مترا وعرضه ٨ امتار من الاعلى و ٣٣٠ مترا من الاسفل وطوله ١٣٦٧ مترا . وبعد ان عاد فوروى تادايوكى ، مجرم الحرب اليابانى الذى كان نائب رئيس مكتب الشؤون العامة في "مجلس الدولة لامبراطورية منشوريا" من زيارته حدثنا جميعا عن انطباعاته في النادى .  
وجاء قسم من حديثه على النحو التالى :

"عندما وقفت على السد عند خزان داهوفانغ اخذت بعظمته وجماله وهدوئه . واحسست ان هذا انتصار على الطبيعة ومصدر فخر وابتهاج للشعب الصينى وهو يواصل فتوحاته في الطبيعة . . . ان مشهد هذا الخزان قد ذكرنى بوقوفى على سد خزان شويفنغ للمياه في الماضى بوصفى رئيسا لقسم التخطيط في مكتب الشؤون العامة ونائب وزير للاقتصاديات ، ونائب رئيس لمكتب الشؤون العامة في "امبراطورية منشوريا" . لقد ظننت في تلك الايام بكل كبرياء ان الشعب الوحيد في آسيا الذى يستطيع ان يشن النضالات ضد الطبيعة ويبنى مشروعا كبيرا هو الشعب اليابانى ؛ واحتقرت الصينيين ورأيت انهم عاجزون تماما عن تحقيق شىء كهذا . كان العمال الصينيون يلبسون اسمالا بالية ، واعتبرت نفسى نوعا من البشر مختلفا عنهم كل الاختلاف . ونظرت

اليهم في عجرفة كأنما انا عظيم والمعنى وعلى الشأن .  
” ولكن الناس الذين عملوا في خزان داهوفانغ قد اصبحت لهم اليوم  
طاقة هائلة لأنهم مفعمون بالثقة . لقد كدحوا بنكران ذات . وكانوا مفعمين  
بالحيوية ، وكانت وجوههم مشرقة بالزهر والسعادة . وكنت ، وانا اقف عند  
زاوية من السد اتملى هذا المشهد ، مجرم حرب قد ارتكب اشد الجرائم  
خطورة ضد الشعب الصينى . من كان مصيبا ؟ “  
على احد الجانبين كان الشعب الصينى ، ” وجوههم مشرقة بالزهر والسعادة “ ،  
وعلى الجانب الآخر مجرم حرب . وفى ذهنى كنت اغادر احد الجانبين واعبر  
الى الجانب الآخر ، الجانب المصيب . وهذا كان الحل الوحيد الذى وجدته  
بعد عشر سنوات من التفكير فيه .

ان السنوات العشر الماضية قد علمتنى كيف افرق بين الحق والباطل .  
وان الانتصار فى الحرب الكورية ، واعترافات مجرمى الحرب اليابانيين ؛  
ونجاحات الصين الدبلوماسية ومكانتها التى ليس لها نظير من قبل لدى الرأى  
العالم العالمى ؛ والتغيرات التى طرأت على البلاد والمجتمع وقوميتى وعشيرتى  
ونفسى ، كل هذه قد حدثت تحت قيادة الحزب الشيوعى الذى كنت انظر  
اليه بعين الكراهية والتحامل والخوف قبل عشر سنوات . ان احداث هذه السنوات  
العشر وتاريخ القرن الماضى او نحو ذلك قد علمانى ان القوة الحاسمة فى  
التاريخ هى الشعب العادى الذى كنت فى السابق احقره اشد الاحتقار . لقد  
كان من المحتوم ان ينتهى القسم الاول من حياتى بكارثة ، وان تنهار الامبريالية  
وسلطة بيبانغ الرجعية اللتان اعتمدت عليهما . لقد ادركت الآن ان تشن باو  
تشن وتشنغ شياو شيوى ويوشيوكا والآلهة وبوذا غير قادرين على اخبارى  
بحقيقة مصيرى . فمصيرى هو ان اكون انسانا يعيل نفسه من خلال عمله  
ويقدم نفعا للبشرية . ان افضل مصير هو ذلك الذى يرتهن بمصير الشعب .  
” على المرء ان يأخذ الجانب الذى يكون مصيبا . “

وهذا يتطلب الشجاعة ، وعلان العفو الخاص قد زدني بالشجاعة ، كما حصل بالنسبة للآخرين .

وبدلنا جهدا اكبر في عملنا ودراستنا ، واخذ الكثير منا ينتظرون بكل تشوق التقييم القادم لدراساتنا . واصبحت فرقة معالجة الاطعمة تصنع الآن جينة فول الصويا طرية وبيضاء ، وفرقة تربية المواشي توصلت الى انتاج خنازير سمينة بحيث اصبحت افضل من السابق وفي فرقة العمل الطبى توقفنا عن ارتكاب الاخطاء . وحتى الفم الكبير قد بدأ يتصرف على نحو ملائم ، ولم يعد يتشاجر مع الآخرين .

ومضى شهر آخر . وذات مساء جاء نائب مدير السجن ليحدثني عن العفو الخاص . فسألني :

– بم كنت تفكر خلال الشهرين الماضيين ؟

فأخبرته بما ذكرته آنفا ، وقلت له ايضا ان بعض الناس على ما يبدو لي قد اعاد بناء نفسه على نحو جيد . وذكرت فرقة معالجة الاطعمة وفرقة تربية المواشي وبعض الافراد الذين اشيد مؤخرا بجهودهم في الدراسة .

فقال نائب المدير مبتسما :

– انك تجد الآن من السهل تماما ان تفكر في النقاط الايجابية لدى

الآخرين . فما رأيك اذا كنت مشمولا بينهم بالعفو الخاص ؟

فأجبت ضاحكا :

– هذا غير ممكن .

غير ممكن . هذا كان ما فكرت فيه وانا عائد الى ززانتي . ” ولكن اذا . . . ؟ “ وجعلتني هذه الفكرة اتوتر . وفيما بعد استنتجت ان من الممكن ان يعنى عنى في المستقبل ، ولكن من المحتمل ان يكون ذلك بعد وقت طويل . ولم يكن مستقبلي غائما جدا . وتخيلت نفسى مع لاو وان وروى الصغير والآخرين نأخذ مكاننا بين الناس العاديين ونقوم بأشياء عادية . وفي هذه الاحلام

رأيت نفسي احصل على عمل كمساعد طبي في مستشفى ، ذلك النوع من العمل الذى قرأت عنه فى الصحف . ولكننى تأكدت من انه سيمضى وقت طويل حتى يعطينى الشعب موافقته ويقبل بى واحدا بين ابنائه . ولدى تفكيرى فى سعادة المستقبل كدت لا استطيع النوم .

فى اليوم التالى امرتنا الادارة بالاحتشاد فى النادى . وكان يواجهنا شريط عريض من قماش قرمزى ممتد عبر المسرح الذى جعانى الهث . وقد كتب على هذا الشريط ” اجتماع عفو خاص لسجن فوشون الخاص بمجرى الحرب “ .

كان يجلس على المنصة ممثل عن المحكمة الشعبية العليا ، ومدير السجن واشخاص آخرون . وتحت المنصة كان الجميع صامتين ما عدا الوجيب فى قلبى .

وبعد بضع كلمات من مدير السجن اتجه ممثل المحكمة الشعبية العليا الى وسط المسرح وقرأ من ورقة فى يده : ” آيشين - جيلوه بو يى “ .  
ووثب قلبى . فذهبت ووقفت امام المسرح وسمعت شيئا يتلى :

مذكرة عفو خاص  
من المحكمة الشعبية العليا فى  
جمهورية الصين الشعبية

وفقا لأمر العفو الخاص الصادر عن رئيس جمهورية الصين الشعبية فى ١٧ سبتمبر ١٩٥٩ تقصت هذه المحكمة حالة مجرم الحرب لامبراطورية منشوريا العميلة آيشين - جيلوه بو يى .

ان مجرم الحرب آيشين - جيلوه بو يى ، ذكر ، عمره ٥٤ سنة ، من قومية المانتشو ، ومن بكين ، قد امضى حتى الآن عشر سنوات من الاحتجاز . ونتيجة لاعادة تكوين نفسه عن طريق العمل الجسمانى والتثقيف الايديولوجى خلال احتجازه فقد اظهر انه قد اصلح اصلاحا اصيلا . ووفقا لشروط المادة ١

من امر العفو الخاص يطلق سراحه .

المحكمة الشعبية العليا في  
جمهورية الصين الشعبية  
٤ ديسمبر ١٩٥٩

وقبل الفراغ من قراءة القرار انفجرت بالبكاء . لقد حولنى وطنى الام  
الى انسان حقيقى .

## فصل جديد

وركبت القطار وفى الخارج كان منتشر امام عينى سهل يغطيه الثلج ،  
واسع مشرق كاستقبلى . وداخل القطار كنت محاطا بعمال عاديين . هذه  
كانت المرة الاولى فى حياتى التى اركب فيها معهم وشاركهم القطار . وانا  
فى طريقى لأعيش معهم وابنى معهم ؛ فى طريقى لأصبح - لا ، فقد اصبحت  
لتوى - واحدا منهم .

وفور ركوبى القطار فى فوشون حدث شىء اظهر لى فى المحال صفة المجتمع  
الذى كنت قادما اليه والشعب الذى كنت بين ابنائه . فقد جاء واحد من عمال  
القطار ومعه امرأة الى عربتنا يبحثان عن مكان لبنت صغيرة كانا يحملانها .  
وكان هناك مقعد فارغ خلفى كما اخلى مسافر يجلس ورائى مقعده لهما  
ايضا . فقادت المرأة البنت الى المقعد ووقفت هى بجانبها وقد بان عليها قلق  
شديد . وسألها راكب آخر ان كانت الطفلة مريضة ، واذا كانت كذلك فلماذا  
هى خارج البيت . فأذهلنى جواب المرأة . كانت معلمة فى مدرسة ابتدائية  
بالقرب من المحطة ، والبنت تلميذة عندها ، شعرت فجأة بالأم شديد فى  
بطنها خلال الدرس . وقد شك الموظف الصحى فى المدرسة انها مصابة بالتهاب

الزائدة الدودية واوصى بوجود اخذها الى المستشفى فورا . ونظرا الى ان والدى البنت يعملان في منجم بعيد ، لم يكن هناك وقت لمطالبتهما بالمجيء واخذ البنت الى المستشفى ، كما ان اخذها الى مستشفى المنجم سيستغرق وقتا طويلا فقررت المعلمة ان تأخذها مباشرة بقطار شنيانغ . وسمح لها مسؤول الرصيف ان تدفع ثمن التذاكر في القطار نفسه وقال لها انهم سيخبرون شنيانغ هاتفيا ويطلبون منهم العناية بهما . لقد جعلتني هذه الحادثة افكر في كلمات تاو يوان مينغ ( ٢٥ ) : ” منذ ولادتنا ونحن اخوة ، لسنا بحاجة الى آصرة اللحم . “ ان هذا التفكير يشترك فيه اليوم اناس كثيرون . ثم خطر لى ان ما قاله منشيوس ( ٢٦ ) بخصوص العناية بمسنى وصغار الاسر الاخرى كما يعنى المرء بأسرة نفسه قد تحقق في الوقت الحاضر . ولقد اوضح لى هذا المثال ان المجتمع الذى كنت منتقلا اليه اروع مما تخيلته .

في ٩ ديسمبر وصات الى بكين ، مسقط رأسى الذى تركته منذ خمس وثلاثين سنة . وعلى رصيف محطة القطار الرائعة رأيت الاخوت الخامسة والاخ الرابع اللذين لم اقابل الاولى منهما منذ اكثر من ثلاث سنوات ، ولم اقابل الثانى منذ اكثر من عشرين سنة . وفيما كنت اصافحهما سمعتهما يخاطبانى بعبارة ” الاخ الكبير “ تلك الصيغة المألوفة للمخاطبة ، التى لم يستخدمها اخوتى واخواتى قط في التحدث معى سابقا . وشعرت ان حياة جديدة قد بدأت فى اسرتنا .

وودعت المرزطف لى الذى جاء معنا وكذلك لاو منغ . لقد كان منغ واحدا من مجرمى الحرب الكومينتانغيين الثمانية فى سجننا الذين تسلموا عقوا خصوصا ، مع قوه ون لين وهو جنرال مانشوى عميل سابق وانا . وذهب مع زوجته التى جاءت للقائه . وحمل الشقيق الرابع حقيبتى الجادية السوداء وانطأقت امشى مغادرا الرصيف مع شقيقتى الخامسة وزوجها لاو وان ، احدهما عن يمينى والآخر عن يسارى . وعندما غادرنا الرصيف نظرت الى ساعة المحطة

واخرجت ساعة جيبي . قبل ان اغادر فوشون اختار مدير السجن هذه الساعة من كومة الاشياء التي قدمتها الى الحكومة في السجن وطلب مني ان احتفظ بها . فاعترضت قائلا انها قد اشترت بتقود تم الحصول عايتها بالاستغلال ولذلك لا اريدها . ولكن المدير اجاب بأن الشعب قد قدمها لي الآن ، لذلك يجب ان احتفظ بها . وكانت هذه الساعة هي الساعة الفرنسية التي اشتريتها من المتجر الذي في طرف حي المفوضيات في بكين عندما كنت احاول التخلص من قهرمان والدى الرئيسى وانا في طريقى الى المفوضيات الاجنبية عام ١٩٢٤ . وفي ذلك اليوم بدأ سجلى المخزى . ولكن هذه الساعة نفسها تحدد الآن بداية حياتى الجديدة بعد ان ضبطتها وفقا لتوقيت بكين .

لقد قال مدير السجن في ذلك اليوم الذى اعطانى فيه هذه الساعة لنا نحن العشرة الذين اطلق سراحنا انه عندما نعود الى بيوتنا يجب ان نعتذر لأهلنا وجيراننا عن الاخطاء التى ارتكبتها فى الماضى . واضاف : ” واعتقد ان جيرانكم واقاربكم سيصفحون عنكم شريطة ان تتصرفوا جيدا وتخدموا الشعب باخلاص . “ ولقد تأكدت هذه الكلمات تماما عندما ذهبت الى بيت الاخث الخامسة ولاو وان . اذ كان كل واحد فى مرفهم السكنى لطيفا معى . وفي الصباح التالى اردت ان افعل شيئا للجيران ، وعندما رأيت بعض الناس يكنس الممر اخذت مكنسة وانضممت اليهم فى العمل . وبعد ان كنسنا من المدخل الى نهاية الممر لم استطع ان استدل طريقى لأعود الى البيت ، فدخلت الى بيت غريب . فحزروا ما حدث واخذونى الى بيتى . وقالوا انه ليست هناك حاجة الى ان اشكرهم حيث اننا جميعا من رفاق واحد ، وحتى اذا لم نكن في نفس الرفاق ، فلا غرابة في ان يساعد الناس بعضهم بعضا في المجتمع الجديد .

وذهبت لرؤية عمى تساي تاو واسرته ، حيث عرفت ان عشيرتنا قد ازدهرت . وقد تحدث هو في المجلس الوطنى لثواب الشعب عن نتائج بحثه خلال رحلته

الى انحاء الاقليات القومية . وسمعت ابن عمى بو جين يعزف على ادااته الموسيقية " قو تشين " ، وراقبته وهو يحفظ لى كلمات بدت افضل من السابق . ورأيت كذلك رسوما للارهار والطيور رسمها بو جيان مؤخرا . وذهبت لزيارة الاخت الثانية فوجدتها تدير روضة للاطفال . واخبرنى زوجها ، وهو مهندس بريد ، بأنها مشغولة جدا بحيث اختفى الصداح الذى كانت تشكو منه دائما . وزرت كذلك كلا من الاخت الرابعة والثالثة والسادسة والسابعة وازواجهن . فوجدت الاخت الرابعة تعمل فى ارشيف القصر السابق ، والاخت الثالثة وزوجها يشتركان فى دورة دراسية لدى المؤتمر الاستشارى السياسى للمنطقة والاخت السادسة وزوجها يعملان فى الرسم ، والاخت السابعة وزوجها معلمين .

ودهشت اكثر من ذلك بالجيل الثانى . ففى يوم عيد الربيع احتشد عدد لا حصر له من الاولاد والبنات ، وحول اعناقهم ربطات حمراء ، فى منزل عمى . ومن بين افراد هذا الجيل الذين شبوا للتو قابلت واحدة من متطوعى الشعب ابلت فى القتال بلاء حسنا ، وبطلة الدراجات النارية للنساء فى بكين ، وقائد فرقة متسلقى الجبال ، وطبيبا وممرضة ومعالما وسائق سيارة . اما الصغار فمعظمهم كانوا يقومون بتدريب مهنى او يدرسون فى المدرسة المتوسطة . وقد انضم بعضهم الى الحزب الشيوعى وعصبة الشبيبة ، وبعضهم يواصلون جهودهم لاحراز هذا الشرف .

وقابلت ايضا كثيرا من اصدقاء الماضى . فوجدت شانغ يان ينغ عضوا فى معهد الادب والتاريخ . وعند لقائى معه كان مضطجعا على اريكة . فقد كان طاعنا فى السن ومريضا بحيث لم يعد قادرا على التكلم بوضوح . لكن قسماته عبرت عند رؤيتى عن اهتمام شديد ، وقد حاول ان ينهض ، فأخذت يده وقلت : " انك مسن ومريض ، لذلك يجب ان تستريح . اننا الآن افراد فى المجتمع الجديد ، وبوسعنا ان نتمتع بعلاقة طبيعية . وعندما تتحسن حالتك سنخدم الشعب سويا . " فاخترتى التعبير الرسمى من وجهه وهز رأسه لى مبتسما



ابتسامة خفيفة ، وقال : ” سأذهب معك . “ فأجبتة : ” انا ماض مع الحزب الشيوعي . “ فأجاب : ” وانا كذلك . “ وقابلت بعض اصدقائي ممن كانوا خصيانا في القصر ، واستطلعت احوالهم . لقد اقامت لهم السلطات المحابية بيتا خاصا يمشون فيه بقية سنواتهم في اطمئنان .

ان كل واحد قابلته في اليوم الاول قال : ” الآن وقد عدت ينبغي لك ان تلقى على ما حولك نظرة متفحصمة – انك لم تكن قادرا على التجول في بكين سابقا . “ فأخبرتهم بأن الشيء الاول الذي اريد رؤيته هو تيان آن من ، بوابة السلام السماوى .

وكنت قد عرفت ساحة تيان آن من من الافلام والصحف والرسائل . فعلى الشاشة رأيت المواكب التى استعرضها الرئيس ماو ، وشاهدت الاحتفالات بالاعیاد . ورأيت صوراً فى الصحف لشرطة المرور يقومون بمساعدة الاطفال على عبور الطرق ، وصوراً لسيارات ” العلم الاحمر “ و ” الريح الشرقية “ الصينية الصنع الرابضة هناك . وعرفت ان قاعة الشعب الكبرى قد بنيت فى عشرة اشهر ، وسمعت عن انطباعات الضيوف الاجانب من كافة انحاء العالم عن هذه الساحة . واخيرا وجدت نفسى فى المكان الذى كنت احلم به منذ وقت طويل .

كانت بوابة تيان آن من المهيبة التى انتصبت امامى شاهدا على التغييرات التى طرأت على الوطن الام من البؤس الى السعادة ، والتغير من بويسى القديم الى بويسى الجديد . على يسارى قاعة الشعب الكبرى الفخمة التى تقرر فيها شؤون الوطن ، بما فى ذلك العفو الخاص الذى سمح لى بموجبه ان ابدأ حياة جديدة . وعلى يمينى المتحف الثورى وخلفى النصب التذكارى للابطال الثوريين . وقد اخبرتنى كل هذه الاشياء بالنضال المر الذى خاضه كثير من الابطال والشهداء عبر قرن من الزمان لتحقيق ازدهار اليوم الذى استمدت منه انا ايضا .

وفى ساحة تيان آن من هذه قمت بأول جولة لى شاعرا بالحرية والامن  
والسعادة والافتخار . واخذنا انا وشقيقتى الخامسة وشقيقى السادس نتمشى  
بطء نحو الغرب . وعندما وصلنا قصر الثقافة للأقليات القومية بجدرانها البيضاء  
وسطحه الازرق سألتنى اختى باهتمام : ” ايها الاخ الكبير ، هل تعبت ؟  
هل هذه هى المرة الاولى التى تمشى فيها مسافة طويلة جدا ؟ “ فأجبتها قائلا :  
” لست متعبا ، والسبب فى ذلك ان هذه هى المرة الاولى حقا . “

” المرة الاولى “ كانتا الكلمتين اللتين برزتا على نحو دائم مع شروعى  
فى حياتى الجديدة . ” المرة الاولى “ كانت صعبة دائما ، ولكننى كنت فى  
غاية الانفعال بحيث لم اشعر بأى اضطراب بخصوصها .

وذهبت الى الحلاق للمرة الاولى ، او على وجه التحديد ، للمرة الثانية ،  
حيث ذهبت مرة الى شركة تشونغيان لقص شعرى قبل ثلاثين سنة فى تيانجين .  
وعلى ايه حال فان ما حدث لى الآن قد حدث للمرة الاولى . وجلست فى الكرسي  
قرأت شيئا غامضا كنت قد لاحظته فى متجر منوعات فى هاربين . وكان هذه  
المرة يحدث نعيما عند المقعد الثانى فسألت عنه الحلاق ، فقال لى انه مجفف  
شعر . وسألته : ” أتجفف الشعر اولا ام تقصه ؟ “ فدهش لسؤالى وقال :  
” أ لم يسبق لك ان قصصت شعرك ؟ “ وظن اننى احاول مغازلته ، فانفجرت  
ضاحكا ، وحين سمعت مجفف الشعر ينعر فوق رأسى شعرت بالسرور اكثر  
من السابق .

وفى المرة الاولى التى ركبت فيها الباص العمومى افزعت شقيقى السادس .  
فبينما كنت انتظر داخل طايبور المنتظرين رأيت اناسا يقفون جانبا ليصعد  
المسنون والاطفال اولا فأفسحت مجالا لامرأة كانت تقف بجانبى كى تصعد  
الباص قبلى . ولم اتحقق من انها قاطعة التذاكر . ولما رأتنى واقفا ففزت الى  
الباص ؛ ثم اغلق الباب خلفها وتحرك الباص . وبعد بضع لحظات رأيت  
شقيقى عائدا بسرعة من وقفة الباص التالية ، وشرعنا نقهقه من بعضنا بأعلى

اصواتنا وهو ما يزال بعيدا عنى بعض الشيء . وقلت له بثقة تامة : ” لا تقلق ، لا شيء يمكن ان يحدث . “ فما دام الناس يهتمون ببعضهم فما الداعي للقلق ؟ وفى ذلك الصباح نفسه استرددت محفظة جيب جلدية من دكان بجانب منزل الاخـت الثالثة كنت تركتها هناك سهوا . وكان من غير الممكن بالنسبة لى ان اضيع .

ونظمت ساطات بكين عددا من الزيارات لنا نحن اللذين خرجنا من السجن بموجب عفو خاص ، ومن بيننا جنرالات الكوميتانغ السابقون دو يوى مينغ ووانغ ياو وو وسونغ شى ليان وغيرهم . وكان هذا من اجل مساعدتنا على معرفة بكين معرفة افضل وتعود الحياة اليومية . فرأينا بعض المصانع الجديدة ، وجميع اصناف المرافق العامة التى اخذت تتوسع منذ التحرير ، وبعض الكومونات الشعبية داخل المدينة واماكن اخرى ؛ واستمرت هذه الزيارات قرابة شهرين . وفى النهاية اصر الآخرون على ان نذهب الى القصر السابق واكون انا دليلهم الموقت .

واكثر ما ادهشنى هناك ان سيماء البلاء والانهيـار التى عرفتها عند مغادرتى قد اختفت . وتمت اعادة الدهن فى كل مكان . فستائر الابواب والنوافذ والاسرة ، والارائك ، واغطية الطاولات ، وكل شىء آخر كانت جديدة . وسمعت فيما بعد ان هذه الاشياء كلها قد صنعت فى معمل متحف القصر تقليدا للنماذج الاصاىة . ولم يكن قد بقى من مجموعة تحف القصر الا القايل من اليشب والخزف والكتابات الخطية والرسومات وبعض الاشياء الاخرى بعد اعمال السلب التى قامت بها حكومة امراء الحرب التابعين لزمره ببيانغ وحكومة الكوميتانغ وانا كذلك . ووجدت مع ذلك مجموعة لا بأس بها من الاشياء التى استردها المتحف عن طريق شرائها او التى قدمها جامعو التحف . فرسم ” مشهد شاطئ النهر فى عيد تشينغ مينغ “ للفنان تشانغ تسه دوان من اسرة سونغ ، مثلا ، والذى كنت قد سرقتة انا وبو جيه ، قد استعيد الآن بالشرء .

وفي الحديقة الامبراطورية رأيت اطفالا يلعبون تحت اشعة الشمس ومسنين يرشفون الشاي . واستنشقت شذا الربيع المنبعث من اشجار السرو القديمة ، وشعرت ان الشمس تشع هنا اكثر مما كانت تشع من قبل ، وكنت على يقين بأن القصر السابق قد فتح صفحة جديدة في تاريخه .

في مارس ١٩٦٠ نسبت الى حديقة بكين للنباتات ، التابعة لمعهد النباتات التابع لأكاديمية العلوم الصينية . وهناك امضيت نصف وقتي اعلم ونصفه الآخر ادرس . وكانت هذه مرحلة تمهيدية لتسلمي الوظيفة التي سأخدم الشعب من خلالها . وتحت ارشاد الفنيين تعلمت غرس البذور والعناية بالشتلات وغير ذلك . وكنت امضى النصف الثاني من اليوم اما في الدراسة واما في كتابة هذا الكتاب .

لم اكن في الشطر الاول من حياتي اعرف ماذا تعني ” الاسرة “ ، ولم تتكون لي بعض المشاعر العائلية الا خلال سنواتي الاخيرة في فوشون . وبعد مجيئي الى مشاتل بكين بوقت قصير كنت اشعر ان لي بيتا ثانيا ، اذ كنت اعيش في جو ودي وتعاوني . وذات مرة تبينت ، وانا عائد من نزهة ، انني فقدت ساعتى وحسبت اني قد ابتعدت كثيرا فلم اتشجع على العودة للبحث عنها . وتخليت عنها مغموما . وعندما سمع لائو ، زميلي في غرفتي ، بذلك سألتني بالتفصيل عن الطريق الذي سلكته ، ومشى في الحال على الرغم من انه كان في وقت استراحة من العمل . ولقد وقعت في حيرة كبيرة عندما علمت ان كثيرا من الناس قد اكتشفوا ايضا ما حدث ، وان جميع الذين كانوا في الاستراحة خرجوا يبحثون عن الساعة . وفي النهاية وجدها لائو امام مطعم تابع لفيلق انتاج في كومونة الخضره الدائمة (٢٧) ، وعاد بها منشرح الاسارير . وشعرت انه قد اعيد الى شيء اكبر من الساعة بكثير .

وفي ذلك الصيف شكلت وحدة ميليشيا في المشتل ، واخذت تتدرب

كل يوم . فقدمت طلبا للانضمام اليها ، ولكن الآخرين قالوا اننى قد تجاوزت السن المحددة ، فأجبت معترضا : ” اننى فرد فى الاسرة الكبيرة لوطننا الام ، لذلك يجب ان يسمح لى ايضا بالدفاع عنها . “ والحجت على ذلك ، فسمح لى بالانضمام الى التدريب بصفة رجل ميليشيا فوق السن المحددة . وسرعان ما اصبحت قادرا على تحقيق طموح آخر ، فتظاهرت فى ساحة تيان آن من . وكانت المناسبة هى التجمع لدعم نضال الشعب اليابانى ضد ” معاهدة الامن اليابانية - الامريكية “ .

وكان هذا هو الوقت الذى بدأت فيه ابشر نشاطات اجتماعية جعلتنى اشعر اننى على نفس الجانب الذى يقف فيه شعب الصين كلها وبقية شعوب العالم المكافحة من اجل السلم والديمقراطية والاستقلال الوطنى والاشتراكية . فى ٢٦ نوفمبر ١٩٦٠ تسلمت بطاقة انتخاب عليها اسمى . وبلدت لى هذه البطاقة اثنى شىء امتلكته فى حياتى . وعندما وضعت ورقة الاقتراع داخل الصندوق الاحمر شعرت اننى اسعد انسان على وجه الارض . فأنا الآن ، مع ٦٥٠ مليون مواطن ، نمتلك ٩٦٠٠٠٠٠٠ كيلومتر مربع من الارض . ان العون الذى قدمته هذه الارض للشعوب والامم المضطهدة فى العالم هى من الجسامة بحيث يمكن الاعتماد عليها .

وفى مارس ١٩٦١ انهيت مرحلتى التمهيدية وتسلمت الوظيفة التى بدأت اخدم من خلالها الشعب : فقد اصبحت عضوا عاملا فى لجنة المواد الادبية والتاريخية التابعة للجنة الوطنية للمؤتمر الاستشارى السياسى للشعب الصينى . وفى هذه المهنة عملت فى المواد الادبية والتاريخية المختصة بأواخر اسرة تشينغ وفترة امراء حرب بينانغ . وكثيرا ما كنت امر بأسماء مألوفة واحداث تاريخية كانت لها علاقة بى . ومعظم مؤلفى هذه المواد كانوا ممن اشتركوا فى هذه الاحداث او شهدوها ، وانا وهم كنا جميعا شهودا على تاريخ تلك الفترة . وتم لى التوصل الى رأى اكثر وضوحا فى تطورات ذلك التاريخ من خلال

هذه المعطيات الغنية . فالسيادة يهونالا ( الامبراطورة الارملة تسمى شى ) ويوان شى كاي ودوان تشى روى وتشانغ تسوه لين وجميع تلك الشخصيات التى نبذها التاريخ قد بدت فى ايامها تتمتع بسلطة قاهرة على كل شىء ، بينما الشعب الذى كان يجزر ويضطهد على ايدى هؤلاء الاشخاص قد بدا عاجزا . ان كتابا من امثال هو شى قد هلموا لهؤلاء الاشخاص ؛ والمحافظين على التقديم علقوا عليهم آمالهم فى اعادة الملكية ؛ وقد انتفخوا هم انفسهم زهوا وغرورا معتقدين ان القوى التى دعمتهم ستظل تدعمهم الى الابد . ولكنهم تكشفوا فيما بعد عن مجرد نمور من ورق ، وذلك عندما اجتاحتهم لهيب التاريخ ، والتاريخ هو الشعب . ” ان الرجعيين يبدو مظهرهم مخيفا ، لكنهم ليسوا فى الحقيقة بتلك القوة الجبارة . واذا نظرنا الى الامور من زاوية المستقبل ، وجدنا ان القوة الجبارة حقا ليست فى يد الرجعيين ، بل فى يد الشعوب . ” لقد جعلتني تجاربى اقر بهذه الحقيقة ، ورحت اعلنها على الناس من خلال عملى وقلرتى بوصفى شاهدا .

وواصلت ايضا تأليف هذا الكتاب .

وساعدنى مكتبى بطرق كثيرة وزودنى بكثير من المواد القيمة ، وبالمساعدة الحماسية التى قدمها لى كثير من الاصدقاء الآخرين تمكنت من استخدام كثير من الكتب والوثائق التى حصلت عليها من الارشيف كما استخدمت المعلومات التى التقطت خصيصا لهذه الغرض . ومن هذه المعاومات ما انتسخه لى اصدقاء لم يسبق لى ان رأيتهم ، ومنها ما تفحصه رفاقى فى دور النشر قاموا برحلات طويلة لهذا الغرض ، ومنها ما سجله مسنون شهدوا الاحداث بأعينهم . وكثير من تلك المواد التى يتعذر الحصول عليها قد حصلت عايتها من الارشيف والمكاتب ؛ وينبغى لى ان اذكر على نحو خاص الارشيف الوطنى ومتحف التاريخ ومكتبة بكين ومكتبة العاصمة ، حيث قام الرفاق بأبحاث وتصنيفات خاصة لى . ولقد دهشت لهذا القدر الكبير من الاهتمام والمساعدة

الذى تلقيته ، ولكن هذا في الواقع ليس غربيا في بلادنا ، حيث ان كل من يفعل شيئا نافعا للشعب ، او يعلن عن الحقيقة يحظى الاهتمام والمساعدة في كل مكان ، ناهيك عما يحصل عليه من الحزب والحكومة .

وشد كتابي اهتمام كثير من الاصدقاء الاجانب . ولقد زارني صحفيون وضيوف اجانب سألوني عن تجاربي ، ولاسيما الاصلاح الذي مررت به خلال السنوات العشر الماضية . وقال لي واحد من امريكا اللاتينية ان تجربتي قد بينت له ثانياً مدى عظمة افكار ماو تسي تونغ ، وحثني على انهاء كتابي بسرعة . وقال صديق آسيوي : ” آمل ان ترسل لي نسخة من الطبعة الانكليزية لكتابك فور صدوره حتى استطيع ترجمته الى لغتي وافصح المجال امام ابناء بلدي لقراءة قصتك المذهلة . “

وفي عام ١٩٦٢ نجح نضالنا المر ضد الصعوبات الناشئة داخل بلادنا وخارجها نجاحا رائعا ، وحققت لي تلك السنة المزيد من السعادة . ودعيت لحضور اجتماع اللجنة الوطنية للمؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني ولسماع تقارير المجلس الوطني لنواب الشعب حول بناء الوطن الام . وفي ١ مايو - ايار - انشأت انا وعروسي لي شو شيان بيتنا الصغير ، وكان هذا البيت العادي بالنسبة لي شيئا خارقا للعادة .

هذا هو الفصل الجديد . هكذا بدأت حياتي الجديدة . وحين افكر في بيتي وبطائتي الانتخابية والبشائر التي تمتد امام عيني الى ما لا نهاية لن انسى مطلقا كيف حققت لنفسى هذه الحياة الجديدة .

وهناك قصة اخرى يجب ان ارويها . ويجب ان اوردها في هذا الكتاب كما قال ابن شقيقى روى الصغير . وهي المتعلقة بسياسة اعادة بناء المجرمين ، تلك السياسة التي اوصلتني الى هذه الحياة .

في صيف ١٩٦٠ ذهبت الى منتزه التل العطري مع روى الصغير ، وتحدثنا

عن التغييرات الاولى المبكرة في تفكير كل منا وعمما حركتنا في البداية .  
فتحدث روى الصغير عن قو الصغير وشيو الصغير اولا . لقد اهتز قو  
الصغير عندما رأى قطارا صينيا في محطة سويفنخه بينما لم تكن هناك في  
السابق الا قطارات اجنبية ، وان الذى جعل شيو الصغير يشعر ان حياته الماضية  
كانت لا طائل تحتها انما هو الاحتفاء الذى قوبلت به العاملة التى فقدت  
احدى يديها . ثم تحدث روى عن نفسه . ” هناك اشياء كثيرة لم انساها .  
اولها انى كسرت زجاج نافذة وانا انظفه بعد ان بدأت العمل مباشرة . وفى  
الاحظة التى تساقط فيها الزجاج على الارض جاء احد السجنائين يركض .  
فدعرت ، ولكنى دهشت حين سألتى ان كنت قد اذيت نفسى . فقامت له  
اننى بخير ، علما اننى حطمت لوح زجاج . فقال ان قطعة زجاج ليس مهمة ،  
فالمهم ان اكون اكثر حرصا فى ان لا اسبب الاذى لأى انسان . “  
فأجبتة : ” ان اشياء كهذه قد حدثت لى ايضا . كنت فى البداية  
منشغل الذهن فى مسألة ان كانوا سيقتلونى ام لا ، وشككت فيما  
اذا كانت سياسة اللين ستطبق على ام لا . ولكن الشئ الذى جعلانى ارى  
الفرصة امامى ، ومن ثم بعث فى نفسى تدريجا المزيد من التفاؤل ، هو الطريقة  
غير المتوقعة التى عوملت بها بعد تسليم المجوهرات التى كنت اخفيها فى كعب  
الحقيقية . وبمناسبة الحديث عن ذلك يجب ان اشكرك على المساعدة التى  
قدمتها لى حينذاك . “

فقال روى الصغير وقد جحظت عيناه :

– المساعدة ؟ أ لم يخبرك مدير السجن بما حدث حقا ؟  
– بلى ، لقد اخبرنى . فخلال فترة توجيه الاتهامات والاعتراف بالذنب  
كتبت نقدا ذاتيا حول ذلك وقدمته لمدير السجن بعد ان اعترفت من خلال  
استجواب قو الصغير لى فى الاجتماع الكبير . وبعد عيد رأس السنة اخبرت  
مدير السجن بأننى لم اذكر المذكرة التى ارسلتها لى مخافة ان اسبب لك



المتاعب . فأخبرني بأنه يعرف كل شيء عن ذلك وانه طلب منك ان تكتب  
المذكرة كي تساعدني على تسليم المجوهرات بمبادرة مني . لقد كان المدير  
حى الضمير ، ولكنك انت قد ساعدتني ايضا .

— انت اذن ما تزال تجهل التفاصيل . اننى لم اكن اريد كتابة تلك  
المذكرة ، بل كنت اؤيد تفتيشك ومصادرة هذه الاشياء منك ومعاقبتك .  
وهذا شى لا بد ان اخبرك به ، ويجب ان توردته فى كتابك .

والآن فقط علمت القصة بكاملها . لقد افشى روى الصغير سرى الى  
مدير السجن ، وطلب منه ان يصادر تلك المجوهرات . فرفض المدير قائلا :  
” سيكون من السهل جدا ان نجد هذه الاشياء ، ولكن ذلك لن يساعده  
على اعادة بناء نفسه . كن صبورا . سيكون افضل بكثير له ان يبادر شخصيا  
الى تسليمها عندما يصبح اكثر وعيا على الصعيد السياسى . “ وبعد وقت  
طويل طلب روى الصغير من المدير ان يقوم بتفتيش . فكان جواب المدير  
بأن تفكير مختلف الناس يتطور بسرعات مختلفة وانه لا فائدة فى التسرع .  
لقد كان الحزب الشيوعى متأكدا من ان الغالبية العظمى من المجرمين يمكن  
ان يعيدوا بناء انفسهم عندما يكونون تحت سلطة الشعب على الرغم من تنوع  
اوجه العملية . كان المهم ليس المجوهرات او لوائح السجن بل ما هى افضل  
طريقة تساعدنى على اعادة بناء نفسى . وذكر لى روى الصغير ان المدير قال  
له بخصوصى : ” يجب ان تدرك انه بسبب خلفيته الفريدة يجد من الصعب  
ان يصدق على الفور سياسة اللين التى تنتهجها الحكومة الشعبية ازاء اولئك  
الذين يعترفون . اذا كنا سنقوم بتفتيش فسيفقد فرصة تفهم هذه السياسة . اترك  
المبادرة له . وبدلا من القيام بتفتيش مستعجل يجب ان تفكر بطريقة ما  
لتعجيل استيقاظه . “ ففكر روى الصغير حينذاك فى كتابة المذكرة . وعندما  
لم يحدث شىء بعد عدة ايام من تسليمها لى عاد الى المدير يستعجله وقال  
له : ” بو يى لن يستيقظ ، وليس عنده ادنى ادراك . لماذا لا نفتشه ؟ “

فكان جواب المدير : ” ان عدم التعجل في هذه الفترة اهم بكثير من عدم التعجل في السابق . “ وفي النهاية سلمت المجوهرات وانا يائس ؛ ومنذ تلك اللحظة بدأت ارى امامى طريقا جديدا .

وقال روى الصغير باهتياج : ” منذ ذلك الحين ادركت ان المدير قد آمن حقا بأن غالبية المجرمين يمكن ان يعاد بناؤهم . وانت نفسك تعرف انك كنت ما تزال تقاوم وتصبر على خداع الحكومة ، ولقد عرفت سلطات السجن كل ذلك . وحتى قبل ان يأتي المحققون كنا قد اخبرنا الحكومة بكل شيء . ولكن منذ ذلك الوقت اقتنعت سلطات السجن بأنك يمكن ان تعيد بناء نفسك ، فاهتمت اهتماما شديدا بأن تضمن قيامك بالدراسة والاصلاح . “

كنا نقف على منحدرات التل العطرى ، نرسل ابصارنا الى مدينة بكين التى كانت تستحم تحت اشعة الشمس . وفكرت في شيء تلو آخر من الاشياء التى حدثت في السنوات العشر الماضية ، لقد استعدت ذكرى مدير السجن المسن الاشيب والخطاب الحيوى الذى القاه نائبه الاصغر . فكرت في جميع السجنائين والاطباء والممرضات وفي افراد آخرين من العاملين في السجن . عندما حاولت خداعهم ؛ عندما استخدمت جميع الوسائل المخزية لمقاومتهم ؛ عندما كشف جهلى وعدم صلاحيتى وغبايى ؛ عندما كنت في يأس تام بخصوص حياتى وشعرت اننى لا احتمل ان اعيش اية لحظة اخرى ، في تلك الاوقات كان هؤلاء الاعضاء في الحزب الشيوعى متشبهين باعتقادهم بأن فى وسعى ان اعيد بناء نفسى ، كما كانوا يقودونى بكل روية لأصبح انسانا جديدا . ان كلمة ” انسان “ هى الكلمة الاولى التى تعلمت ان اقرأها فى كتاب قراءتى الاول « كلاسيكيات المقاطع الثلاثة » ، ولكننى لم افهم معناها فى السابق مطلقا . اما اليوم ، وبمساعدة الحزب الشيوعى وسياسة اعادة بناء المجرمين ، فقد عرفت مغزى هذه الكلمة الرائعة واصبحت انسانا حقيقيا .

## ملاحظات

- ( ١ ) هذا القسم يعالج الشؤون السياسية والعسكرية في الشمال الشرقي .  
( ٢ ) هذه قائمة بالخونة الرئيسيين الذين تسلموا مناصب في نظام ” امبراطورية

منشوريا “ :

رئيس الوزراء ووزير الثقافة والتربية : تشنغ شياو شيوى

وزير الشؤون المدنية وحاكم مقاطعة فنغتيان : تسانغ شى يى

وزير الخارجية : شيه جيه شى

وزير الدفاع ورئيس المجلس الاستشارى : تشانغ جينغ هوى

وزير المالية وحاكم مقاطعة جيلين : شى تشيا

وزير الصناعة : تشانغ يان تشينغ

وزير المواصلات : دينغ جيان شيو

وزير العدل : فنغ هان تشينغ

حاكم مقاطعة هيلونغجيانغ : تشنغ تشى يون

رئيس المجلس التشريعى : تشاو شين بوه

رئيس مجلس الرقابة : يوى تشونغ هان .

رئيس المحكمة العليا : لين تشى

رئيس مكتب المراقبة الاعلى : لى بان

نائب رئيس المجلس الاستشارى : تانغ يوى لين

اعضاء المجلس الاستشارى : تشانغ هاى بنغ ، يون جين كاي ، لوه تشن

يوى ، قوى فو

رئيس سكرتارية مكتب الرئيس التنفيذي : هو سى يون

اعضاء سكرتارية مكتب الرئيس التنفيذي : وان شنغ شى ، شانغ يان ينغ ،

لوه فو باو ، شيوى باو هونغ ، لين تينغ تشن  
رئيس مكتب الشؤون الداخلية : باو شى  
موظفو مكتب الشؤون الداخلية المخاصون : تشانغ يان تشينغ ، جين بى دونغ ،  
وانغ جى ليه ، دونغ جى شيوى ، وانغ دا تشونغ ، شانغ يان ينغ  
رئيس مكتب الامن : تونغ جى شيوى  
قائد الحرس : تشانغ هاى بنغ  
سكرتيرا مجلس الدولة : تشنغ تشوى ، تشنغ يوى  
( ٣ ) المدير السابق لسكة حديد جنوبي منشوريا وكان وقتذاك وزير الخارجية  
اليابانية .

( ٤ ) هذه المشاطعة الغيت عام ١٩٥٥ وقسمت اراضيها بين خبى ومنغوليا  
الداخلية ولياوتينغ .

( ٥ ) الهة الشمس اليابانية آما - ثيراسو - او - مى - كامى . وتشكل عبادتها  
جزءا من ديانة شينتو اليابانية .

( ٦ ) ديانة شينتو اليابانية .

( ٧ ) كلاهما بقيادة الحزب الشيوعى .

( ٨ ) تمتع موظفو " امبراطورية منشوريا " المدنيون بمنزلة محتجزين ، بينما  
الضباط العسكريون اعتبروا مجرمى حرب .

( ٩ ) طبق صينى تقليدى يتناوله ابناء شمالى الصين فى عيد رأس السنة الصينية ،  
يتألف من عجينة رقيقة تحشى باللحم والخضار المغرومين وتغلى بالماء .

( ١٠ ) من مؤلفات ستالين - المترجم .

( ١١ ) طريقة قديمة لمعرفة البخت عند الصينيين - المترجم .

( ١٢ ) من الكتب البوذية المقدسة - المترجم .

( ١٣ ) حركة المكافحات الخمس حملة ضد رشوة العاملين الحكوميين والتحايل على  
الضرائب وسرقة املاك الدولة والنفس فى المقاولات الحكومية وسرقة المعلومات الاقتصادية  
من المصادر الحكومية لاستخدامها فى المضاربات وكانت حركة المكافحات الثلاث  
حملة ضد الاختلاس والاسراف والبيروقراطية .

( ١٤ ) لاو تعنى كبير السن ، وهى لقب خطاب غالبا ما يستعمل لمن هم

- فوق الاربعين - المترجم .
- ( ١٥ ) من المكابيل الصينية - المترجم .
- ( ١٦ ) لقب الحكيم الذي كنت استخدمه وأنا " امبراطور في منشوريا " .
- ( ١٧ ) لاو تسي : هو مؤسس المدرسة الطاوية في الفلسفة وأحد الرواد في تاريخ الفلسفة العام . وقد حول المشعوذون تعاليمه الفلسفية من بعده الى دين يقوم على الخرافة والسحر - المترجم .
- ( ١٨ ) لقب للنبييل المانشوى .
- ( ١٩ ) اعتبر المنهاج المشترك دستورا مؤقتا قبل اقرار المجلس الوطنى لنواب الشعب الدستور في سبتمبر ١٩٥٤ .
- ( ٢٠ ) اطلق سراحه في فبراير ١٩٦٣ قبل ان يمضى مدة حكمه الكامل .
- ( ٢١ ) يشير الى استخدام الجيوش الاستعمارية لفتيات مغلوبات على الرهن لاجل الترفيه - المترجم .
- ( ٢٢ ) سياسة " حرق الككل وسلب الككل وقتل الككل " التي طبقتها الغزاة اليابانيون في الصين .
- ( ٢٣ ) الالعب النارية في الصين تنظم في خيوط فتنفجر بالتعاقب محدثة دويا متسلسلا - المترجم .
- ( ٢٤ ) صنف من التمر ينتج في الصين يختلف طعمه قليلا عن التمر العادى ونواته نحيفة وغير مشقوقة في الوسط - المترجم .
- ( ٢٥ ) شاعر من اسرة جين الشرقية ، عاش في آواخر القرن الرابع واوائل القرن الخامس بعد الميلاد .
- ( ٢٦ ) مفكر ومربرى ( ٣٧٢ - ٢٨٩ ق.م. ) .
- ( ٢٧ ) كومونة الخضرة الدائمة ، او كومونة الفصول الاربعة ، تقع في ضواحي بكين ، سميت بذلك لأنها تزرع الخضروات في جميع الفصول دون ان تتقيد بالمواسم - المترجم .

مطبعة اللغات الاجنبية بكين  
توزيع  
الشركة الصينية العالمية لتجارة الكتب  
( كوزى شويان )  
ص . ب ٣٩٩ بكين - الصين

从皇帝到公民

——我的前半生——

下 册

爱新觉罗·溥仪著

阿卜杜·卡里姆译

\*

外文出版社出版

( 中国北京百万庄路24号 )

外文印刷厂印刷

中国国际图书贸易总公司

( 中国国际书店 ) 发行

北京399信箱

1985年( 大32开 ) 第一版

编号: ( 阿 ) 11050—173B

00455

11—A—619PB

دار النشر باللغات الاجنبية بكين

صدر منها

قصص لو شيون المختارة

ديدان القز الربيعية وقصص اخرى

طلوع الشمس

عاصفة رعديّة

الاسرة

الفانية وصندوق المجوهرات

الخنجر السحري